ومما مرّ نتبين أنّ دور ابن خالويه في جمهرة شيخه ينحصر في الرواية، والاستدراك، ونسبة شاهد شعري أغفل نسبته ابن دريد، وتوضيح معنى غامض أو مسألة أو جز الحديث فيها شيخه .

لعلّ هذا القدر من هذا التراث العلمي الذي تركه ابن خالويه، والذي مازال حيا تتداوله الأيدي، يشهد بمكانته في ميدان العلوم اللغوية، ولم يقف ابن خالويه عند هذا الحد، بل حفظت لنا بعض كتب القدامى بعض ردوده على غيره من القدامى كرده على أبي اسحق الزجاج، اذ انتصر فيه لأبي العباس ثعلب شيخ ابي عمر الزاهد، وقد حفظ السيوطي ذلك في (الأشباه والنظائر)[1] وهي تتضمن عشر مسائل في اللغة .

وقبل أن أنتقل للحديث عن مؤلفاته اللغوية التي لم نستطع العثور عليها وهي على الأرجح ذهبت مع الريح كما ذهب غيرها من مؤلفاتنا العديدة، أودّ أن أقف عند مسألة تتردد في ذهن كل قارئ لمؤلفات ابن خالويه اللغوية أو النحوية أو القرآنية، وهي تتعلق بتأريخ تأليفها، إذ يتطلع القارئ لمعرفة فاتحتها أو خاتمتها ليستطيع معرفة مقدرة ابن خالويه فيما حل عمره، وهي مسألة لا يستطيع من يقوم بدراسة مؤلفاته أن يتبينها، أو يقف على ما يمكن أن يساعده فيها . ولعلّ ذلك يعود إلى ما في مؤلفاته من تشابه تام في بعض المسائل، إذ تطالعه فكرة مستوفاه في أحدها وغير مستوفاة في آخر، من ذلك ما جاء في (إعراب ثلاثين سورة) من معاني النفس: ((والنفس: الدم، والنفس: الدماغ، فأما قوله عزّ وجل: (خلقكم من نفس واحدة)[2]. فالنفس ها هنا آدم صلى الله عليه وسلم .....))[3]. ولكن هذه المسألة تطالعنا مستوفاة في (ليس في كلام العرب): ((وقال الله عزّ وجل: (خلقكم من نفس واحدة)[4] ردّه إلى المعنى لا إلى اللفظ، وإنما عنى بالنفس ها هنا آدم صلى الله عليه وسلم، ولورده إلى اللفظ لقال: (من نفس واحد)،

---

(١) انظر ٤: ١٢٧ ـ ١٣٠

(٢) النساء: ١

(٣) إعراب ثلاثين سورة: ٨٦

(٤) النساء: ١

(٥) [illegible]

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

فالنفس: الرجل ، والنفس: الروح ، والنفس: ما يكون به التمييز ، والنفس: الدم ، والنفس: الماء ، والنفس: الأخ ، قال الله عزّ وجل : (ولا تقتلوا أنفسكم)(١) أي إخوانكم ، (والنفس: مايكون به التمييز) (٢) ، والنفس: قدر دبغة (٣) ، أعطني نفسا او نفسين أدبغ بها منيئتي (٤) فاني آخذ أي عجلة ، والنفس: بمعنى عند قال الله تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام : (تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك) (٥) أي : تعلم ما عندي ولا أعلم ما عندك))(٦) ولكننا نفاجأ في (إعراب ثلاثين سورة) بمسائل مستوفاة ، من ذلك أنه ذكر فيه على (فَعَلَ يَفْعِل) أربعة أفعال : ((فالجواب في ذلك أن أربعة أحرف جاءت عنهم على (فَعَلَ يَفْعِلُ) : حَسِبَ يَحْسِبُ ، ونَعِمَ يَنْعِمُ ، وبَئِسَ يَبْئِسُ، ويَئِسَ يَيْئِسُ . والفتح فيهن لغة ...)) (٧) . ولم يرد في (ليس) إلا ثلاثة منها ((ليس في كلام العرب (فَعَلَ يَفْعِلُ) بكسر العين في الماضي والمستقبل من الصحيح إلا ثلاثة أحرف : نَعِمَ يَنْعِم ، ويَئِسَ يَيْئِسُ ، وبَئِسَ يَبْئِسُ ، وقد يجوز فيهن الفتح ..)) (٨) .

وقد يطالعنا المؤلفان بتشابه تام في بعض المسائل ، لنستمع إلى ما جاء في (إعراب ثلاثين) حول الصنبور : ((وكان مشركو العرب يقولون : إنّ محمدا صنبور ، أي فرد لا ولد له . فاذا مات انقطع ذكره ، فقال الله تعالى : إنّ شانئك هو الأبتر) (٩) أي مبغضك هو الأبتر ولا ولد له ولا ذكر ، فأما

---

(١) النساء : ٢٩

(٢) هذه العبارة مكررة في الكتاب .

(٣) دبغة : مرة واحدة من الدباغة .

(٤) منيئة : الجلد أول ما يدبغ .

(٥) المائدة : ١١٦

(٦) ليس في كلام العرب : ٣٣ . وانظر مثالا آخر (فَعِيل وفُعال) : إعراب ثلاثين سورة : ١٦٣ ، وليس في كلام العرب : ٢٠٠

(٧) إعراب ثلاثين سورة : ١٨١ ـ ١٨٢

(٨) ليس في كلام العرب : ٤
انظر أمثلة اخرى للمقارنة بينهما : ليس في كلام العرب : ٣١ ، وإعراب ثلاثين سورة : ٢٠٤ ـ ٢٠٥ في حديثه عن المراد باليتيم .
وليس في كلام العرب : ٣٢ ، وإعراب ثلاثين سورة : ٧٠ في استقصائه لما جاء عن العرب مصغرا ولا مكبر له .

(٩٠) الكوثر : ٣

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

إنت يا محمد فذكرك مقرون بذكري إلى يوم القيامة. إذا قال المؤذن أشهد أن لا إله إلا الله ، قال أشهد أن محمدا رسول الله)) (١).

فاذا ذهبنا إلى أن (ليس في كلام العرب) بعد (إعراب (ثلاثين سورة) فما موقفنا من بعض الزيادات التي طالعنا بها مؤلفه (القراءات) : ((.... ومن كسر السين فهو الاختيار ، ذهب إلى أن العرب تفتح الفعل المستقبل إذا كان ماضيه مكسوراً إلا اربعة أحرف ، فانه جاء على (فَعِل يَفْعِل) نحو : حَسِبَ يَحْسِبُ ، ونَعِمَ يَنْعِمُ ، ويَئِسَ ييْئِسُ ويَئِسَ يَيْئَسُ ...)) (٢). ومعروف أن (القراءات) سابق لاعراب ثلاثين سورة لأنه طالعنا به فيه (٣). وما موقفنا من الزيادات التي طالعنا بها في (ليس) عليه ، لنستمع إليه يستقصي فيه جموع (عبد) : ((وقد جمعوا عبداً على : أَعْبُد ، وعِبِدّان ، وعُبْدان ، وعِباد ومَعْبُوداء ، وعِبْدَى ، وعِبْداء (٤) ممدود ، وعَبيد)) (٥) ، ولكنه في (القراءات) لم يستقصها جميعها : ((والعرب تجمع عبدا فيقولون : هؤلاء عبيدُ الله ، وعبادُ الله ، وأعبُد الله ، وعبدان الله ، وعِبْدَى الله)) (٦). وذكر ابن خالويه في (الحجة في القراءات السبع) (٧) أن عبدا يُجمع على ثمانية أوجه دون أن يسجلها .

ومع أن (اعراب ثلاثين سورة) جاء بعد (القراءات) إلا انهما يطالعاننا بمواقف متشابهة تماما ، من ذلك ماجاء في كل منهما حول المراد بالمسكين (٨).

ويطالعنا تشابه تام في بعض المسائل اللغوية في (ليس في كلام العرب) وفي (شرح مقصورة ابن دريد) ، فما جاء على (مَفْعُل) فيهما واحد (٩).

---

(١) إعراب ثلاثين سورة : ١٣٦ . انظر في ذلك ليس في كلام العرب : ٢٦ .
(٢) القراءات ، لوحة : ٧٠
(٣) انظر في ذلك ٣٢٤ .
(٤) في ليس في كلام العرب : عبيداء ، والصواب ما أثبتناه ، انظر لسان العرب (عبد)
(٥) ليس في كلام العرب : ٥٧
(٦) القراءات ، لوحة : ١٠٢
(٧) انظر صفحة : ١٠٨
(٨) انظر إعراب ثلاثين سورة : ٩٢ ، والقراءات ، لوحة : ٦٠٧ .
(٩) انظر ليس في كلام العرب : ٤ ـ ٥ ، وشرح مقصورة ابن دريد ، ورقة : ٢١٤
وانظر في ذلك باب اللغة .
وانظر مثالا آخر ماجاء فيهما حول (ماجاء من مَفْعُول على فاعِل) .
انظر ليس في كلام العرب : ١٧ ، وشرح مقصورة ابن دريد ، ورقة : ١١٧ .

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

وهكذا يجد القارئ نفسه أمام هذه الإشكالات التي تمنعه من أنْ يخرج برأي قاطع في هذه المسألة . ويتراءى لي أنَّ ابن خالويه كان مولعا بإعادة ما سبق ذكره ، ولولا الإطالة لاستقصيت هذا الجانب في مؤلفاته جميعها ، وبالرغم مما مر استطعت أن أنتهي إلى أنَّ (شرح مقصورة ابن دريد) كان آخر عهده في التأليف ، وقد اعتمدت في ذلك على أدلة طالعتني في مؤلفاته ، من هذه الأدلة الزيادة الملحوظة في بعض المسائل اللغوية أو النحوية ، وهي زيادة توصل إليها ابن خالويه بالدراسة والاستقصاء ، من ذلك أنه ذكر (في إعراب ثلاثين سورة) أنَّ (ما) تنقسم في كلام العرب خمسة وعشرين قسما . ((و (ما) تنقسم في كتاب الله تعالى وفي كلام العرب خمسة وعشرين قسما ، قد افردت لها كتابا)) (١). ولكنها في (شرح مقصورة ابن دريد) تنقسم ثمانية وعشرين قسما : ((فما ها هنا تسمى كافة للعمل ، وتكون ما جحدا ، واسما ، وصلة ، وشرطا ، وتعجبا ، ومصدرا ، وتنقسم ثمانية وعشرين قسما قد أفردنا لذلك كتابا)) (٢).

ومن ذلك أيضا ما ذكره في (إعراب ثلاثين سورة) من معاني (الشفع والوتر) : (((والشفع) (٣): نسق عليه ، وهو آدم وحواء عليهما السلام . والوِتْر) (٤) نسق عليه ، وهو الله تبارك وتعالى)) (٥). ولكنه في شرحه لمقصورة شيخه يطالعنا بتخريجات أخر : : ((وقيل في قول الله تبارك وتعالى : (والشفع والوتر) : آدم عليه السلام وولده . وقيل (الشفع والوتر) : الصلوات الخمس ... وقيل الوتر الله تعالى ، والشفع خلقه ...)) (٦).

ويطالعنا في (شرح مقصورة ابن دريد) بزيادات على كل من (ليس في كلام العرب) و (الحجة في القراءات السبع) ، من ذلك استقصاؤه فيه لما جاء عن العرب مصغّرا ، إذْ ذكر منها ما يلي : القُصَيْرى (٧) ، والحُجَيْلى ،

---

(١) إعراب ثلاثين سورة : ٤٠

(٢) شرح مقصورة ابن دريد ، ورقة : ٢٣٤

(٣) الفجر : ٣

(٤) الفجر : ٣

(٥) إعراب ثلاثين سورة : ٧٤

(٦) شرح مقصورة ابن دريد ، ورقة : ٦٠ .

(٧) القصيرى : آخر الضلوع ، وقيل أولها .

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

والمُرَيْطاء ، والسُّويداء ، والسُّكَيْت ، والمُسَيْطِر ، والمُبَيْطِر ، والثُّرَيَّا ، والكُمَيْت :
((وقصيرى جاء مصغرا ، ومثله الحُجَيْلى ، ماء ، والمُرَيْطاء اسم جلدة سفل البطن ، والسُّويداء وسط القلب ، والسُّكَيْت الفرس الذى يجيء في السباق آخر الخيل ، والمُسَيْطِر ، والمُبَيْطِر ، والثُّرَيَّا ، وكُمَيْت للذكر والأنثى ....)) (١). ولم يطالعنا بهذا القدر من الأمثلة في مؤلفاته الأخرى (٢).

ومن ذلك أيضا أنه يطالعنا فيه بقراءة ابن مسعود : (لا يؤاخِذُكُم الله باللغا): ((قال ابن خالويه : قوله : لغو ولَغا مثله اللغو واللغا في الكلام ، قرأ ابن مسعود : (لا يؤاخِذُكم الله باللغا في أيمانكم) (٣). وقال رؤبة : (٤)
(عن اللغا ورفث التكلّم) (٥))) (٦).

والقراءة السابقة لم يدونها ابن خالويه في (مختصر في شواذ القرآن) في سورتي البقرة والمائدة .

ولعلّ ما يزيدني ثقة في هذه المسألة أنّ ابن خالويه يتحدث في شرحه عن المشيب ومحاسنه (٧)، وهي ظاهرة قد لا يتحدث عنها المرء إلاّ بعد لحاق سنه .

ولعلّي أذهب أيضا إلى أنّ (ليس في كلام العرب) ألفه ابن خالويه بعد لحاق سنّه أيضا وذلك لما طالعنا به من إشارات ذكرتها فيما مضى (٨).

---

(١) شرح مقصورة ابن دريد ، ورقة : ٦١ ـ ٦٢ ، وانظر في هذه المسألة الجمهرة ، ٣ : ٤٤٧ ـ ٤٤٨ .

(٢) انظر ليس في كلام العرب : ٣١، وإعراب ثلاثين سورة : ٧١ ، والحجة في القراءات السبع : ٣٠٨ .

(٣) البقرة : ٢٢٥ ، المائدة : ٨٩

(٤) ذكر ابن منظور في لسان العرب (لغو) أنّ ابن برى نسبه للعجاج .

(٥) البيت بتمامه :
ورب أسراب حجيج كُظّم عن اللغا ورفث التكلّم
انظر لسان العرب (لغو)

(٦) شرح مقصورة ابن دريد ، ورقة : ٢٢

(٧) انظر المصدر نفسه ، ورقة : ٢٦٩ . وانظر في ذلك ما مضى : ٢١٦

(٨) انظر في ذلك ما مضى : ١٩ ـ ٢٠

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

مؤلفاته اللغوية التي لم نعثـــــــــر
على مخطوطاتهـــــــــا

==========

لعلّ ما عرضناه من مؤلفات لغوية يقل بكثير عما فقد، إذ يستطيع القارئ أن يقف على ثروة لغوية هائلة ذهبت بها عوادي الدهر . وهذه الثروة تكمـــن في المؤلفات التالية :

١ . شرح ديوان ابن الحائك :

ذكر القفطي أنّ اللحجي ذكر في كتاب (الأترجة) أنّ ابن خالويه لما دخل اليمن ، وأقام بذمار شرح ديوان ابن الحائك ، فذكر غريبه وإعرابه ، وعلق على ذلـــك بقوله : ((قلت : ولم أعلم أنّ ابن خالويه دخل اليمن إلاّ من كتاب الأترجة هـــذا ، وهو كتاب غريب ، قليل الوجود ، اشتمل على ذكر شعر اليمن في الجاهلية والاســـلام الى قريب من زماننا هذا . وما رأيت به نسخة ولا من ذكره إلاّ نسخة واحدة جـــاءت في كتب الوالد ، أحضرت بعد وفاته من أرض اليمن)) (١).

ولعلّـه يختلف فيه عن شرحه لديوان أبي فراس الذي اقتصر فيه علـــى الرواية والتبويب وتوضيح الإشارات التاريخية الغامضة ، إذ يوضح فيه غريب الألفـــاظ وإعرابهـــا ، ويتفق في ذلك مع شرحه لمقصورة ابن دريد . ولعل ما يرجح نسبة هـــذا الشرح إليه إقباله على مثل هذه الشروح ، كشرحه لقصيدة نفطويه (٢) ، وشرحـــه لأرجوزة أبي نواس (٣) ، وشرحه لمقصورة شيخه ابن دريد .

٢ . كتاب الهـــــاذور :

لقد تعقب أبوعلي الفارسي الزجاجَ فيما أغفله في كتابه (معاني القرآن) فألف كتابا أسماه (الإغفال) ولكن ابن خالويه يرد عليه ذلك في كتاب (الهـــاذور) وينقض أبوعلي الفارسي ما قاله في كتاب يسميه (نقض الهـــاذور)(٤) ، وقـــــد نثر صاحب الخزانة مسائل منه (٥).

---

(١) انباه الرواه ١ : ٣٤٦ ، وأشار إلى ذلك أيضا صاحب إشارة التعيين الى تراجم النحاة واللغويين ، ورقة : ٢١٧ . وذكر السيوطي في بغية الوعاة ١ : ٤٩٨ أن ديوان ابن الحائك يقع في ستة مجلدات .

(٢) سيأتي الحديث عنه فيما بعد : ٢٧٤

(٣) سيأتي الحديث عنه فيما بعد : ٢٧٩

(٤) انظر خزانة الأدب ١ : ٣٤٦ ـ ٣٤٧ ، وانظر الفلاكة والمفلوكين : ١٠١

(٥) انظر المصدر نفسه ١ : ٣٤٦ ـ ٣٤٧ ، ٤ : ٣٤١ ـ ٣٤٣ .

أما لفظة الهاذور فلم تطالعنا في مظان اللغة ومعاجمها، ولعل المراد بها (الهاذر) الذي يتكلم كلاما لا يُعْبَأ به من حيث الخطأ والباطل [١] ويساعدنا في ذلك ما نقله البغدادي في خزانته عن أبي علي الفارسي في (نقض الهاذر): ((ثم ذكر هذرا، ليس من حكمة أن تتشاغل به، وإن كان جميع ما هذر به غير خال من هذا الحكم ....)) [٢].

٣٠ شرح فصيح ثعلب:

تسابق الشراح إلى شرح (فصيح ثعلب) لأهميته وإيجازه المتعمد حبا في توصيله إلى المتعلمين والمريدين، ((قال أبو العباس: هذا كتاب اختصرناه وأقللناه لتخف المؤونة فيه على متعلمه الصغير والكبير، وليعرف به فصيح الكلام، ولم نكبره بالتوسعة في اللغات وغريب الكلام، ولكن ألفناه على نحو ما ألف الناس ونسبوه إلى ما تلحن فيه العوام، والحمد لله كما هو أهله ووليه، وصلواته على محمد عبده ورسوله وسلامه)) [٣]. وشرحه كل من ابن درستويه، والزجاجي وابن جني، وأبي سهل محمد بن علي الهروي الذي سمّى شرحه (التلويح في شرح الفصيح) [٤]، والمرزوقي، واللبلي، وأبي علي عبد الكريم بن حسن السكري، والاسترابادي، وأبي البقاء العكبري وآخرون أفرد لهم حاجي خليفة ما يقارب العمود ونصفه في (كشف الظنون) [٥]. وحفظ لنا السيوطي بعض النقول من بعض هذه الشروح كشرح المرزوقي [٦] وابن درستويه [٧]، والبطليوسي [٨].

---

(١) انظر لسان العرب (هذر).

(٢) خزانة الأدب ١: ٣٥٢

(٣) فصيح ثعلب: ١٠٤

(٤) نشره الاستاذ محمد عبد المنعم خفاجي، ١٣٦٨ هـ، ١٩٤٩ م.

(٥) انظر ١: ١٢٧٣، وانظر المزهر ١: ٢٠١

(٦) انظر المزهر ١: ١٧٩، ٢٧٨، ٣٠٦، ٤٨٦، ٣: ٩٣، ١٠٣، ٢٩٣

(٧) انظر المصدر نفسه ١: ٣٠٧، ٢١٥، ٢٦٥، ٢٧٣، ٢٨٤، ٣٨٤، ٣٩٦، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٦، ٥٨١،
٢: ٤٧، ٥٨، ٧٠، ١٠٣، ١٠٩، ٢٩١، ٢٩٦، ٤٢٨.

(٨) انظر المصدر نفسه ١: ٢١٥، ٢٢٥، ٢٧٢، ٣٠٨، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٩٩،
٢: ٩٣، ١٠٧، ١٩٥، ٢٠١.

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

وتصدى إليه من ينتقده ، ومن هؤلاء أبو القاسم علي بن حمزة البصري في كتابه (التنبيه على ما في الفصيح من الغلط) ، ومنه نسخة خطية في (الاسكوريال)[١] والزجاج يؤلف نقدا عليه ، ومنه نسخة خطية في كتب الشنقيطي[٢] ،

أما شرح ابن خالويه فذكره ابن خير في فهرسته[٣] ونقل منه السيوطي في مواضع متعددة من (المزهر)[٤] واللبلي في شرحه للفصيح[٥]. والزبيدي في (تاج العروس)[٦].

ويزعم الأستاذ أسعد أطلس أن ابن جني من أقدم من شرحه[٧]، فان كان يريد أنه أول من شرحه فقد وهم لان ابن درستويه وابن خالويه قد سبقاه إلى ذلك .

ولعل ما يؤخذ على الأستاذ محمد المنعم خفاجي أنه لم يطلع على (المزهر) ليذكر من بين شراحه ايضا ابن درستويه وابن خالويه ، اذ اكتفى بالإشارة إلى ما هو مخطوط في دور الكتب وغيرها .

ويبدو أن شرحه لم يقتصر على ما يوجد في (الفصيح) من مسائل لغوية بل ذكر أخرى ، من ذلك استقصاؤه لصيغ المبالغة : ((قال ابن خالويه في شرح الفصيح : العرب تبني أسماء المبالغة إلى اثني عشر بناء : فعال كقساق .....))[٨]. ويتراءى لي أنه شرح واف وذلك لما يطالعنا عند مقارنته بالشروح الأخرى ، لنستمع

---

(١) انظر مقدمة الاستاذ محمد عبد المنعم خفاجي لفصيح ثعلب : ب

(٢) انظر المصدر نفسه والمكان نفسه

(٣) فهرست ما رواه ابن خير عن شيوخه : ٣٤٢ ـ ٣٤٣ .

(٤) انظر ١ : ٢١٣ ، ٢٢٥ ، ٢٣٨ ، ٣٠٣ ، ٣٧١ ، ٤٢٧ ، ٤٧٥ . ٢ : ٩٣ ، ٢٤٣ ، ٣٩٢ ، ٥٠٤ .

(٥) انظر ١ : ٣٦٧

(٦) انظر : ١٨ ـ ١٩ ، وانظر في ذلك ما مضى : ٥٠

(٧) انظر مجلة المجمع العلمي العربي ، دمشق ، ٣١ : ٣٥

(٨) المزهر في علوم اللغة ٢ : ٤٤٣ ـ ٤٤٤ . وانظر في ذلك باب اللغة : ٥٣٤

إليه في توضيحه للفظة (العوج) بفتح العين وكسرها : ((ابن خالويه في شرحه : يقال في كلّ ما لا يُرى عِوَج بالكسر ، وفيما يرى عَوَج بالفتح مثل الشجرة والعصا ، قال : فان قال قائل : قد أجمع العلماء على ما ذكرته فما وجه قوله تعالى : (لا ترى فيها عِوَجا) [1] والأرض مما يرى فلم لم تفتح العين ؟ فالجواب : أنّ محمد ابن القاسم أخبرنا أنه سمع ثعلبا يقول : إنّ العَوَج فيما يرى ويحاط به ، والعِوَج في الدين والأرض مما لا يحاط به ، وهذا حسن جدا فاعرفه)) [2]. وجاء في شرح المروزي ما يلي : (((وفي الدين والأمر عِوَج) بكسر العين أي اعوجاج (وفي العصا ونحوها عَوَج) بفتحها أي انعطاف وانحناء)) [3].

٤. المذكر والمؤنث :

ورد ذكره في كتب التراجم والطبقات [4] .

٥. المقصور والممدود :

والقول فيه مثل سابقه [5]. ويذكر السبكي [6] أن له كتابا في شرح المقصور والممدود ، ولعلّه يعني بذلك شرحه لمقصورة ابن دريد شيخه . ويذكر حاجي خليفة [7] أنه شرح المقصور والممدود لابن ولاد الذي طالعنا في مقدمته اسم ابن خالويه كما مر ، ولكن الكتاب يخلو من التعليقات أو الشروح المنسوبة إلى ابن خالويه أو غيره ، وغالب ظني أن ابن ولاد هو الذي نقل عن ابن خالويه تعريفه

---

(١) طه : ١٠٧

(٢) المزهر في علوم اللغة ٣ : ٢٩٢

(٣) فصيح ثعلب والشروح التي عليه : ٥٨

(٤) انظر طبقات النحاة واللغويين ، ورقة : ٣١٧ ، معجم الأدباء ٩ : ٢٠٤ ، وفيات الأعيان ١ : ٤٣٤ ، الفهرست : ٨٤ .
انباه الرواه ١ : ٣١٥ ، مرآة الجنان ٢ : ٣٩٥ ، كشف الظنون : ١٤٥٧ .

(٥) انظر طبقات النحاة واللغويين ، ورقة : ٣١٧ ، الفهرست : ٨٤
بغية الوعاة ١ : ٥٣ ، مرآة الجنان ٢ : ٣٩٥ .

(٦) انظر طبقات الشافعية ٢ : ٢١٣

(٧) انظر كشف الظنون : ١٤٦١ .

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

للمقصور : ((قال أبوعبد الله خالويه : وإنما سمي المقصور مقصورا لانه قصر عن المد والإعراب ، وحبس وأخذ من قوله تعالى : (حورٌ مَقْصورات في الخيام) (١) ..))(٢) ولا أستبعد مثل هذا النقل رغم كونهما متعاصرين ، فهو ينقل فيه أيضا عن أبي منصور الأزهري : ((أيضا التشايح ، وهو الجد في الأمر .. قال الأزهري(٣):

(وشايحت قبل اليوم إنك شيحُ)(٤))) (٥)

وما نسبه إليه يطالعنا به الأزهري منسوبا إلى الليث :((شايح أي قاتل وأنشد :

(وشايحت قبل اليوم إنك شيح))) (٦).

٠٦ كتاب الألفات :

ورد ذكره في كتب التراجم والطبقات (٧). ويطلق عليه بعضهم (٨) اسم كتاب (الألقاب) وهماً ، وينسب الأستاذ العاملي ذلك إلى التصحيف الذي أصاب كثيرا من مؤلفاتنا (٩)، ويتراءى لنا أنّ الأستاذ الفاضل كان على حق فيما مرّ ، وذلك لأن مثل هذا التأليف كان مألوفا آنذاك ، إذ يؤلف فيه كل من السيرافي ، والجعد أبي بكر صاحب بن كيسان ، والرماني ، وابن الأنباري (١٠)، وللزجاجي مؤلف في شرح الألف واللام (١١) ولعل خير ما يؤكد ما أذهب إليه أنّ ابن خالويه أشار إليه في مؤلفاته باسم (الألفات) : ((وألفات القطع ستّ شرحتها في كتاب الألفات)) (١٢).

---

(١) الرحمن : ٧٢

(٢) المقصور والممدود : ٥

(٣) الشاهد لأبي ذؤيب . انظر تاج العروس ٦ : حاشية (١) من الصفحة ٥١٥

(٤) البيت بتمامه :

بدرت إلى أولاهم فسبقتهم وشايحت قبل اليوم إنك شيح

انظر المصدر نفسه والمكان نفسه . وانظر لسان العرب (شيح) .

(٥) المقصور والممدود : ١٠٦

(٦) تهذيب اللغة ٥ : ١٤٨ وانظر لسان العرب شيح)

(٧) انظر معجم الأدباء ٩ : ٢٠٤ ، وفيات الأعيان ١ : ٤٣٤، الفهرست : ٨٤ بغية الوعاة ١ : ٥٣٠ .

(٨) انظر مرآة الجنان ٢ : ٣٩٥ ، وطبقات النحاة واللغويين ورقة : ٢١٧ ، وكشف الظنون ١٣٩٧ .

(٩) انظر اعيان الشيعة ٢٥ : ٦٠

(١٠) انظر في ذلك كله مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ٣٤: ٢٧٧، ٣٨٣، ٤٤٤ .

(١١) انظر المصدر نفسه ٣٤ : ٤٤٤

(١٢) اعراب ثلاثين سورة : ٣١

تأصيل | T’aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

وجاء في (القراءات) أيضا : ((وقد استقصيت على ذلك في كتاب الألفـــات))(١) وغالب ظني أنه اعتمد فيه على (شرح الألفات) الذى نسب إلى شيخه أبي بكـــر ابن الأنبارى ، الذى نشره السيد أبو محفوظ الكريم المعصومي في مجلة المجمـــع العلمي العربي (٢) وأوله : ((اعلم أن الألفات المبتدأ بهـا في أوائل الأفعـال ست : ألف أصل ، وألف قطع ، وألف وصل ، وألف الاستفهـام ، وألف المخبر عن نفسه ، وألف مالم يسم فاعله ....)) (٣).

٠٧ ساعات الليل :

ذكره ابن خالويه في (ليس في كلام العرب) : ((وساعات الليل مائـــة وخمسة وثلاثون اسما قد أفردنا لهـا كتابنـا نحو : هزيع من الليل .....)) (٤). وذكره صاحب الذريعة (٥) وصاحب أعيان الشيعة (٦).

٠٨ أسماء الأســـد :

أشارت إليه كتب التراجم والطبقات (٧). وقد ذكر فيه خمسمائة اســـم للأسد . ويزعم الأستاذ العاملي أن له كتابين في أسماء الأسد ، ذكر في أحدهما (١٣٠) اسما ، ثم زاد عليهـا في كتاب آخر فبلغت (٥٠٠) اسم (٨).

ولعلي لا أوافقه في ذلك لأن ابن خالويه يذكر في (ليس في كلام العرب) أنه جمع له خمسمائة اسم يستقصيهـا فيه : ((قال ابن خالويه : ليس فـــي جميع كلام العرب وكتب اللغة من اسماء الأسد الا ما قد كتبته لك ، وهي زهـــاء خمسمائة اسم وصفة فاعرف ذلك ....)) (٩). وينقل السيوطي من هذا المؤلـــف

---

(١) القراءات ، لوحة : ٤٥٠ ، وانظر لوحة : ٣١٦

(٢) انظر مجلة المجمع العلمي العربي ، بدمشق ، كانون الثاني ١٩٥٩ ، ٣٤ : ٢٧٥ـ٢٩٠

(٣) المصدر نفسه ٣٤ : ٢٨٣

(٤) ليس في كلام العرب : ٥٣

(٥) انظر ١ : ٢٧٢

(٦) انظر ٢٥ : ٥٨

(٧) انظر نزهة الألباء : ٢٣٠ ، انباه الرواة ١ : ٣٢٤ ، طبقات النحاة واللغويين ، ورقة : ٣١٧ ، معجم الأدباء ٩ : ٢٠٤ ، وفيات الأعيان ١ : ٤٣٤ ، طبقـــات الشافعية ٢ : ٢١٢ ، مرآة الجنان ٢ : ٣٩٥ ، وانظر كشف الظنون : ١٣٩٠ .

(٨) انظر اعيان الشيعة ٢٥ : ٥٧

(٩) ليس في كلام العرب ، الجزء الخامس ، ورقة : ٢٣٩ ـ ٢٤٧ .

في (همع الهوامع) : ((قال : ومن أغرب ما وقع في (فُعَل) الممنوع قسم هو علم جنس لا علم شخص، وذلك ما ذكره ابن خالويه في كتاب (الأسد) : جاء يُعَلَّقَ وُلَقَ بغير ألف ولام ولا يصرف)) (١).

٠٩ اسماء الله الحسنى :

ذكره في (إعراب ثلاثين سورة) : ((والذي أذهب اليه أنّ هذه الأسماء كلها صفات لله تبارك وتعالى وثناء عليه ، وهي الأسماء الحسنى ، كما قال الله : (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها) (٢). فسئل النبي صلى الله عليه وسلم عنها فقال : (تسعة وتسعون اسما مَنْ أحصاها دخل الجنة) (٣) وقد بينتها في كتاب مفرد ، واشتقاق كل اسم منها ومعناه ، لأني قد تحريت في هذا الكتاب الاختصار والإيجاز ما وجدت إليه سبيلا ليتعجل الانتفاع به ، ويسهل حفظه على من أراده . وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت)) (٤).

ويتراءى لي أنّ هذا النوع من التأليف كان يستهوي المؤلفين ، إذ يؤلف الزجاجي كتابا يسميه (أسماء الله تعالى وصفاته المستنبطة من التنزيل وما يتعلق بها من اللغات والمصادر والتأويل)) (٥). ويذكر الأستاذ مازن المبارك أنّ الذين تحدثوا عن الزجاجي لم يذكروا هذا المؤلف ، إذ أنّ حاجي خليفة عدّ واحدا وثلاثين عالما ممن ألف في هذا الموضوع ، ولم يذكر من بينهم من مات قبل سنة (٣٨٨هـ)، فالزجاجي في رأيه سبّاق في هذا الميدان (٦).

---

(١) همع الهوامع ١ : ٢٧

(٢) الأعراف : ١٨٠

(٣) انظر صحيح مسلم ٨ : ٦٣

(٤) اعراب ثلاثين سورة : ١٤

(٥) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ٣٤ : ٤٤٤ .
وتوجد نسخة مخطوطة منه في دار الكتب المصرية رقم (٣ ش لغة) وهي في (١٤٩) ورقة . وصورتها في معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، فيلم (٣١٢) .

(٦) انظر المصدر نفسه والمكان نفسه .

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

ولعل الزجاجي لم يكن سباقا فيه ، وذلك لأن ابن خالويه والمبـــــرد (١) والأزهري (٢) يؤلفون فيه . ويؤلف فيه أيضا أبو حامد الغزالي ، وابن الحكم بن برجان وأبوعبدالله الرازي ، وأبو بكر بن العربي ، (٣) والقشيري الذي ألف كتابا أسمـــــاه (شرح أسماء الله الحسنى) ، الذي كان من بين الكتب التي أهداها الأميـــــر جعفر والامير ادريس الحسيني الجزائري إلى دار الكتب الظاهرية ، وعددها (٧٣) مخطوطا (٤).

١٠ كتاب الآل :

ورد ذكره في كتب التراجم والطبقات (٥) ، ووصفه بعضهم بأنه لطيـــــف، وذكر ابن خالويه في أوله أن الآل ينقسم خمسة وعشرين قسما ، وذكر فيه الأئمـــة الاثني عشر ومواليدهم ووفياتهم وإمامتهم ، والذي دعاه إلى ذكرهم أنه تحدث عـــن آل محمد عليه السلام (٦) . وينسب إليه ابن حجر العسقلاني (٧) كتابا في إمامـــة علي كرّم الله وجهه ، قرأه عليه أبو الحسين النصيبي ، وتبعه في ذلك الخوانساري الأصبهاني (٨) الذي ينقل ما ذكره النجاشي (٩) . ولعل ما مرّ وهم من ابن حجـــر وصحبه لأن ابن خالويه لم يؤلف كتابا في إمامة علي بل جاء حديثه عنهم عرضا أثنـــاء

---

(١) انظر الفهرست : ٥٩

(٢) انظر مقدمة تهذيب اللغة ١ : ١٤ ، وكشف الظنون : ٥٠٠

(٣) انظر في ذلك كله البحر المحيط ٥ : ٤٢٩

(٤) انظر مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ٣٤ : ٦٩٥

(٥) انظر طبقات النحاة واللغويين ، ورقة : ٣١٧ ، والرجال : ٥٠ ، ومعجم الأدباء : ٩ : ٣٠٤ ، ووفيات الأعيان ١ : ٤٣٤ ، ومرآة الجنان ٢ : ٣٩٥ ، وكشـــف الظنون : ١٣٩٦ .

(٦) انظر في ذلك المصادر نفسها .

(٧) انظر لسان الميزان ٣ : ٢٦٧

(٨) انظر روضات الجنات : ٢٣٦

(٩) الرجال : ٥٠

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

حديثه عن محمد عليه السلام وآله لنستمع إليه في ذلك : ((والآل خمسة وعشرون شيئاً وقد أفردنا لها كتابا . فأما آل محمد صلى الله عليه وسلم فحقيقة من آل اليهم بحسب أو قرابة ... وآل العباس وآل أبي طالب ، علي وجعفر . وقد يجوز على المجاز أن يجعل كل مؤمن من آل محمد عليه السلام)) (١).

١١ . اشتقاق الشهور والأيام :

ذكره النجاشي في (رجاله) (٢). وقد طبع الجزء الأول منه في تسع وتسعين صفحة (٣)، وقد حاولت جاهدا أن أعثر عليه فلم أوفق . ونسبت إليه بعض كتب التراجم والطبقات كتابا آخر باسم (الاشتقاق)(٤). ونسب ياقوت الحموي والقفطي إليه كتابا آخر وهو (اشتقاق خالويه) (٥).

ولعلي أرى أن له ثلاثة كتب في هذا الميدان : اشتقاق الشهور والأيام ، والاشتقاق ، واشتقاق خالويه ، أما (اشتقاق الشهور والأيام) فلا يستبعد ان يؤلف في الشهور والأيام واشتقاقها لانه ألف في ساعات الليل . وأما (الاشتقاق) فلعله في الاشتقاق المعروف ، إذ كان مولعا به ، وخير دليل على ذلك ما طالعنا به في مؤلفاته (٦)، ولعله من الأسباب التي جعلت حاجي خليفة (٧) يصنفه مع كتب الاشتقاق ، ككتاب أبي اسحق الزجاج ، وكتاب أبي جعفر النحاس ، وكتاب أبي العباس المبرد وغيرها . وأما اشتقاق خالويه فلعله أراد أن يؤلف كتابا في اسمه ، وفيما يراد من لفظة (خالويه) وما يدور حولها من معان ، ويؤكد ما نذهب إليه أنه طالعنا بتوضيح المراد من لفظة (سيبويه) كما مر ، وأنه ألف كتابا في أسماء الله الحسنى واشتقاقاتها .

ويرى صاحب (الذريعة) (٨) أن هذه الكتب الثلاثة كتاب واحد ، ولكن الأستاذ العاملي (٩) يعتبرها ثلاثة كتب معتمدا في ذلك على ما ذكره ياقوت من أن اشتقاق خالويه غير الاشتقاق .

---

(١) شرح مقصورة ابن دريد ، ورقة : ٣٩

(٢) انظر صفحة : ٥٠

(٣) انظر الذريعة ، ٢ : ١٠١ ، وانظر تاريخ الأدب العربي ٢ : ٢٤٢

(٤) انظر طبقات النحاة واللغويين ، ورقة : ٣١٧ ، ووفيات الأعيان ١ : ٤٣٤ ، والفهرست : ٨٤ ، ومرآة الجنان ٢ : ٣٩٥ . وطبقات الشافعية ٢ : ٢١٢ . وانظر كشف الظنون : ١٣٩١ .

(٥) انظر انباه الرواه ١ : ٣٢٥ ، ومعجم الأدباء ٩ : ٢٠٤ .

(٦) انظر في هذه المسألة باب اللغة : ٣٣ ٥-٣٨ ٥

(٧) انظر كشف الظنون : ١٣٩١

(٨) انظر ١ : ٢٠١ (٩) انظر من اعيان الشيعة ٢٥ : ٥٨

تأصيل | T’aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

١٢ ٠ رسالة في شكاة العين :

لقد أغفلت كتب التراجم ذكره كما أغفلت ذكر غيره من مؤلفاته ، ولكن ابن خالويه كان حريصا على توثيق مؤلفاته ونسبتها إليه بالإحالة إليها في مؤلفات أخرى ، جاء في (إعراب ثلاثين سورة) ما يلي : ((والعين ثلاثون شيئا قد افردنا لها كتابا ، منها : العين خيار كل شيء ، والعين الجاسوس، والعين الدينار ، وعين الميزان ، وعين الإنسان ، وعين الماء ، وعين الركيّه ، والعين مطر يقيم أياما لا يقلع ، والعين تنشأ من قبل العين ، يعني من القبلة)) (١). وجاء في موضع آخر منه قوله : ((والعين تنقسم في كلام العرب ثلاثين قسما قد بينتها في رسالة شكاة العين)) (٢). وذكره أيضا في شرحه لمقصورة ابن دريد شيخه : ((والعين تنقسم ثلاثين قسما قد أوردتها في كتاب شكاة العين)) (٣). ووهم السيد سالم الكرنوكي (٤) في زعمه أنّ لابن خالويه كتابين هما كتاب العين ، وكتاب رسالة شكاة العين ، ولعلّ النصوص السابقة تشهد بأنهما كتاب واحد .

الكرنكوي

١٣ ٠ اطرغـــش:

ورد ذكره في كتب التراجم والطبقات (٥)، وذكر النجاشي في (رجاله) (٦) أنّ له كتابا حسنا في اللغة ، وزعم الخوانساري الأصبهاني (٧) أنّ (اطرغش) هو الذي ذكره النجاشي ، ونسب إلى السيوطي أيضا أنّه ذكر مؤلفا آخر له

---

(١) إعراب ثلاثين سورة : ١٧١ ٠ ذكر ابن دريد في الجمهرة خمسة عشر معنى من معانيها ، انظر ٣ : ١٤٥ ٠

(٢) المصدر نفسه : ٦٩

(٣) شرح مقصورة ابن دريد ، ورقة : ٦٧

(٤) انظر ترجمة ابن خالويه في خاتمة إعراب ثلاثين سورة : ٢٤٧ ٠

(٥) انظر الفهرست : ٨٤ ، انباه الرواة ١ : ٣٢٥ ، بغية الوعاة : ١ : ٥٣٠

(٦) انظر صفحة : ٥٠

(٧) الروضات : ٢٣٧ .

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

باسم (المرعش) . أما كون (اطرغش) كتابا حسنا في اللغة فلم يطالعنا في كتب التراجم والطبقات أو غيرها ، ولعلّ ما أراده النجاشي هو كتاب (ليس في كلام العرب) وهو كتاب نال من التقدير والثناء مكانة حسنة أشرنا إليها فيما مضى . وأما ما نسبه إلى السيوطي فلم نقف عليه في (بغية الوعاة) [1]، إذ ذكره السيوطي فيما باسم (اطرغش) .

ويزعم الأستاذ العاملي [2] أنه لا يعرف معناه . وكلمة (اطرغش) عربية أشارت إلى معناها معاجم اللغة ومظانها ، جاء في (القاموس المحيط) ما يلي : ((اطرغش تماثل من مرضه ، وتحرك وقام ومشى)) [3].

١٤ . شرح قصيدة في غريب اللغة لنفطويه :

لم يطالعنا به إلا حاجي خليفة [4]، ولعلّي أوافقه في ذلك لأن العلاقة بينه وبين شيخه كانت وثيقة جدا كما مر ، وابن خالويه كان مولعا بمثل هذه الشروح، ومطلع القصيدة كما ذكره حاجي خليفة هو :

ألا هل هاجك الربيع على الإقواء إذ قفر ..

١٥ . تصنيف في اللغة والفراسة :

ذكره ابن حجر العسقلاني في (لسانه) [5].

١٦ . زنبيل المدروز :

ورد ذكره في شفاء الغليل : ((المدروز : السائل ، عامية مولدة مبتذلة ، ولابن خالويه كتاب سماه (زنبيل المدروز)) [6] . أما المراد

---

(١) انظر ١ : ٥٣٠

(٢) أعيان الشيعة ٣٥ : ٦١

(٣) القاموس المحيط (طرغش) .

(٤) انظر كشف الظنون : ١٣٤٣

(٥) انظر لسان الميزان ٢ : ٣٦٧

(٦) شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل : ١٩١

من لفظة (الزِّنْبِيل) فهو الجراب أو الوعاء : ((والزَّنبيل ، والزِّنْبيل الجراب ، وقيل الوعاء يحمل فيه ، فاذا جمعوا قالوا : زنابيل ، وقيل الزِّنْبِيل خطأ ، وإنما هو زَبيل ، وجمعه زُبُل ، وزُبْلان ...)) (١). وأما لفظة (المدروز) فتعني زئبر الثوب وماءه ، جاء في (لسان العرب ما يلي) : ((الدِّرز واحد دروز الثوب ونحوه ، وهو فارسي معرّب ، ويقال للقمل والصِّئبان بنات الدروز ، والدِّرز زئبر الثوب وماءوه ، وهو دخيل ..)) (٢).

١٧. كتاب النسبة :

ذكره ابن خالويه في (القراءات) : ((.... نقول : العجم جمع واحدهم عجمي فيكون الفرق بين الواحد والجمع حذف الياء كقولك : عربي وعرب ، وروم وروم ، وهذا قد أحكمناه في كتاب النسبة)) (٣).

١٨. كتاب المئات :

ذكره في القراءات ، وهو يجمع أكثر من مائة اسم للرسول عليه السلام (٤).

١٩. الأفق :

ذكره في (ليس في كلام العرب) : ((ليس في كلام العرب اسم على (مفعل) إلا موكِل ومورِق ومَوْهِب . فأما الموهبة بالهاء فنقرة في صخرة يستقر فيها ماء السماء ، وأما المَوْرِقة فان العرب تقول : التجارة مَوْرِقة أي من اتجر كثر ورقه ، وأكل الثمر مورِدة اي محمّة من ورود الحُمّى ، ونهم الغداة مَجْفَرة مَجْمَرة (٥) ، (والولد مبخلة مجبنة) (٦).

---

(١) لسان العرب (زبل).
(٢) المصدر نفسه (درز).
(٣) القراءات ، لوحة : ٤٨٤
(٤) المصدر نفسه ، لوحة : ٥٣٥ . وانظر في ذلك ما مضى ٢٣٣:
(٥) يريد يبس الطبيعة .
مجفرة : تذهب شهوة النكاح .
(٦) حديث نبوي شريف ، انظر النهاية في غريب الحديث والاثر ١ : ١٠٣

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

والحرب مأيمة ، اى يقتل الرجل فتئيم امرأته ، وصلة الرحم منماة للمال منساة للعمر، وهذا باب قد أحكم في كتاب الأفق)) (١).

ونقل الزبيدى منه في (تاج العروس) : ((وحكى أبوعمرو : سيف حُدّاد مثل رُمّان ، وقد حكاهما ابن سيدة في (المحكم) وابن خالويه في (الأفق) ، واللبلي في (شرح الفصيح) ، قال ابن خالويه : ولا يقال سكين حادّ ، وهو قول الأكثر، قال شيخنا : وجوّزه بعض قياسا)) (٢).

٢٠ الجامع المشترك :

ذكره الزبيدى في (تاج العروس) : ((الملح : العلم ، والملح أيضا العلماء ، هكذا في اللسان ، وذكرهما ابن خالويه في كتابه (الجامع المشترك) والقزّاز في كتابه (الجامع))) (٣).

٢١ أمالي ابن خالويه :

ذكره ياقوت الحموى في (معجم الأدباء) (٤)، ونقل منه قصته مع سيف الدولة عندما سأله عن اسم ممدود جمع مقصورا . وجاء في (بغية الوعاة) ما يلي : ((وهذه فائدة رأيت ألاّ أخلي منها هذا الكتاب ، رأيت في تاريخ حلب لابن العديم بخطه ، قال : رأيت في جزء من أمالي ابن خالويه : سأل سيف الدولة جماعة من العلماء بحضرته ذات ليلة : هل تعرفون اسما ممدودا ، وجمعه مقصورا ؟ فقالوا : لا ، فقال لابن خالويه : ما تقول أنت ؟ قلت : أنا أعرف اسمين ، قال : ما هما ؟ قلت : لا أقول لك إلا بألف درهم ...)) (٥).

---

(١) ليس في كلام العرب : ٧٢

(٢) تاج العروس (حدد) .

(٣) المصدر نفسه (ملح) .

(٤) انظر ٩ : ٢٠٤

(٥) بغية الوعاة ١ : ٥٣٠

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

٢٢. الأبنيـــــــة :

أحـال اليه في كتابه (مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديـــع): ((قال ابن خالويه : هذه أحد ستة احرف شذت من (فَعَل يَفْعُل) قد ذكرتهـا في الأبنية)) (١). وغالب ظني أن أبا القاسم علي بن جعفر السعدي المعـــروف بابن القطاع قد اطلع على هذا المؤلف وذلك لما يطالعنا به السيوطي : ((قـــال أبو القاسم علي بن جعفر السعدي اللغوي المعروف بابن القطاع في كتاب (الأبنيـة): قد صنّف العلماء في أبنية الأسماء والأفعال واكثروا منها ، وما منهم من استوعبها وأوّل من ذكرها سيبويه في كتابه ، فأورد للأسماء ثلاثمائة مثال وثمانية أمثلـــــة ، وعنده أنه أتى به ، وكذلك أبو بكر بن السراج ذكر منها ما ذكره سيبويه ، وزاد عليه اثنين وعشرين مثالا . وزاد أبو عمر الجرمي أمثلة يسيرة ، وزاد ابن خالويه أمثلـــة يسيرة ، وما منهم إلا من ترك أضعاف ما ذكر)) (٢) .

٢٣. الأبيل المختار :

ذكره ابن خالويه في (العشرات) كما مرّ . ولعلّ ما يريده بلفظة (الأبيل) هو الراهب ، جاء في (إعراب ثلاثين سورة) ما يلي : ((والأبيل في غير هذا : الراهب، والوبيل : العصا يقال : رأيت أبيلا أي راهبا متكئا على وبيل يسوق أفيلا ، والأفيـل ولد الناقه ....)) (٣).

٢٤. القوافـــــي :

ورد ذكره في (العشرات)كما مر (٤).

---

(١) مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع : ٩ ــ ١٠

(٢) المزهر في علوم اللغة ٢ : ٤

(٣) اعراب ثلاثين سورة : ١٩٣

(٤) انظر في ذلك ما مضى : ٢٤٠

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

٣٥٠ تذكرتـــــه :

ذكره القفطي وقال : ((وهو مجموع ملكتـــه بخطه)) (١) ٠

٣٦٠ كتاب تقفية ما اختلف لفظه واتفق معناه لليزيدى :

طالعنا به القفطي في (انباه الرواه) (٢) ٠ ولعلّ دور ابن خالويـــــه يقتصر فيه على الرواية كما روى غيره ٠

٣٧٠ روايته لمختصر المزني عن أَبي بكر النيسابورى :

ذكره السبكي في (طبقات الشافعية) (٣) ٠

٣٨٠ روايته لكتاب (الأمثال) لأبي عبيـــــد
وتعليقاتـــه عليـــه :

ذكر رودلف زلهايم أن إحدى مخطوطات هذا المؤلف الموجودة فـــــي (كوبريللي) تحت رقم (١٢١٩ ك) تحتوى على تعليقات هامشية ترجع كلها إلى ابـــن خالويه الذى يروى النص فيها ٠ ويقدم ابن خالويه في المتن نصا خالصا لكتـــاب أَبي عبيدة ، ولعلّ عمله ينحصر بالإضافة إلى الرواية في بعض الملاحظـــــات التفسيرية (٤) ٠

٣٩٠ شرح كتاب الألفاظ الكتابية وزيادات عليه :

نسبه إليه يوهان فك (٥) ، ولكن ما ذكره لم يطالعني في هذا المؤلـــف عند عودتي إليه ، وغالب ظني أَنه رجع إلى مخطوط آخر يختلف عن ذلك الـــــذى أُخذ عنه المطبوع ٠

---

(١) انباه الرواة ١ : ٣٢٥

(٢) انظر ١ : ٣٢٥ ٠
انظر في هذا المؤلف مقدمة كتاب الأمالي صفحة : ز

(٣) انظر ٢ : ٣١٢

(٤) انظر الأمثال العربية القديمة : ٩٦ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ٠

(٥) انظر العربية : ١٤٩ ٠

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

٣٥٠ شرحه لأرجوزة أبي نواس :

ومطلعها :

وبلدة فيها زور صحراء تُخْطى في صَعَر

ويبدو أنه كان معجبا بأبي نواس لقوله في هذا الشرح : ((لولا ما غلب عليه من الهزل لاستشهد بكلامه في كتاب الله تعالى)) [١]. وذلك لأنه (أي ابو النواس) تعلم اللغة من أساطينها ورحل إلى البادية فأخذ عن العرب وحفظ لغاتهم وأتقنها . وقد قام بشرحها ايضا ابو الفتح بن جني [٢].

٣٥١ رسالة في أعضاء البدن التي تبتدئ بحرف الكاف :

ذكرها صاحب (ريحانة الأدب)، وهي في أكثر من مائة اسم . ويطالعنا في (ليس في كلام العرب) [٣] بباب خاص في غرائب خلق الانسان لا تبدأ بحرف الكاف .

٣٥٢ حكايات مقطعة :

أملاها عنه أبو القاسم المحسن بن الحسين بن علي كوجك في صيدا [٤].

---

(١) أخبار أبي نواس لابن منظور : ٢

(٢) توجد نسخة منه في دار الكتب المصرية رقم (٩ ش) .
انظر مقدمة الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي لكتاب الفصيح والشروح التي عليه : ب

(٣) انظر الجزء الخامس، الأوراق : ١٦٧ ـ ١٧٤

(٤) انظر ارشاد الأديب ٦ : ٢٤٩ .

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

الباب الثاني

ابن خالويه

في ميدان الدراسات النحوية

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

الفصـــــل الاوّل

ابن خالويه والمدارس النحويـــــة

لقد درس ابن خالويه آراء قدامى النحاة ،إمّا على شيوخه وإمّـــــا بالمعايشة لمؤلفاتهم كما مرّ ،فوعاها وأخرجها أحسن إخراج ،وحفظ بعضـــا منها من الضياع والاندثار ،ويكمن ذلك فى تسجيله آراء الأخفش وغيره فى مؤلفاته ،(١) ولم يكتف بنقل تلك الآراء وتدوينها بل يعلل لها ليقويها ،فلفظه الآن يعلـــل لاختلاف النحويين فى بنائها دون أنْ يرجح رأيا على الآخر : ((واختلف النحويون فى الآنِ ، قال الفراء رحمه الله : أصله (أوان) ،فقلبوا الواو الفا ،قـال : ويجوز أنْ يكون آن لك أن تفعل كذا ، أى حان ،فيكون فعلا ماضيا ،فلما دخلت الألف واللام عليه تركوه على فتحه ،كما قالوا : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قيل وقالِ ومنع وهات . وأنشـد (٢) :

تفقـا فوقه القَلع السّـــــــــوارى وُجنّ الخازبازِ بِهِ جُنونـــــا

فخازبازِ مبني على الكسر ، وحكم ما كان مبنيا إذا أضيف أو دخله ألف ولام أن يزول عنه البناء ويعرب ، فهذا الشاعر أدخل الألف واللام ، وبقي الاسم مبنيا ، والخازبازِ ، الذباب ، والخازباز : صوت الذباب ،والخازبازِ : داء يأخـذ فى الوجه فيقبحه . قال الشاعر (٣) :

(يا خازبازِ أرسل اللّهازِما) (٤) .

---

(١) ستتضح هذه المسألة فيما بعد ؛ ٢٩٢

(٢) نسبه أبو البركات بن الأنبارى لابن أحمر انظر الانصاف فى مسائل الخلاف ١ : ٣١٣ وانظر لسان العرب (فقأ ، قلع ،خوز) . وخزانة الأدب ٣ : ١٠٩

وانظر شرح المفصل ٤ : ١٢١ .

(٣) هو الراجز العدوى كما ذكره ابن يعيش فى شرحه على المفصل ٤ : ١٢٢ وانظر فى ذلك الانصاف فى مسائل الخلاف ١ : ٣١٥ . ولسان العرب (خوز)

(٤) هذا صدر بيت هو:

يا خازباز أرسل اللهازِمـا إني أخاف أن تكون لازمـــــا

انظر فى ذلك المصادر نفسهـا .

بناه على الكسر وفيها الألف واللام كما قال الآخر (١):

واني حبست اليومَ والأمسِ قبلَه (٢) ببابك حتى كادت الشمس تغرُبُ

ترك أمسِ مبنيا على الكسر مع الألف واللام . قال أبوعبد الله الحسين بن خالويه رضي الله عنه : وفيه لغات .... وقال سيبويه رحمه الله : الآن إشارة إلى وقت أنت فيه بمنزلة هذا ، والألف واللام تدخل لعهد تقدم ، فلما دخلت الألف واللام على الآن بغير عهد ترك مبنيا)) (٣).

ويطالعنا أحيانا باختيار رأي نحوي يعجبه ، فتعليل المبرد لبناء أمس أجود من تعليل غيره عنده : ((فأما قولهم : جئتك أمسِ ، وذهب أمسِ بما فيه فمبني على الكسر لست علل أجود هن قول المبرد : إن أمس لما كان يقع لكل يوم قبل اليوم الذي أنت فيه ، ولا يختص يوما بعينه صار مبهما فزال الإعراب عنه ، فالتقى ساكنان ، الميم والسين ، وكسروا السين لالتقاء الساكنين)) (٤).

وتحتوي مؤلفاته على عديد من مسائل الخلاف بين البصرة والكوفة ولو حاولنا استقصاء هذه المسائل لاستطعنا أنْ نستدرك على أبي البركات بن الأنباري بأخرى لم يدونها في إنصافه . ولم يكن ابن خالويه فيها متعصبا لهذه المدرسة أو لتلك ، فكل ما يريده خدمة الحقيقة ، وإظهارها في ثوب واضح لا يحتاج إلى جهد لاستكناه ما فيه . ويغاير ابن خالويه في هذا الموقف غيرَهُ من نحاة عصره في تعصبهم لهذه المدرسة أو لتلك في كثير من المسائل ، فابن جني يطالعنا في مؤلفاته بأن البصريين أصحابه (٥).

وسأحاول عرض بعض المسائل النحوية التي وقف فيها إلى جانب كل مدرسة، ويرتبط بذلك موقفه من نحويي كل منهما ومصطلحاته التي دارت في مؤلفاته ، مرجئا تصنيفه في مدرسة نحوية إلى نهاية المطاف .

---

(١) هو نصيب بن رباح :
انظر لسان العرب (أمس) . وشرح شذور الذهب : ١٠١
والخصائص ١ : ٣٩٤ ، ٣ : ٥٧

(٢) ويروى (وقفت) . انظر الخصائص ١ : ٣٩٤ ، ٣ : ٥٧ .

(٣) القراءات ، ورقة : ١٩١ ـ ١٩٢ . وانظر الحجة في القراءات السبع : ١٥٩، حيث ذكر رأي أبي العباس المبرد في ذلك .

(٤) شرح مقصورة ابن دريد ، ورقة : ٢١٢ .

(٥) انظر الخصائص ١ : ١٣٧ ، وسر صناعة الإعراب : ٢٩٠ ، ٣٠٦

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

ابن خالويه ومدرسة البصـــــرة :

كثيرا ما يطالعنا في مؤلفاته بعرض آراء مدرسة البصرة النحويـــــة ، إما بنسبة الرأى إلى المدرسة نفسها وإما بنسبته إلى نحوي أو أكثر من نحوييهـــا ، وتكثر الآراء النحوية البصرية كثرة مفرطة في مؤلفاته ، فشرحه لمقصورة ابن دريد شيخه خير شاهد على ذلك ، وغالبا ما يقابل ذلك بالرأى الكوفي في المسألة نفسها ، فحيث بنى عند البصريين لأنه اسم لكل مكان ، إذ لما دخله الإبهام زال الاعراب عنـــه ، أما الكوفيون فيعرض رأى الفراء أحد شيوخهم : ((بحيث : ظرف من المكان . فـــال أهل البصرة : إنما وجب فيه البناء لأنه اسم لكل مكان ، فلما دخله الإبهام زال عنه الإعراب . وحيث في الأمكنة مثل قبل وبعد في الأزمنة ، بني على الضم إذ زال عنـه الإعراب . قال سيبويه : عن الخليل حيث بالفتح مثل أين وكيف ومسموع عن العرب . وسمع الفراء حيث بالكسر ، وسمع الكسائي حوث بالواو . وبني على الضم عند الفـــراء إذ كان ضمنا معنى محلين ، تقول : الخصب حيث المطر ، ومن العرب من يخفض بحيث))[1].

وليبدو موقفه من البصريين أكثر وضوحا وجلاء أود أن أدون بعضا مـــن المسائل النحوية التي وقف فيها إلى جانبهم معززا هذا الاختيار بشواهد قرآنيـــة أو شواهد من كلام العرب ، نظمه ونثره ، وإليك ما يلي :

(١) حروف القسم لا تعمل بلا عوض [2] :

وافق البصريين في أن هذه الحروف لا تعمل إلا بعوض ، كألف الإستفهـــام أو هاء التنبيه : ((وحروف القسم أربعة ، أعني الأصول : الواو والباء والتاء والهمزة ، كقولك : والله وبالله وتالله وآلله (والسماء)[3] جر بواو القسم . وإنما جرت الـــواو لأنها عوض من الباء ، والتقدير : أحلف بالسماء ، ثم أسقطوا أحلف اختصارا ، إذ كـان المعنى مفهوما ، كما ترى رجلا قد سدد سهما ثم تسمع صوت القرطاس فتقـــول : القرطاس والله ، أى أصاب القرطاس))[4].

---

(١) شرح مقصورة ابن دريد ، ورقة : ٢٢٧

(٢) انظر في هذه المسألة الانصاف في مسائل الخلاف ، ١ : ٣٩٣ ـ ٣٩٩

(٣) الطارق : ١

(٤) اعراب ثلاثين سورة : ٣٧

أما الكوفيون فذهبوا إلى أنها تعمل محذوفة بلا عوض، واستدلوا على ذلك بما جاء عن العرب (آلله لتفعلن)، فيقول المجيب: ألله لأفعلن بألف واحدة، فيحذف ذلك بتقدير حرف الخفض وان كان محذوفا، وبما روي عن رؤبة أنه كان إذا قيل له: كيف أصبحت؟ يقول خير عافاك.

٢. حتى: حرف غاية ينصب الأفعال المستقبلة باضمار أن، ويجر الأسماء بإضمار إلى:

وافق البصريين في هذه المسألة: ((فالجواب في ذلك: أن حتى إذا كانت غاية خفضت الاسم بإضمار إلى، ونصبت الفعل بإضمار (أن)[٥]، كقولك: دخلت البلاد حتى الكوفة، أي: حتى انتهيت الى الكوفة والى مطلع الفجر. وأما الفعل فقولك: أسير حتى أدخلها أي أن أدخلها)) [٢].

أما الكوفيون فلا يقدرون مضمرا بعدها.

٣. عامل رفع المبتدأ الابتداء [٣]:

وافق البصريين في هذه المسألة، ولم يرتض ما قاله الكوفيون من أنهما يترافعان: ((فان قيل: لم رُفِعَ المبتدأ؟ فقل: لأن الابتداء أول الكلام، والرفع أول الاعراب، فاتبع الأول الأول)) [٤]. والقول نفسه مع ابن جني: ((الأول منهما كرفع المبتدأ، فاننا نحن نعتل لرفعه بالابتداء، على ما قد بيناه وأوضحناه من شرحه وتلخيص معناه. والكوفيون يرفعونه إما بالجزء الثاني الذي هو مرافعه عندهم، وإما بما يعود عليه من ذكره على حسب مواقعه)) [٥].

---

(١) في المخطوط (إلى)

(٢) القراءات، لوحة: ٦٢٣. وانظر إعراب ثلاثين سورة: ١٦٦
والحجة في القراءات السبع: ٧٢

(٣) انظر في هذه المسألة الإنصاف في مسائل الخلاف ١: ٤٤ - ٤٦

(٤) اعراب ثلاثين سورة: ١٨

(٥) الخصائص ١: ١٦٦

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

٠٤ اسم لا النافية للجنس مبني على الفتح إذا كان مفردا نكرة :

وافق البصريين في ذلك : ((قوله تعالى (لا لغوٌ فيها ولا تأثيم)[1] يقرأ بالنصب وطرح التنوين ، والرفع والتنوين فالحجة لمن نصب : أنه بنى الاسم مع لا كبناء خمسة عشر ، فحذف التنوين وبناه على الفتح ...)) [2].

أما الكوفيون فيرون أنه معرب منصوب بها ، وحذف التنوين بناء على الإضافة [3].

٠٥ رافع الفعل المضارع :

وافق البصريين في أنه يرفع لقيامه مقام الاسم : ((وذلك أن الفعل المضارع إذا حل محل الاسم ارتفع ، تقول رأيت زيدا يقوم ، معناه : رأيت زيدا قائما)) [4].

أما الكوفيون فذهبت أكثريتهم إلى أنه رفع لتعريه من النواصب والجوازم ، وذهب الكسائي إلى أنه يرتفع بالزوائد في أوله [5].

٠٦ تقديم التمييز على عامله :

يرى أكثر البصريين ومنهم سيبويه منع تقديم التمييز على عامله سواء كان متصرفا أو غير متصرف ، وتبعهم ابن خالويه في ذلك ؛ ((وقوله تعالى : (فله جزاء الحسنى) [6] قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم (فله جزاءً ") بالنصب منونا • فنصبه على ضربين : على المصدر في موضع الحال أي : فلهم الجنة مجزيون بها جزاء • وقال آخرون : نصب على التمييز ، وهذا فيه ضعف ، لأن التمييز يقبح تقديمه لقولك : تفقأ زيد شحما ، وتصبب عرقا ، وما في السماء موضع راحة سحابا ، وله دنٌ خلا • ويقبح : له خلا دنٌ • فأما عرقا تصبب فما أجازه من النحويين إلا المازني)) [7]. وتبع البصريين في ذلك كل من أبي علي الفارسي والفراء الكوفي [8].

---

(١) الطور : ٢٣

(٢) الحجة في القراءات السبع : ٣٠٦ • وانظر : ٧١

(٣) انظر في هذه المسألة الانصاف ١ : ٣٦٦ - ٣٦٧ •

(٤) اعراب ثلاثين سورة : ٣١٩ • وانظر : ٢٧

(٥) انظر في هذه المسألة الانصاف ٢ : ٥٥١ - ٥٥١ •

(٦) الكهف : ٨٨

(٧) القراءات ، لوحة : ٢٨٨ • وانظر الحجة في القراءات السبع : ٢٠٥

(٨) انظر في ذلك ارتشاف الضرب ، ورقة : ٢٤٥

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

أمّا الكوفيون فاختلفوا في جواز تقديمه ، إذ أجازه بعضهم كالكسائي وتبعهم في ذلك من البصريين أبوعثمان المازني ، وأبو العباس المبرد ، وأبوعمر الجرمي • وتبعهم فيما بعد أيضا كل من ابن مالك وأبي حيان النحوي لكثرة ما ورد عن العرب من شواهد (١).

٧٠ الجر على الجوار :

وافق البصريين في أنّ ذلك خاص بالضرورة الشعرية ، وما جاء عن العرب كقولهم : جحر ضب خرب (٢) ، حملوه على الشذوذ ، أو لأنّه جاء في المثل هكذا : ((وقوله تعالى : (وأرجلكم إلى الكعبين) (٣) قرأ ابن كثير وأبوعمرو وحمزة وأبو بكر عن عاصم (وأرجلكم) بالكسر ، وقرأ الباقون بالفتح ..... ومن كسر فحجته : أنّ الله تعالى أنزل القرآن بمسح الرجل ثم عادت السنة إلى الغسل ، وكذلك قال الشعبي والحسن • قال أبوعبيد : من قرأ (وأرجلِكم) بالكسر لزمه أنْ يمسح ، ومن ذكر أنّ من خفض (وأرجلِكم) خفضه على الجوار ، فهو غلط ، لأنْ الخفض على الجوار لغة لا تستعمل في القرآن ، وإنّما يكون لضرورة شاعر ، أو حرف يجرى كالمثل كقولهم : جحر ضب خرب ....)) (٤).

ويطالعنا في موضع آخر بعدم تخطئة ما مر ولكنه يعلل ما جاء من ذلك بوجه آخر : ((وقرأ الباقون (وزرعٍ ونخيلٍ صنوانٍ وغيرِ صنوان) (٥) بالجر كلها ، وذلك أنّ الزرع لما وقع بين النخيل والأعناب خفضوه للمجاورة ، والتقدير : جناتٍ من أعنابٍ ومن زرعٍ ومن نخيلٍ • وفيها جواب آخر : وذلك العرب تسمي كل نجم وشجر زرعا ، فيقولون عند الجدب وقحط المطر : هلك الزرع والضرع ، فيذهبون بالزرع الى كل ما ينبت وبالضرع الى كل ما يحلب ....)) (٦)

ويرى الفراء أنّ الخفض فيما مر رد على الأعناب : ((ثم قال : (وجناتٌ من أعنابٍ وزرع) (٧) فلك في الزرع وما بعده الرفع • ولو خفضت كان صوابا • فمن رفع جعله مردوداً على الجنات ، ومن خفض جعله مردوداً على الأعناب

---

(١) انظر في ذلك كله الإنصاف في مسائل الخلاف ٢ : ٨٢٨ ، وشرح ابن عقيل ١ : ٦٧٠ • وارتشاف الضرب ، ورقة : ٢٤٥

(٢) انظر في هذه المسألة الإنصاف في مسائل الخلاف ٢ : ٦٠٢ ـ ٦١٥ والخصائص ٢ : ١٧١ •

(٣) المائدة : ٦

(٤) القراءات ، لوحة : ٩٩ • وانظر الحجة في القراءات السبع : ١٠٤

(٥) الرعد : ٤

(٦) القراءات ، ورقة : ٢٢٣

(٧) الرعد : ٤

أَى من أعناب ومن كذا وكذا)) (١). ويأخذ أَبو البركات بن الأنبارى برأى الفـــراء، ويشير الى انَّ في جواز جره على الجوار خلافا : ((والجر بالعطف على أعنـــاب ، فتجعل الجنات من الزرع ، وهو قليل ... وقيل : إنه مجرور على الجوار ، وفـــي جوازه خلاف)) (٢).

ويأخذ الزمخشرى بالرأى الكوفي فيما بعد ويعارضه ابن الحاجب في ذلك (٣).

ولا أريد أَنْ أَمضي في استقصاء مسائل النحو التي وقف فيها إلى جانب البصريين لانها كثيرة لا يتسع الوقت لعرضها ، فهي تطالع القارئ في مؤلفاتـــه كثيرا ، ولا تحتاج إلى إعمال الفكر أَو التمحيص المرهق .

ولم يقف ابن خالويه في مؤلفاته موقف المؤيد أَو المعلل لآرائهـــم حبا في الدفاع عنها ، أَو تعصبا لهم ولمذهبهم ، ولكن لانه يرى أَنَّ ما ذهبـــوا إليه صحيح ، وخير شاهد على ذلك ما يطالعنا به من مواقف خطأهم فيها ، إذ لا يجرى رأيهم في عدم عطف الاسم الظاهر على الضمير المجرور بدون اعادة حـــرف الجر : ((وقرأ حمزة وحده (والأرحامِ) (٤) بالجر ، أراد تساءلون به وبالأرحـــام فأضمر الخافض على قول العجاج أنه كان إذا سئل كيف تجدك ؟ قال : خيـــر عافاك الله ، يريد (بخير) (٥). وقرأ الباقون بالنصب . اتقوا الله واتقوا الأرحـــام أن تقطعوها . قالوا : يبطل الخفض من جهات : أحدها أنَّ ظاهر المخفـــوض لا يعطف على (مكنى) (٦)، لا يقال : مررت بك وزيد لأن المضاف والمضاف إليـــه كالشيء الواحد إلا ضرورة لشاعر كما قال : (٧)

تُعَلَّقُ في مثل السوارى سيوفُنـــا وما بينها والكعـــبِ غُوطُ نفانِـــفُ

وزعم البصريون جميعا أَنَّه لحن . قال ابن خالويه رحمه الله : وليس لحنا عنـــدى لأن ابن مجاهد حدثنا بإسناد يعزيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم - أنـــه

---

(١) معاني القرآن العظيم ٢ : ٥٨

(٢) البيان في غريب إعراب القرآن ٢ : ٤٨

(٣) انظر القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية : ١٨٣

(٤) النساء : ١

(٥) في المخطوط (بخبرة)

(٦) في المخطوط (مكنية)

(٧) نسبه العيني (خزانة الأدب ٤: ١٦٤) إلى مسكين الدارمي في نقله عن حيوان الجاحظ: ((أقول : انشده الفراء ولم يعزه الى أحد . وقال الجاحظ في كتاب الحيوان : هو لمسكين الدارمي ، وهو من قصيدة طويلة وأولها هو قوله ...)). وانشد هذا الشاهد في الانصاف في مسائل الخلاف ٢ : ٤٦٥ . وشرح ابن يعيش على المفصل ٣ : ٧٩ . والبيان في غريب اعراب القرآن ١ : ٢٤١ .

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

قرأ (والأرحامِ) (١). ومع ذلك فإنّ حمزة كان لا يقرأ حرفاً إلّا بأثر، غير أنّ من أجاز الخفض في الأرحام أجمع من لم يجز أنّ النصب هو الاختيار)) (٢).

ومن ذلك أيضاً تخطئته لهم في أنّ الأمر مبني، اذ يجرى وراء الكوفيين في أنه مجزوم بلام أمر مقدرة حذفت لكثرة الاستعمال والتخفيف: ((قل) (٣)! أمر وعلامة الأمر سكون آخره. والأصل عند أهل البصرة: اُقْوُل على وزن اُقتل، فاستثقلوا الضمة على الواو فنقلوها إلى القاف، فلما تحركت القاف استغنوا عن ألف الوصل فصار قُوْل، فالتقى ساكنان، الواو واللام، فحذفوا الواو لالتقاء الساكنين. وعند أهل الكوفة الأصل: لِتَقُوْلْ فيجزمونه بلام الأمر، قالوا: ثم حذفنا حرف الاستقبال واللام في الأمر تخفيفا، فهو عندهم مجزوم بتلك اللام المقدرة وعند أهل البصرة لما حذفت تلك اللام وحرف المضارع صار موقوفا لا مجزوما، لأن العامل إذا وجد عمل، واذا فقد بطل عمله. ولو كان كما زعموا لكان الموجود معدوما والمعدوم موجودا. والدليل على أنّ الأصل اللام ردهم إيّاه في الغائب إذا قلت: ليذهبْ زيد، (لينفق ذو سعةٍ من سَعَتِه) (٤). فكذلك المأمور كان أصله لتفعل، فكثر استعماله فحذفوه. ومن العرب من يأتي في المخاطب على الأصل فيقول: لتذهبْ، ولتركبْ يا زيد. وقرأ النبي صلى الله عليه وسلم ـ (فبذلك فَلْتَفْرَحوا) (٥) بالتاء، وقد قرأ به من السبعة ابن عامر. وحدثني أحمد عن علي عن أبي عبيد عن اسماعيل بن جعفر عن أبي جعفر المدني أنه قرأ (فبذلك فلتفرحوا) بالتاء. ولا تحذف اللام في غائب إلّا في شاذ أو ضرورة شاعر. قال الشاعر (٦):

محمد تفدِ نَفْسَكَ كلُّ نفسٍ ... اذا ما خِفْتَ من أمرٍ وَبالا (٧)

---

(١) النساء: ١

(٢) القراءات، لوحة: ٨٧ ـ ٨٨. وانظر الحجة في القراءات السبع: ٩٤

(٣) الفلق: ١

(٤) الطلاق: ٧

(٥) يونس: ٥٨

(٦) نسبه ابن هشام في شرح شذور الذهب: ٢١١ إلى أبي طالب عم النبي وهو من شواهد سيبويه ١: ٤٠٨. ولم ينسبه. والقول نفسه مع الأعلم.

(٧) ويروى (تبالا). انظر المصادر نفسها.

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

أراد لتفدِ ، فحذف اللام)) (١) .

ولتبد و الصورة اكثر وضوحا أود أن أعرض موقفه من نحاة هذه المدرسة المشهورين كسيبويه ، والخليل ، والمبرد ، والأخفش ، وغيرهم ، إذ يتراءى لنا أنه يضع سيبويه في جانب وبقية النحويين في جانب آخر ، فالفعل المعتل الناقص تبقى ياءُه في حالة الجزم عند سيبويه في ضرورة الشعر : ((وقوله تعالى : (أنه من يتقِ ويصبر) (٢) قرأ ابن كثير فيما قرأتُ على ابن مجاهد على قنبل (من يتقي) بالياء وهو جزم بالشرط ، غير أن من العرب من يجرى المعتل مجرى الصحيح فيقول : زيد لم يقضي ، والاختيار (لم يقضِ) تسقط الياء للجزم ، وبهذا نزل القرآن ، وهي اللغة المختارة كما قال : (فاقضِ ما انت قاضٍ) (٣) ولم يقل : فاقضي ، وكان الأصل فيمن أثبت الياء بضم الياء في الرفع ، فلما انجزم سقطت الضمة ، وبقيت الياء ساكنة ، وانما تجوز هذه اللغة عند سيبويه وسائر النحويين في ضرورة شعر كما قال (٤) :

ألم يأتيك والأنباء تنمى ... بما لاقت لبونُ بني زياد

ولم يقل : ألم يأتِكَ)) (٥) .

وتكمن فيه عنده مدرسة البصرة ، إذ يطالعنا بنسبة رأيه إلى البصريين ، فالحال التي تقطع من النكرة تنسب إلى البصريين ، إذ يجوز أن تعرب لفظة مسخوطة في قول ابن دريد :

كم من أخٍ مسخوطةٍ أخلاقُه ... أصفيته الودّ لخلقٍ مرتضى

حالا حملا على رأى البصريين الذين يقطعون من النكرة حالا :

---

(١) إعراب ثلاثين سورة : ٢٣٢ ـ ٢٣٣

(٢) يوسف : ٩٠

(٣) طه : ٧٣

(٤) هو قيس بن زهير بن جذيمة بن رواحة العبسي . انظر : خزانة الأدب ٣ : ٥٣٤ ، المحتسب ١ : ٦٧ ، الكتاب ٢ : ٥٩ ، الإنصاف في مسائل الخلاف ١ : ٣٠ ، اوضح المسالك ١ : ٧٦ ، مغني اللبيب ١ : ١٥٤ ، شرح شواهد المغنى ٢ : ٨٠٨ ، لسان العرب (أتي) .

(٥) القراءات ، لوحة : ٢٢٠ ـ ٢٢١ .

((ويجوز النصب على الحال لأن البصريين يقطون حالا من النكرة ، وإن كان في المعرفة أجود ، قال الله تعالى : (خاشعةً أبصارُهم) (١)...)) (٢). والرأى نفسه نسبه الأشموني إلى سيبويه : ((وأجاز سيبويه : فيها رجلٌ قائما ...)) (٣).

ويعتمد على كتابه ، إذ ينقل منه في ميدان اللغة في مواضع متعددة (٤).

ويستحسن برأيه ورأى شيخه الخليل للرد على من يخطئ قراءة قوله تعالى : (وقولوا للناس حسنى) (٥) بألف التأنيث ، إذ يعتبرها معدولة عن الألف واللام حملا على قول الخليل وسيبويه في أُخَر في قوله تعالى : (وأُخَرُ متشابِهاتٌ) (٦) جمع أخرى فهي في رأيهما معدولة عن الألف واللام ، والقول نفسه مع (حسنى) : ((قال الأخفش: وقرأ بعضهم (وقولوا للناس حسنى) (٧) مثل (ولله الأسماءُ الحُسْنى) (٨) جعلها ألف التأنيث . قال البصريون : هذا غلط لأن الاسم الذى على فُعْلى لا يجوز إلا بالألف واللام مثل : الصغرى والكبرى . قال ابوعبدالله : قد يجوز لأن الخليل وسيبويه ذكرا أن قوله : (وأُخَرُ متشابِهاتٌ) جمع أخرى ، ولم يصرف أُخَر لأنه معدول من الألف واللام ، فيجوز أن يكون حُسْنى معدولا)) (٩).

---

(١) القلم : ٤٣

(٢) شرح مقصورة ابن دريد ، ورقة : ٢٠٢ ـ ٢٠٣

(٣) شرح الأشموني على الفية ابن مالك ١ : ٢٤٨

(٤) سيأتي الحديث عن هذه المسألة فيما بعد : ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٩، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٦، ٤٥٩، ٤٧٦، ٤٨١، ٤٩١ .

(٥) البقرة : ٨٣

(٦) آل عمران : ٧

(٧) البقرة : ٨٣

(٨) الأعراف : ١٨٠

(٩) القراءات ، لوحة : ٥٨

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

أمّا أبو العباس المبرد فهو عنده من حذاق النحويين : ((وقال المبرد والحذّاق من النحويين : ما مع الفعل مصدر ، والتقدير : والسماءِ وبنائِها ، فأقسم الله تعالى بالسماء وبنائها)) (١).

وأحيانا يختار رأيه في مسألة لأنه أجود الآراء ، فأمس بنية لست علل ، وأجود هذه العلل قول أبي العباس المبرد الذي ذهب إلى أنّ أمس بنيت لكونها تقع لكل يوم قبل اليوم الذي أنت فيه ، ولا تختصّ يوما بعينه ، فصارت مبهمة لذلك زال الإعراب ، فكسروا السين لالتقاء الساكنين (٢).

ويستحسن به في احتجاجه لبعض القراءات القرآنية : ((فأما من روى عن ابن عامر (فبهُداهُم اقْتَدِهِ) (٣) فقد أخطأ ، ويحذف في الوصل لأن الكلام الذي بعده صار عوضا منها ، وهو اختيار أبي العباس المبرد)) (٤). وهي في نظره ليست صحيحة : ((فأما ابن عامر فإنّه قرأ (اقتدِهِ) بكسر الهاء ، وغلط لأن هاء السكت لا يجوز حركتها)) (٥).

وأحيانا يعرض رأيه في مسألة نحوية لأنه رأي البصريين ، ويقابله برأي الكوفيين في المسألة نفسها : ((قال أهل الكوفة : الشيء لا يضاف إلى نفسه . وانما قدّروا في هؤلاء الأحرف الأوّل نوعا والثاني جنسا ، فأضافوا النوع إلى الجنس . وقال المبرد : ها هنا مضمر محذوف ، والتقدير : صلاة وقت الظهر ، وصلاة وقت العصر)) (٦). ورأي المبرد هو رأي كل من الأخفش وابن السراج وأبي علي الفارسي وجمهور البصريين (٧).

---

(١) آعراب ثلاثين سورة : ٩٨

(٢) انظر شرح مقصورة ابن دريد ، ورقة : ٢١٢ ، والمقتضب ٣ : ١٧٣ .
وانظر في ذلك ما مضى : ٢٨٢

(٣) الأنعام : ٩٠

(٤) القراءات ، لوحة : ٦٤

(٥) المصدر نفسه ، لوحة : ١١٤ ـ ١١٥ . وانظر الحجة في القراءات السبع : ١٢٠

(٦) اعراب ثلاثين سورة : ١٦٩

(٧) انظر ارتشاف الضرب ، ورقة : ٢٧٥ .

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

ويطالعنا ابن خالويه باستدراكات عليه لتلحينه بعض القراءات القرآنية : ((وقوله تعالى : (وما يَبُثُّ من دابةٍ) (١) (وتصريفِ الرياح آياتٌ) (٢) قرأ حمزة والكسائي بخفض التاء على أنه في موضع نصب رداً على إنّ ، وإنما كسرت التاء لأنها غير أصلية ، وقال المبرد : هو لحن عندي لأنه عطف على عاملين ، على إنّ وفي . وكان الأخفش يرى العطف على عاملين فيقول: مررت بزيدٍ في الدار والحجرةِ عمروٍ ويحتج بقول الشاعر : (٣)

أكلّ امرئٍ تحسبين امرأً ونارٍ تأجّج للحربِ نارا

ومن خفض التاء فله حجة أجود مما مضى وذلك أن يجعل آيات الثانية بدلا من الأولى ، فيكون غير عاطف على عاملين . وكأنّ أبا العباس ذهب هذا عليه حتى لحنّ من كسر وقد قرأ بذلك إمامان ....)) (٤).

أما الاخفش فيتراءى لي ميل ابن خالويه إلى التخصص في الاحتفاظ بآرائه النادرة ، وغالبا ما يدون رأيه النحوي دون أن يشير إلى خطئه أو ضعفه ، فهو يدون تعليله لعدم اصطحاب من لخير وشر في حالة المفاضلة ، إذ يذهب الأخفش إلى أنهما ينصرفان فحذفت الفهما لمفارقتهما لنظائرهما : ((فان قال قائل : جميع ما في كلام العرب أفعلُ من كذا في معنى التفاضل يجيء بالألف نحو قولك : زيد أفضل من عمرو ، وزيد أكتبُ من خالد إلاّ في خير وشر فإنهم قالوا : زيدٌ خيرٌ من عمرٍو وشرٌ من عمرٍو ، ولم يقولوا أخيرُ ولا أشرّ ، فلم أسقطوا الألف من هذين ؟ فقل : لعلتين ، إحداهما : أن خيرا وشرا كثر استعمالهما فحذفت ألفهما . وقال الأخفش: جميع ما يقال فيه أفعلُ من كذا لا ينصرف إلاّ خيرا وشرا فانهما ينصرفان ، فحذفت ألفهما إذ فارقا نظائرهما)) (٥).

---

(١) الجاثية : ٤

(٢) الجاثية : ٥

(٣) هو أبو دواد الإيادي ، اسمه جارية بن الحجاج . وقيل : جارية بن حمدان الحذاقي الايادي ، وقيل : جويرة بن الحجاج . انظر شرح شواهد المغني ٢ : ٧٠٠ وانظر الكتاب ١ : ٣٣ .
والانصاف في مسائل الخلاف ٢ : ٤٧٣ ، ومغني اللبيب ١ : ٢٩٠ ، وشرح شواهد المغني ٢ : ٧٠٠ .

(٤) القراءات ، لوحة : ٥٠٣ ـ ٥٠٤

(٥) اعراب ثلاثين سورة : ٢٣٤ .

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

وبالرغم من مخالفة الأخفش للنحويين في أنّ قوله تعالى : (علمَ اليقين)[1] نصب على حذف الواو ، وهو في الأصل قسم لم يخطئه ابن خالويه : ((علـــــــم : نصب على المصدر أيْ تعلمون ذلك علما يقينا حقا لا شك فيه : فهذا قول النحويين إلاّ الأخفش فانه قال : ينتصب علم اليقين على حذف الواو ، وهو قسم ، والأصل : وعلمِ اليقين ، فلما نزعت الواو نصبت ، كما تقول : والله لأذهبنّ ، فاذا حذفت قلت : اللهَ لأذهبنّ .

قال امرؤ القيس:

فقالت يمينَ اللهِ مالك حيلـــــــــة ووما إن أرى عنكَ الغِوايةَ تنجْلـــي

اراد : فقالت ويمينِ الله ، فلما حذف الواو نصب))[2] .

وأما ابو زيد الأنصاري فهو عند ابن خالويه ثقة[3] . والقول نفســـــــه مع أبي عمر الجرمي[4] ، وما ينقله عنهما يكاد ينحصر في المسائل اللغوية .

وأما ابو عبيدة فلا يرتضي قوله في معظم نقوله عنه ، ولعل ذلك يعـــود إلى تخطئته لبعض القراءات القرآنية التي دعاه خروجها عن القياس إلى تخطئتهـــا : ((وقرأ عاصم وحمزة (نُوَلِه ونُصْلِه)[5] بالإسكان . قال أبو عبيد : من أسكـــــن الهاء فقد أخطأ لأنّ الهاء اسم والأسماء لا تجزم . قال أبو عبدالله الحسين بـــن خالويه رضي الله عنه : ليس ذلك غلطا ، وذلك لأن الهاء لما اتصلت بالفعـــــل صارت معه كالشيء الواحد خففوها بالإسكان ، وليس كلّ سكون جزما ، والدليل علـــى ذلك أنّ ابا عمرو قرأ (وهو خادعهم)[6] فأسكن تخفيفا))[7] .

ومهما يكن فإن ابن خالويه لم يتعصب كما مرّ لهذا أو لذاك ، لبصـــــرى أو لكوفي ، إذ يهمه من ذلك كله إبراز الحقيقة في ثوب جلي لا يشوبه شائب ، لأنهـــا لا تستدعي تعصبا مذهبيا ، أو انخداعا بأقوال شيخ من الشيوخ .

---

(١) التكاثر : ٥

(٢) اعراب ثلاثين سورة : ١٦٨ ـ ١٦٩

(٣) انظر القراءات ، لوحة : ٣٢٢

(٤) انظر شرح مقصورة ابن دريد ، ورقة : ٢٠٤ . والقراءات ، اللوحات : ١٣٤

(٥) من قوله تعالى : (نولّه ونصله جهنم وساءت مصيرا) النساء : ١١٥

(٦) النساء : ١٤٢

(٧) القراءات ، لوحة : ٧٩

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

والقول نفسه مع مدرسة الكوفة ورجالاتها ، إذ لم يطالعنا بعصبية مذهبية ، لأن الحقيقة العلمية هدفه ومراده . وليتضح ذلك أود أن انهج النهج السابق ، إذ سأعرض بعضا من المسائل النحوية التي وقف فيها إلى جانبهم ، وسأتبع ذلك بما وقعت عليه من توهين لهم في بعض المواقف . وتكثر المواقف التي يجري فيها رأيهم في مؤلفاته ، وأختار منها ما يلي :

١ . ينصب المضارع بعد اللام والفاء بهما وليس بأن المضمرة :

وافق الكوفيين في هذه المسألة : (((إلاّ ليعبدوا الله) [1] ، إلاّ : تحقيق بعد جحد . ليعبدوا : نصب بلام كي ، وعلامة النصب حذف النون ، وكان الأصل ليعبدون . واسم الله تعالى في موضع نصب)) [2].

أما الفاء فذهب بعض الكوفيين [3] إلى أنّ ما بعدها منصوب بالمخالفة ، وذهب آخرون إلى أنّ الفاء هي الناصبة ، وهو قول ابن خالويه فيما بعد : ((وقوله تعالى : (يا ليتنا نردُّ ولا نكذِّبَ) [4] قرأ حمزة وحفص (نكذِّب) (ونكونَ) جعلوه جواب التمني ، لأنّ الجواب بالواو ينصب كما ينصب بالفاء كقول الشاعر [5]:

لا تنهَ عن خلق وتأتيَ مثلَه ... عارٌ عليك إذا فعلتَ عظيمُ

.....)) [6].

---

(١) البينة : ٥

(٢) اعراب ثلاثين سورة ١٤٥ وانظر في هذه المسألة الإنصاف في مسائل الخلاف ٢ : ٥٧٥ .

(٣) انظر في هذه المسألة الانصاف : ٢ : ٥٥٧ وشرح الأشموني على ألفية ابن مالك ٣ : ٥٦٤ ـ ٥٦٥

(٤) الأنعام : ٢٧

(٥) اختلف في قائله ، إذ نسب إلى المتوكل الكناني ، وإلى سابق البربري ، وإلى أبي الأسود الدؤلي ، والى الطرماح ، والى حسان ، والى الأخطل ، ويرجح انه للمتوكل اولأبي الاسود الدؤلي .
انظر في ذلك شرح شواهد المغني ٢ : ٧٧٩ ـ ٧٨٠ ، وخزانة الأدب ٣ : ٦١٧ ـ ٦١٨ . واستشهد به سيبويه ١ : ٤٢٤ .

(٦) القراءات ، لوحة : ١٠٧ . وانظر الحجة في القراءات السبع : ١١٢

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

أما عامل النصب بعد واو المعية فذهب الكوفيون إلى أنّ الفعل في مثل قولنا : لا تأكلِ السمك وتشربَ اللبن منصوب على الصرف . أما البصريون فذهبوا إلى أنّه منصوب بإضمار أنْ . وذهب أبو عمر الجرمي إلى أنّه منصوب بها ، وهو قول ابن خالويه فيما بعد (١).

٢ . إضافة الشيء إلى نفسه :

أجاز ابن خالويه إضافة الشيء إلى نفسه ، أو الموصوف إلى صفته ، وذلك لوروده عن العرب : ((وذلك دينُ القيمة) (٢) ذلك : رفع بالابتداء ، وهو إشارة الى ما تقدم من إيتاء الزكاة وإقامة الصلاة . ودين : رفع خبر الابتداء ، والقيمة : جرّ بالإضافة فان قيل لك : الدين هو القيمة ، فلم لم يقل : وذلك الدين القيمة ؟ فقل : العرب تضيف الشيء إلى نعته نحو قولهم : صلاة الظهر ، وحبّ الحصيد ... وقال آخرون : إنما التقدير : وذلك دينُ الملة القيمة ، وذلك دينُ الحنيفية القيمة ، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه ، كما قال الله عزّ وجل : (واسأل القريةَ التي كنا فيها) (٣) أي : اسأل اهلَها)) (٤).

وجاء في القراءات أيضا ما يلي : ((وقرأ الباقون (بشهابِ قبسٍ) (٥) مضافا ، فيكون على ضربين : بشهابٍ من قبس ، أو يكون قد أضاف الشيء إلى نفسه)) (٦).

ويرى الكوفيون ذلك بشرط اختلاف اللفظين : ((قوله تعالى : (دينُ القيمة) (٧) : أي الملة القيمة ، فحذف الموصوف وأقام الصفة مقامه ، ولولا هذا التقدير لكان ذلك يؤدي إلى إضافة الشيء إلى نفسه ، وذلك لا يجوز وأجازه الكوفيون إذا اختلف

---

(١) القراءات ، لوحة : ١٠٧ . وانظر الحجة في القراءات السبع : ١١٢

(٢) البينة : ٥

(٣) يوسف : ٨٢

(٤) اعراب ثلاثين سورة : ١٤٧ . وانظر مثالا آخر : ١٦٩

(٥) النمل : ٧

(٦) القراءات ، لوحة : ٣٨٨

(٧) البينة : ١

لفظ المضاف والمضاف اليه ، وإن كانا بمعنى واحد)) (١) . ووافقهم فى ذلك كل من الزمخشرى وابن الطراوه (٢) وابن خروف .

٣ . اسماء الزمان تبنى على الفتح إذا أضيفت إلى الماضى أو المضارع :

وافق الكوفيين فى هذه المسأله : ((وقوله تعالى : (هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم) (٣) قرأ نافع وحده (هذا يومَ ينفع) بالنصب . وقرأ الباقون بالرفع، فمن رفع جعل هذا رفعا بالابتداء ، وجعل اليوم خبره ، ومن نصب ففيه وجهان : أحدهما أن يكون جعله ظرفا ، والتقدير : هذا يوم نفع الصادقين والوجه الثانى : أن العرب اذا أضافت (٤) اسم الزمان الى الفعل الماضى والمستقبل فتحت لأن الإضافه إلى الأفعال إضافه غير محضه ، كما قال الشاعر (٥) :

على حين عاتبت المشيب (بمفرقسى) وقلت: ألمّا (أصح) (٧) والشيب وازع

فأضاف اسم الزمان إلى الأفعال فى المعنى ، والتقدير: هذا يوم نفع الصادقين لأن الجمله فى معنى المصدر . . . . .)) (٨) .

أما البصريون فيرون أن الظرف يبنى اذا أضيف الى مبنى كالفعل الماضى ، قال أبو البركات بن الأنبارى معلقا على القراءه السابقه : ((ويجوز أن يكون متعلقا بمحذوف مقدر وتقديره : هذا واقع يوم ينفع ، فحذف واقع، ويجوز على قول الفراء : أن يكون مبنيا على الفتح لاضافته الى الفعل ، فعلى هذا يجوز أن يكون فى موضع رفع وأن يكون فى موضع نصب ، وهذا ضعيف لأن الظرف إنما يبنى إذا أضيف إلى مبنى كالفعل الماضى أو إذ كقوله تعالى : (ومن خزي يومئذ (٩) ينفع

---

(١) البيان فى غريب اعراب القرآن ٢ : ٥٢٥ . وانظر فى هذه المسأله ارتشاف الضرب، ورقه : ٢٧٥ . ومعانى القرآن العظيم ٣ : ٢٨٢، ٣ : ٧٦

(٢) انظر فى ذلك شرح الاشمونى على ألفية ابن مالك ٢ : ٣١١

(٣) المائده : ١١٩

(٤) فى المخطوط (اذ)

(٥) هو النابغه الذبيانى .
انظر الكتاب ١ : ٣٦٩ . والانصاف فى مسائل الخلاف ١ : ٢٩٢ ، وشرح شواهد المغنى ٢ : ٨١٦، ٨٨٣ .

(٦) ويروى (على الصبّا) . انظر فى ذلك المصادر نفسها .

(٧) ويروى (تصح) . انظر فى ذلك المصادر نفسها .

(٨) القراءات، لوحة : ١٠٥ — ١٠٦ .

(٩) هود : ٦٦

تأصيل | T’aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

فعـــل مضارع معرب ، فلا يبنى الظرف لإضافته اليه ، فلهذا كان هذا القـــــول ضعيفا)) (١).

٤٠ اجازة إقامة المصدر مقام الفاعل مع مفعول صحيح :

أجاز ابن خالويه ذلك قياسا على قراءة أبي جعفر (لِيُجْزَى قوما) (٢) علـــى مالم يسمّ فاعله : ((وفيها قراءة ثالثة حدثني أحمد عن علي عن أبي عبيد قـــــال : قرأ ابو جعفر (لِيُجْزَى قوماً)على ما لم يسمّ فاعله . فان قيل : لم نصـــــــب قوما ؟ فقل : أضمر المصدر ، والتقدير : ليجزى الجزاءُ قوما ....)) (٣).

والرأى السابق للكوفيين ، وهو رأي يرفضه البصريون ، لنستمع إلى تعقيـــب أبي البركات بن الأنباري على القراءة السابقة : ((ومن قرأ (لِيُجْزَى) نصب قومـــــا على تقدير : ليجزى الجزاءُ قوما . وهذا لا يستقيم على مذهب البصريين ، لأنّ المصدر لا يجوز إقامته مقام الفاعل مع مفعول صحيح (٤). وأجازه الأخفش والكوفيون (٥). وقـــــد بينا ذلك مستوفى في المسائل البخارية))

ولولا التأويل الذى أشار إليه ابن خالويه لاعتبر الفراء ذلك لحنا : ((وقد قرأ بعض القراء فيما ذكر لي : (لِيُجْزَى قوما) ، وهو في الظاهر لحن ، فان كان أُضمر في (يجزى) فعلا يقع به الرفع كما تقول : أُعطي ثوبا ليجزى ذلك الجزاءُ قومـــــا فهو وجه)) (٦).

---

(١) البيان في غريب اعراب القرآن ١ : ٣١١ . وانظر في ذلك إملاء ما من به الرحمن ١ : ١٣١ .

(٢) الجاثية : ١٤

(٣) القراءات ، لوحة : ٥٠٤

(٤) لم يشر محققو كل من البيان في غريب إعراب القرآن ، ونزهة الألباء إلى هـــذه المسائل . وذكر السيوطي كتابا آخر باسم (رتبة الانسانية في المسائل الخراسانية) . انظر بغية الوعاة ٢ : ٨٧ .

(٥) البيان في غريب اعراب القرآن الكريم ٢ : ٣٦٥ . وانظر إملاء ما من به الرحمن ٢ : ١٢٢ .

(٦) معاني القرآن العظيم ٣ : ٤٦ .

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

٥٠ المبتدأ عندما يكون وصفا رافعا لمكتفى به :

أجاز ابن خالويه أن يكون المبتدأ وصفا نكرة رافعا لفاعل سدّ مسدّ الخبر ، ولم يشترط أنْ يتقدمه نفي أو استفهام ، نحو : أقائم هذان : ((وقوله تعالى : (سواءً مَحْيَاهُمْ) [١] قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم (سواءً) نصبا ، يجعلونه مفعولا ثانيا من (يجعلهم) ، والهاء والميم المفعول الأول .... وقرأ الباقون (سواءٌ) بالرفع جعلوه مبتدأ ، وما بعده خبر عنه ..)) [٢] . ويفهم من هذا النص أنه أجاز أنْ يكون (سواء) مبتدأ بعد الوقف على (وعملوا الصالحات) [٣] ، فيحمل ذلك على معنى مستو ، ومحياهم فاعل سدّ مسدّ الخبر .

وسواء عند أبي البركات بن الأنباري خبر مقدم : ((و (سواء) ، يقرأ بالرفع والنصب ، فالرفع على أنْ يكون (مَحْيَاهُم) مبتدأ ، (ومماتُهم) عطف عليه ، وسواءٌ خبر مقدم)) [٤] . والقول نفسه مع أبي البقاء العكبري [٥] .

أما ابو حيان النحوي فأشار إلى أنّ من اعتبر سواء مبتدأ في حالة الرفع أجاز الابتداء بالنكرة دون مسوّغ : ((وقرأ الجمهور (سواءٌ) بالرفع ، ومماتهم بالرفع أيضا . وأعربوا سواء مبتدأ وخبره ما بعده ، ولا مسوّغ لجواز الابتداء به ، بل هو خبر مقدم ، وما بعده المبتدأ ، والجملة خبر مستأنف ...)) [٦] . ولولا حمل سواء على مستو لانفرد ابن خالويه بإجازة الابتداء بالنكرة دون مسوّغ ، وجعل المعرفة خبرا للنكرة .

---

(١) الجاثية : ٢١

(٢) القراءات ، لوحة : ٥٠٤ - ٥٠٥ .

(٣) الجاثية : ٢١

(٤) البيان في غريب اعراب القرآن ٢ : ٣٦٥

(٥) انظر إملاء ما منّ به الرحمن ٢ : ١٢٥

(٦) البحر المحيط ٨ : ٤٧ . وانظر في ذلك إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج ٣ : ٩١٧ ، وسيبويه والقراءات : ١٧ - ٢٥ .

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

٦ • فعل الأمر معرب :

وافق الكوفيين في أنه معرب مجزوم بلام مقدرة (١). وهو عند البصريين مبني لأن العامل إذا حذف بطل عمله (٢).

٧ • الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول :

أجاز ابن خالويه الفصل بين المضاف والمضاف إليه بغير الظروف وحروف الخفض في الشعر ضرورة : ((وقوله تعالى : (وكذلك زيّن لكثيرٍ من المشركين قتلُ أولادِهم شركاءُهم) (٣)، فالأولاد في موضع نصب ، وشركاءُ وهم يرتفعون بفعلهم وفعلهم التزيين ، والتقدير : وكذلك زيّن شركاءَ وهم أن قتل كثير من المشركين أولادَهم، فهذه قراءة الناس كلهم إلاّ أهل الشام ، فإنهم قرأوا (وكذلك زُيّن) بضم الزاى (قتلُ) بالرفع ، (أولادَهم) بالنصب ، (شركائِهم) بالخفض على تقدير : قتل شركائهم أولادَهم ، ففرقوا بين المضاف والمضاف إليه ، كما قال الشاعر (٤):

فَزَجَجْتُهَا مُتَمَكِّنًا (٥) زجّ القلوصَ أبي مَزَادَه (٦)

أراد زجّ أبي مزادةَ القلوصَ) (٧).

---

(١) إعراب ثلاثين سورة : ٢٣٢ - ٢٣٣ • انظر في ذلك ما مضى ص٨٨

(٢) انظر في هذه المسألة المقتضب ٢ : ٣ • والكتاب ١ : ٤ ، والإنصاف في مسائل الخلاف ٢ : ٥٢٤ - ٥٤٥ •

(٣) الأنعام : ١٣٧

(٤) لا يعرف قائله ، جاء في خزانة الأدب ٢ : ٢٥١ : ((قال ابن خلف : يروى لبعض المدنيين المولدين ، وقيل لبعض المؤنثين ممن لا يحتج بشعره)) وانظر شرح شواهد العيني ٣ : ٤٦٨ مثلا •

انظر في هذا الشاهد شرح شواهد الكتاب ١ : ٨٨ ، والبيان في غريب إعراب القرآن ١ : ٣٤٢ ، ومجالس ثعلب : ١٢٥ ، وشرح المفصل ٣ : ١٩ • والخصائص ٢ : ٤٠٦ •

(٥) ويروى (بمزجّة) • انظر في ذلك المصادر نفسها •

(٦) ويروى (الصعاب) انظر مجالس ثعلب : ١٢٥ • القلوص: الناقة الشابة •

(٧) القراءات ، لوحة : ١٢٠ •

ولعلّ ابن خالويه أجاز الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول به في القرآن لئلا توصف القراءات بالوهن أو الخطأ ، ويطالعنا في (الحجة في القراءات السبع) بأن ذلك قبيح في القرآن : ((ونصب أولادهم بوقوع القتل عليهم ؛ وحال بهم بين المضاف والمضاف إليه ، وهو قبيح في القرآن ، وإنما يجوز في الشعر كقول ذي الرمّة (١):

كأنّ أصواتَ من إيغالِهِنّ بنا أواخرُ الميسِ أنقاضُ الفراريجِ

وإنما حمل القارئ بهذا عليه : أنه وجده في مصاحف أهل الشام بالهاء فاتبع الخط)) (٢) .

أما البصريون (٣) فمنعوا الفصل بين المضاف والمضاف إليه بغير الظرف أو الجار والمجرور في الشعر ضرورة ، ولم يأبهوا بما أورده الكوفيون من شواهد شعرية ونثرية . والقراءة السابقة عندهم ضعيفة لمخالفتها القياس، لأن الإجماع واقع على امتناع الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول في غير ضرورة الشعر ، والقرآن ليس فيه ضرورة . ويتبعهم في ذلك ابن جني : ((وهذا في النثر وحال السعة صعب جدا ، لاسيما والمفعول به مفعول به لا ظرف)) (٤).

٨ . حكم الخبر الواقع بين حرفي جر :

ذهب الكوفيون إلى أنّ حرفي الجر إذا اتفقا في المعنى يكاد النصب في قولنا : إنّ زيدا في الدار قائما فيها ، يكون واجبا ، أما إذا اختلفا فيجوز النصب

---

(١) انظر ما جاء في حاشية (٧) من الحجة في القراءات السبع : ١٢٥ ـ ١٢٦ .

(٢) الحجة في القراءات السبع : ١٢٥ ـ ١٢٦

(٣) انظر في ذلك الإنصاف في مسائل الخلاف ٢ : ٤٣٦ ، والبيان في غريب إعراب القرآن ١ : ٣٤٢ .

(٤) الخصائص ٢ : ٤٠٧ . وانظر ٤٠٥ ـ ٤٠٦ .
انظر في هذه المسألة خزانة الأدب ٢ : ١١٩ ، وشرح المفصل ١ : ١٠٣ ، ٢ : ١٠٨ ، ٤ : ١٣٢ ، والكتاب ١ : ٢٩٥ ، ٣٤٧ .

والرفع . وتبعهم ابن خالويه في ذلك : ((وفي قراءتنا (خالِدَيْنِ) [١] لأن الخبر اذا وقع بين صفتين متفقتين كان الاختيار فيه النصب كقولك : إنّ زيداً في الدار قائما فيها . ويجوز الرفع عند البصريين ، ولا يجوز عند الكوفيين الرفع إلا مع الصفة المختلفة كقولك : إنّ زيداً في الدار راغب فيك ...)) [٢].

والرأى السابق رأى الفراء شيخ الكوفيين : ((وهي في قراءة عبد الله (فكان عاقبتهما أنهما خالدان في النار) [٣]. وفي قراءتنا (خالِدَيْنِ فيها) نصب، ولا أشتهي الرفع ، وان كان يجوز ، وذلك أن الصفة قد عادت على النار مرتين، والمعنى للخلود ، فاذا رأيت الفعل بين صفتين قد عادت إحداهما على موضع الأخرى نصبت الفعل ، فهذا من ذلك ، ومثله في الكلام قولك : مررت برجل على بابه متحملاً به ..... فاذا اختلفت الصفتان : جاز الرفع والنصب على حسن ما من ذلك قولك : عبد الله في الدار راغب فيك ....)) [٤].

ويعرض أبو البركات بن الأنباري حجتين لما رآه الكوفيون : ((أحدهما : أنهم قالوا : الظرف الثاني إنما تحصل الفائدة فيه مع النصب لأن في الأول ، يكون خبرا للمبتدأ ، ويكون الظرف الثاني ظرفا للحال ، فيكون كلاما مستقيما لا يلغى منه شيء . ومع الرفع تبطل فائدة الظرف الثاني ، وحمل الكلام على ما فيه فائدة أولى . الثاني : ان جواز الرفع فيه يؤدي إلى أن يتقدم المضمر على المظهر ، لأنه يصير التقدير : فكان عاقبتهما أنهما خالدان فيها في النار . ما تمسكوا به ليس فيه ما يوجب منع جواز الرفع)) [٥].

٠٩ عطف الاسم الظاهر على الضمير المخفوض دون إعادة الخافض:

أجاز ابن خالويه ذلك قياسا على قراءة حمزة لقوله تعالى :

---

(١) من قوله تعالى : ((فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها) . الحشر : ١٧

(٢) القراءات ، لوحة : ٦٠

(٣) الحشر : ١٧

(٤) معاني القرآن العظيم ٣ : ١٤٦ ـ ١٤٧

(٥) البيان في غريب إعراب القرآن ٢ : ٤٢٩ .

(تساءلون به والأرحام) [1] بالجر، ويقوى هذه القراءة بقول رؤبة : خير عافاك لمن سأله : كيف تجدك [2] .

ومن الكوفيين من ذهب إلى أنه مجرور بباء مقدرة لدلالة الأولى عليها ومنهم من ذهب إلى أنه مجرور بالقسم وتقديره : أقسم بالأرحام ، وجوابه : (إن الله كان عليكم رقيبا) [3] .

ورجح أبو حيان النحوي [4] رأي الكوفيين في هذه المسألة ، والقول نفسه مع ابن جني الذي يعارض المبرد في تضعيفه لهذه القراءة ، إذ يرى أن الباء حذفت لتقدم ذكرها : ((ليست هذه القراءة عندنا من الإبعاد والفحش والشناعة والضعف على ما رآه فيها وذهب إليه أبو العباس، بل الأمر فيها دون ذلك وأقرب وأخف وألطف ، وذلك أن لحمزة أن يقول لأبي العباس: إنني لم أحمل الأرحام على العطف على المجرور المضمر ، بل اعتقدت أن تكون فيه باء ثانية حتى كأني قلت : (وبالأرحام) ، ثم حذفت الباء لتقدم ذكرها ....)) [5] .

ولم يطالعني ابن خالويه في مؤلفاته إلا بموقف واحد خطأ فيه الكوفيين ، وهو أنه لا يوافقهم في أن (بين) ظرف المكان حرف جر : (((الصلب) [6] : جر بإضافة البين إليه . وأهل الكوفة يسمون بين حرف جر . وهذا غلط ، لو كان حرف جر ما دخل عليه حرف جر ، لأن الحروف لا تدخل على الحروف فتعربها)) [7] .

أما موقفه من رجالات هذه المدرسة فيتراءى لي أسلم من موقفه من نحاة البصرة ، إذ لم يطالعنا بالهجوم على أحدهم أو النيل منه كما فعل مع بعض نحاة البصرة كما مر . ويقابل موقفه من شيخ نحاة البصرة سيبويه موقفه من شيخ نحاة

---

(١) النساء : ١

(٢) انظر القراءات ، لوحة : ٨٧ - ٨٨ . وانظر في ذلك ما مضى : ٨٧

(٣) النساء : ١

انظر في ذلك البيان في غريب إعراب القرآن ١ : ٢٤٠ - ٢٤١

(٤) البحر المحيط ٣ : ١٥٩

(٥) الخصائص ١ : ٢٨٥ - ٢٨٦

(٦) الطارق : ٧

(٧) اعراب ثلاثين سورة : ٤٧

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبد الفتاح الحموز

الكوفة الفراء ، إذ يدافع عنه ، ويحتج له ، ويستشهد بأقواله ، فهو في جانب والكوفيون في جانب آخر ، ومن إضمار ربّ عنده وعند الكوفيين : ((اختلف قوم ، فقال بعضهم : الواو بمعنى ربّ نفسها . وقال آخرون : ربّ مضمرة دلت الواو عليها ، فاذا لم تأتِ بواو ولا ربّ فلا يجوز الخفض عند البصريين لأن الجار لا يضمر .. وأجاز ذلك الفراء مع الكوفيين ....)) (١).

وأحيانا يدون رأيه يرأى الكسائي ويقابلهما بالرأى البصرى في المسألة نفسها ، فالباء عند الكسائي في قوله تعالى : (بسم الله) (٢) لا موضع لها ، وهي عند الفراء في موضع نصب ، أما عند البصريين فموضعها رفع بالابتداء أو خبر الابتداء : (((بسم) جر بباء الصفة ، وهي زائدة . فان قيل : ما موضع الباء من (بسم الله) ؟ ففي ذلك ثلاثة أجوبة : قال الكسائي : لا موضع للباء ، لانّها أداة . وقال الفراء : موضع الباء نصب على تقدير أقول (بسم الله) ، أوقل (بسم الله) . وقال البصريون : موضع الباء رفع بالابتداء او بخبر الابتداء ، فكأن التقدير : أول كلامي (باسم الله) او (باسم الله اول كلامي ..)) (٣).

وأحيانا يطالعنا برأى الفراء في المسألة النحوية ثم يقابله برأى نحاة البصرة فالألف واللام تدخل على بعض الأعلام للمدح عند الفراء ، وهي مسألة لا يقرها البصريون إلا فيما كان صفة كالزبير والعباس : ((والاختيار (واليسع) (٤) بلام مثل اليحمد ، قبيلة من العرب . والأصل (يَسَعُ) مثل يزيد ويشكر ، وإنما تدخل الألف واللام عند الفراء للمدح كما قال الشاعر (٥):

---

(١) شرح مقصورة ابن دريد ، ورقة : ٢٥١ ـ ٢٥٢ .
(٢) الفاتحة : ١
(٣) إعراب ثلاثين سورة : ٩ . وانظر مثالا آخر : ٢٠٢
(٤) الأنعام : ٨٦
(٥) هو ابن ميادة . انظر شرح شواهد المغنى ١ : ١٦٤ ، والخزانة ١ : ٣٢٨ وانظر الإنصاف في مسائل الخلاف ١ : ٣١٧ ، وأوضح المسالك ١ : ٧٣ .

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

- وَجَدْنا الوليدَ(١) بنَ اليزيدَ مبارَكـــاً شديداً بأعباءِ الخلافةِ كاهِلُـــه

وعند البصريين لا تدخل الالف واللام على اسم معرفة إلاّ إذا كان صفـــــة نحو الزبير والعباس)) (٢).

ويخالف الفراء إجماع النحاة البصريين في نصب (غير) في قولنا : ما جاءني غيرُك ، فلم يخطّئه ابن خالويه بل يحتج له بشواهد أورد ها الفراء نفسه : ((وأجاز الفراء رحمة الله عليه : ما جاءني غيرَك بالنصب وأنشد (٣):

لم يَمْنَعِ الشربَ منها غيرَ أن نَطَقَتْ حمامةٌ في غصونٍ ذاتِ أَوْقَـــالِ (٤)

يقال : توقّلَ في النخلة إذا صعد فيها . وقال البصريون : غلط الفراء رحمـــه الله لأن غيرها هنا إنما فتحت لانها بنيت مع أن)) (٥).

ورأي الفراء رأى الكوفيين الذين أجازوا بناء غير على الفتح في كل موضـــع يحسن فيه إلا سواء أضيفت إلى متمكن أو غير متمكن . أمّا البصريون فاشترطـــوا إضافتها إلى غير متمكن كقولنا : ما نفعني غيرُ أنْ قام زيد (٦).

---

(١) ويروى (رأيت) . انظر شرح شواهد المغني ١ : ١٦٤ ، وخزانة الادب ١ : ٣٢٨ ، والانصاف في مسائل الخلاف ١ : ٢١٧ ، وأوضح المسالك ١ : ٧٣ .

(٢) القراءات ، لوحة : ١١٤

(٣) نسبه السيوطي نقلا عن الزمخشري إلى أبي قيس بن رفاعة من الأنصـــار انظر شرح شواهد المغني ١ : ٤٥٨ . وانظر خزانة الأدب ٢ : ٤٥ واستشهد به سيبويه ١ : ٣٦٩ ولم يعزه الى احد . وعزاه الأعلم إلى رجـــل من كنانة . وانظر اللسان (وقل) .

(٤) الأوقال : الأعالي ، وهو أيضا ثمار الدوم .

(٥) القراءات ، لوحة : ١٣٤

(٦) انظر في هذه المسألة الإنصاف في مسائل الخلاف ١ : ٢٨٨ ، والكتـــاب ١ : ٣٦٩ . وخزانة الأدب ٢ : ٤٥ .

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

ومما لم يوهنه فيه أن الفراء أجاز النصب في مثل قولنا : ما زيد إلا قائمٌ ، على إضمار فعل أو شبهه : ((فان قلت : ما زيد إلا قائمٌ لم يكن إلا الرفع ، قال الله تعالى : (وما أمرنا إلا واحدةٌ كلمح البصر) (١). هذا قول النحويين إلا الفراء فإنه أجاز النصب مع إضمار فعلٍ أو شبهه ، تقول العرب : إنما العامريّ عمّته ، أي : يتعهد عمّته)) (٢).

ويطالعنا ابن خالويه بتمثل رأي الفراء والاحتجاج به مما جعل النحاة فيما بعد ينسبونه إليه وإلى الفراء ، فالفراء يعتبر (لا مساسِ) اسم فعل مثل دراكِ ونزالِ ، ويجري ابن خالويه وراءه في ذلك رغم غرابته : ((ولم يقع في التنزيل فعالِ أمرا الا في قراءة الحسن (لا مَساسِ) (٣) بفتح الميم وكسر السين ، وهو في دخول (لا) على اسم الفعل بمنزلة قولهم للعاثر إذا دعوا عليه أن لا ينتعش ـ أي لا يرتفع ـ : لالعاً . وفي معاني القرآن العظيم للفراء : ومن العرب من يقول : لا مَساسِ يذهب به مذهب دراكِ ونزالِ ، وفي كتاب ليس لابن خالويه : لا مساسِ مثل : دراكِ ونزالِ ، وهذا من غرائب اللغة ، وحمله الزمخشري والجوهري على أنه من باب قطام ، وأنه معدولٌ عن المصدر ، وهو المسّ)) (٤).

ولم يطالعني ابن خالويه إلا بموقف واحد وسم فيه قول الفراء بأنه ليس بشيء ، وهو أن الفراء ذكر أنّ قليلا في قراءة ابن عامر : (ما فعلوه إلا قليلا منهم) (٥) بالنصب منصوب بإنّ : ((وقوله تعالى : (إلا قليلٌ منهم) قرأ ابن عامر وحده (إلا قليلاً منهم) بالنصب . وقرأ الباقون بالرفع . ولابن عامر حجتان : إحداهما : ما ذكر الفراء أن قليلا ينتصب بإنّ ولا يسدّ مسدّ الخبر ، والتقدير : ما فعلوه إنّ قليلا ، وليس ذلك بشيء ، والحجة الثانية : أن العرب تنصب في النفي والإيجاب بضمر فعل نابت عنه إلا والتقدير : ما فعلوه استثني قليلا ، فهو على أصل الاستثناء ، غير أنّ الاختيار في الاستثناء إذا كان منفيا ، وكان ما بعد إلا من جنس ما قبله الرفع على البدل

---

(١) القمر : ٥٠

(٢) اعراب ثلاثين سورة : ٥٢

(٣) طه : ٩٧

(٤) شرح شذور الذهب : ٩٤ . سيرد التفصيل في ذلك فيما بعد ص ٣٤٥

(٥) النساء : ٦٦ .

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

كقولك : ـ ما في الدار أَحَدٌ إلاّ زيدٌ ، و (ما فعلوه إلاّ قليلٌ) (١) . وإذا كان مابعد إلاّ ليس من جنس ما قبله اختير النصب كقولك : ما في الدار أَحَدٌ إلاّ حمارا ، (وما لأحد عنده من نعمة تُجْزَى إلاّ ابتغاءَ وجهِ ربهِ الأعلى) (٢))) (٣) .

أما رجالات مدرسة الكوفة الآخرون فلم يطالعني ابن خالويه بنقول نحوية عنهم ، ولعلّ السبب يكمن في عدم اشتهارهم في ميدان النحو ، لأنّه يطالعنا في مسائل اللغة بنقوله عنهم والاحتجاج بأقوالهم والدفاع عن آرائهم (٤) .

ابن خالويه يمثل آراء كل من المدرستين

يطالعنا ابن خالويه في مؤلفاته بعرض رأي كل من البصريين والكوفيين في مسائل نحوية دون أن يقف الى جانب هذا أو ذاك رغم احتجاجه لكلا الفريقين مما يؤكد جريه فيها وراءهما ، ومن ذلك ما يلي :

١ . أنْ وكأنْ المخففتان :

أشار إلى أنّ البصريين أعملوهما وأنّ الكوفيين رفضوا ذلك : ((لأنّ أنّ وكأنّ مشدّدتين ينصبان تشبيها بالفعل ، فإذا خففا فأهل البصرة يجيزون إعمالهما وأهل الكوفة لا يجيزونه)) (٥) .

٢ . إعمال المصدر عمل الفعل :

أجاز البصريون إعماله سواء كان منونا أو معرّفا بأل ، أمّا الكوفيون فمنعوا ذلك لأنه إذا نون أو دخلته الألف واللام صحت له الاسمية فبطل عمله : (((يتيما) (٦) : مفعول به . فعند البصريين ينتصب بإطعام ، لأن المصدر

---

(١) النساء : ٦٦

(٢) الليل : ٢٠

(٣) القراءات ، لوحة : ٩٣ ـ ٩٤

(٤) سيرد التفصيل في هذه المسألة فيما بعد : ٤٣٨ ـ ٤٤١

(٥) شرح مقصورة ابن دريد ، ورقة : ١١٢

انظر في هذه المسألة همع الهوامع ١ : ١٤١ ـ ١٤٣ ، والإنصاف ١ : ١٩٥ ـ

(٦) البلد : ١٥ .

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

يعمل عمل الفعل وان كان منونا ، وقال أهل الكوفة : إذا نوّن أو دخلته الألف واللام صحت له الاسمية وبطل عمله ، وانما انتصب يتيم عندهم بمشتق من هذا، والتقدير : أو إطعام يطعم يتيما)) (١).

٣٠ ضمير الفصل أو العماد :

ذهب الكوفيون إلى أن الضمير الذي يفصل به بين النعت والخبر يسمى عمادا ، وله موضع من الإعراب إذ ذهب بعضهم إلى أنّ حكمه حكم ما قبله ، وذهب آخرون إلى أنّ حكمه حكم ما بعده . أما البصريون فسموه فصلا لانه يفصل بين النعت والخبر ، ولا موضع له من الإعراب (٢). ويكتفى ابن خالويه بتسجيل هذه المسألة : ((وقوله : (كانوا هم أشدّ منهم) (٣)..... وهم فاصلة عند البصريين وعماد عند الكوفيين كما تقول : كان زيد هو القائم ، (ولكن كانوا هم الظالمين) (٤)..)) (٥).

٤٠ علة بناء الآن :

عرض ابن خالويه رأي كل من الفراء الكوفي وسيبويه وأبي العباس المبرد البصريين ، إذ يرى الفراء أنّ أصله (أوان) فقلبوا الواو ألفا فصار (آن) وهو فعل ماض ثم دخلت الألف واللام على مبني فلم تغيره عن بنائه . ويرى سيبويه أنّ الآن إشارة إلى وقت أنت فيه بمنزلة هذا ، والألف واللام تدخل لعهد قد تقدم ، فلما دخلت لغير عهد ترك مبنيا . أما أبو العباس المبرد فذهب إلى أنّ اول احواله بالألف واللام ، أي أنّ معرفته وقعت قبل نكرته ، فلما خالف أخواته من سائر الأسماء بني : ((فان قيل : لم بني الآن وفيه الألف واللام ؟ فقل : قال الفراء : أصله : أوان ، فقلبوا الواو ألفا فصار (آ ان) ثم دخلت اللام على مبني فلم تغيره عن بنائه ، واستشهد على ذلك بقول الشاعر (٦):

فإني حبست اليومَ والأمسِ قبلَهُ ... ببابك حتى كادت الشمس تغربُ

---

(١) اعراب ثلاثين سورة : ٩١ . وانظر في ذلك القراءات ، لوحة : ٦٠٦

(٢) انظر في هذه المسألة الإنصاف في مسائل الخلاف ٢ : ٧٠٦ -

(٣) المؤمن : ٢١

(٤) الزخرف : ٧٦

(٥) القراءات ، لوحة : ٤٧٥ - ٤٧٦

(٦) انظر في هذا الشاهد ما مضى : ٨٢ <

فأدخل الألف واللام على مبني ، ولم يغيره عن بنائه . وقال سيبويه : الآن إشارة الى وقت أنت فيه بمنزلة (هذا) ، والألف واللام تدخل لعهد قد تقدم ، فلما دخلت ها هنا لغير عهد ترك مبنيا . وقال المبرد : إنما بني الآن مع الألف واللام ، لأنّ معرفته وقعت قبل نكرته ، وليس يشركه غيره في التسميه ، فتكون الألف واللام معرفة له ، وإنما تعني به الوقت الذي أنت فيه من الزمان ، فلذلك بني ، وخالف نظائره من الأسماء.)) (١).

٥. اللام في قوله تعالى : (لإيلاف قريش) (٢) ومتعلقها :

عرض رأي نحاة كل من البلدين في هذه المسألة دون أن يرجح أحدهما على الآخر : ((واختلف العلماء في (لإيلاف) ، فقال قوم : هي و (ألم تر) (٣) سورة واحدة ، منهم الفراء وسفيان بن عيينه ، قالا : والتقدير (فجعلهم كعصف مأكول (٤) لإيلاف قريش) . فعلى هذا تكون اللام لام الخفض متصلة بـ (ألم تر) . وقال الخليل والبصريون : اللام لام الإضافة متصلة بـ (فليعبدوا) ، والتقدير : (فليعبدوا ربّ هذا البيت) (٥) لأن من عليهم بإيلاف قريش وصرف عنهم شرّ أصحاب الفيل . وحدثني ابن مجاهد عن السمري عن الفراء قال : يجوز أن تكون اللام لام تعجب ، كأنه قال : اعجب يا محمد لإيلاف قريش ...)) (٦).

---

(١) الحجة في القراءات السبع : ١٥٩ . وانظر في ذلك القراءات لوحة : ١٩١ + ١٩٢ ، إذ اقتصر فيه ابن خالويه على رأي الفراء وسيبويه وأهمل رأي أبي العباس المبرد الذي دونه في (الحجة) .

(٢) قريش : ١

(٣) الفيل : ١

(٤) الفيل : ٥

(٥) قريش : ٣

(٦) إعراب ثلاثين سورة : ١٩٥ ـ ١٩٦ .

٦ . الواو في قوله تعالى : (وضياءً وذكراً) (١) :

ذهب الفراء والكوفيون إلى أنها زائدة ، وأن (ضياءً) منصوب على الحال . أما البصريون فهي عندهم عاطفة وليست زائدة . ودوّن ابن خالويه هذين الرأيين مستعينا بالأمثلة لتصحيحهما : ((فأما الواو في قوله تعالى : (وضياءً) فقال الفراء : الواو زائدة ، والتقدير : ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان ضياءً ، فيكون نصبا على الحال . وقال البصريون : الواو نسق وليس زائدا ، فمعناه : أعطيناهما التوراه التي فرّقت بين الحق والباطل ، وأعطيناه ضياءً وذكرا ، وشاهد هذا القول قوله : (فيه هدى ونور) (٢) ، والنور هو الهدى)) (٣) .

أكتفي بهذا القدر من المسائل النحوية ، إذْ لا يتسع الوقت لتدوين مزيد منها ، فهي كثيرة تطالع القارئ في مؤلفاته مرات عديدة ، وهي مسائل تشهد على بعد ابن خالويه عن العصبية المذهبية ، لأنه لا يهمه الرأي البصري أو الكوفي بل تهمه الحقيقة التي يسعى وراءها دائما لإظهارها في ثوب بعيد عن تلك العصبية التي كانت تسيطر على النحاة آنذاك .

مصطلحه النحوي :

أرى لزاما علي لتكتمل الصورة أن أعالج المصطلح النحوي الذي يدور في مؤلفاته ، لنستطيع تحديد معالم المدرسة التي ينتمي إليها ، لأن كل مدرسة لها بعض المصطلحات الخاصة . أما ابن خالويه فيختار أحيانا مصطلحا بصريا وأحيانا مصطلحا كوفيا ، وأحيانا يطالعنا بالمصطلحين كليهما ، ويتراءى لي من خلال معايشتي لمؤلفاته أنه يميل إلى المصطلح الكوفي الذي يكاد يطغى على المصطلح البصري إنْ لم يساوه . وسأدون ما استطعت العثور عليه في مؤلفاته من مصطلحات بصرية وكوفية ، وسأتبع ذلك بما استجد عنده من مصطلح نحوي .

---

(١) الأنبياء : ٤٨

(٢) المائدة : ٤٦

(٣) القراءات ، لوحة : ٣٣٥ - ٣٣٦ . وانظر الحجة في القراءات السبع : ٢٢٤ - ٢٢٥ .

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

أما المصطلح البصري الذي يدور في مؤلفاته فالتمييز : (((خيراً)[1] نصب على التمييز))[2] . ويطلق عليه الفراء (التفسير) : ((وقوله : (فله جزاء الحسنى)[3] ، أي فله جزاء الحسنى ، نصبت الجزاء على التفسير))[4] . والقول نفسه مع أبي العباس ثعلب : ((قال : فرق بين التفسير وبين ما فسّره ، وهذا يجوز في الشعر لا في الكلام))[5] .

ومنه الظرف : ((ليس في الظروف شيء إلاّ معرب نصبا ، كقولك : سِرت شهراً ، وصمت يوما ، وسهرت ليلة ....))[6] . أمّا عند الكوفيين فهو إمّا الوعاء وإمّا المحل[7] .

ومنه أيضا البدل : (((صراط)[8] : نصب بدل من الأول ، وذلك أنّ البدل يجرى مجرى النعت ، بأن يجرى على إعراب ما قبله ...))[9] . أما الكوفيون فسمّوه بالترجمة والتبيين ، ويقف الأستاذ المخزومي[10] في هذه التسمية إلى جانبهم .

---

(١) الزلزلة : ٧

(٢) اعراب ثلاثين سورة : ١٥٤

(٣) الكهف : ٨٨

(٤) معاني القرآن ٢ : ١٥٩

(٥) مجالس ثعلب : ٤٢٥

(٦) ليس في كلام العرب : ٥٥ . وانظر إعراب ثلاثين سورة : ٤٩ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ١١٥ ، ١٥٦ . وانظر الحجة في القراءات السبع : ١١٠ .

(٧) انظر في ذلك حاشية الصبان على شرح الأشموني ٢ : ١٢٥ ، ومدرسة الكوفة : ٣٠٩ .

(٨) الفاتحة : ٧

(٩) إعراب ثلاثين سورة : ٣٠ ، وانظر : ٤١ ، والحجة في القراءات السبع : ٦٩

(١٠) انظر مدرسة الكوفة : ٣١٠ .

أما المصطلح الكوفي فهو الذي يسيطر على مؤلفات ابن خالويه ، اذ يفرق في دورانه في مؤلفاته دوران المصطلح البصري ، ولعلّ ذلك ما يقربه إلى مدرسة الكوفة . ومنه النسق ، وهو مصطلح كوفي خالص، ونادرا ما يطالعنا ابن خالويه بمصطلح العطف الذي يقابله عند البصريين ، فكأن العطف محرّم عليه استعماله في مؤلفه (إعراب ثلاثين سورة) ، إذ لم يطالعني نصّ استعمل فيه العطف أو حروفه : (((ولا ناصر) [1]، ولا : حرف نسق ، وناصر : جر نسق على قوة ....))[2].

أما المصطلح الذي يسيطر عليه في مؤلفه (الحجة في القراءات السبع)[3] فالعطف ، ولعلّ السبب في ذلك ميله إليه في تلك الفترة ، والقول نفسه في (المختصر) و (القراءات) إذ لا يتجاوز فيهما هذا المصطلح عدد أصابع اليد [4].

ومنه الجحد ، وهو مصطلح كوفي ، يعنون به ما يعنيه البصريون من كلمة النفي [5]. ((وقيل : (لا) [6] تأكيد للجحد ، وذلك أن (لا) لا تكون صلة إلاّ إذا تقدمها جحد ....))[7] .

---

(١) الطارق : ١٠

(٢) إعراب ثلاثين سورة : ٥٠ ، وانظر الصفحات : ٣٣ ، ٤٠ ، ١٧٦ .
وشرح مقصورة ابن دريد : ٥١ ، ٥٢ ، ٢١٦ .

(٣) انظر الصفحات : ٦٥ ، ٩٤ ، ١٠٧ ، ١٢١ .

(٤) انظر مختصر في شواذ القرآن : ٥٣ ، القراءات لوحة : ١٣٠ .

(٥) انظر مدرسة الكوفة : ٣٠٩

(٦) الفاتحة : ٧

(٧) اعراب ثلاثين سورة : ٣٣ ، وانظر ١٦٨ ، وشرح مقصورة ابن دريد ورقة : ٢٥٩ ، والحجة في القراءات السبع : ١٠٨ .

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

ومنه حروف الصفة ، وهو مصطلح كوفي يقابله عند البصريين مصطلح حروف الجر [١]: ((لأن الخبر إذا وقع بين صفتين متفقتين كان الاختيار فيه النصب ، كقولك : إنّ زيدا في الدار قائما فيها . ويجوز الرفع عند البصريين ، ولا يجوز عند الكوفيين الرفع إلاّ مع الصفة المختلفة كقولك : إنّ زيدا في الدار راغب فيك)) [٢].

ومنه أيضا المكنيّ ، وهو مصطلح كوفي يقابله الضمير عند البصريين : (((عليهم) [٣] على : حرف جر ، وتكتب بالياء لأن الفها تصير مع المكنيّ "ياء" نحو: عليك وإليك ولديك، ....)) [٤] ونادرا ما يطالعنا باستعمال الضمير كقوله : (((إنهم يكيدون كيدا) [٥]، إنّ : حرف نصب . والهاء والميم : نصب بإنّ ولا علامة فيه لأنه مكني . و (يكيدون) فعل مضارع ، وهو خبر إنّ . والواو ضمير الفاعلين ....)) [٦].

وتطالعنا مصطلحات بصرية في مواضع من مؤلفاته ، يستعمل ما يقابلها من مصطلحات كوفية في مواضع أخرى . فالنعت مصطلح كوفي ، وربما استعمله بعض البصريين ، وهو عند البصريين الصفة أو الوصف ، ويطالعنا ابن خالويه بهذين المصطلحين : (((رب) [٧]، جرّ نعت لله أو بدل منه)) [٨] ، وجاء في المؤلف نفسه في موضع آخر قوله : (((الرحمن الرحيم) [٩]: جران صفتان لله تعالى)) [١٠].

---

(١) انظر مدرسة الكوفة : ٣١٤

(٢) القراءات ، لوحة : ٦٠

(٣) الفاتحة : ٧ .

(٤) اعراب ثلاثين سورة : ٣١ ، وانظر : ٢٧ ، ٥٣ ، والحجة في القراءات السبع : ٥١ ، ٧٨ .

(٥) الطارق : ١٥

(٦) اعراب ثلاثين سورة : ٥٣

(٧) الفاتحة : ٢

(٨) اعراب ثلاثين سورة : ٢١ . وانظر الصفحات : ٢٩ ، ٣٢ ، ٥١ ، ٨٦ .

(٩) الفاتحة : ١

(١٠) اعراب ثلاثين سورة : ١٢ . وانظر الصفحات : ١٤ ، ٤١ ، ٥٤ ، ٥٥ .

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

ومن ذلك الجر ، وهو مصطلح بصري يقابله الخفض عند الكوفيين . وقد يسمى البصريون حروف الجر بحروف الإضافة (١) . ويرى الأستاذ المخزومي (٢) أن هذين المصطلحين ، الجر والخفض مقتبسان من أوضاع الخليل ومصطلحاته . ويدور هذان المصطلحان في مؤلفات ابن خالويه : (((لكم دينكم ولي دين) (٣) ، الكاف والميم : جر باللام الزائدة . فان قال قائل : لم فتحت اللام ولام الإضافة مكسورة إذا قلت لزيد ولعمرو ؟ ...) فإن قال قائل : لم خفضت النون وموضعه رفع بالابتداء ؟ ..)) (٤) . وجاء في موضع آخر من المؤلف نفسه قوله : ((على : حرف جر ، الأفئدة : جر بعلى ، وهي : جمع فؤاد ....)) (٥) .

ومن ذلك أيضا الزيادة ، وهي مصطلح بصري يقابله الصلة والحشو عند الكوفيين (٦) . ويطالعنا ابن خالويه بهذين المصطلحين في مؤلفاته : (((ولا) (٧) الواو : حرف نسق و (لا) : قيل : صلة ، والتقدير : والضالين ، وقيل : (لا) تأكيد للجحد ، وذلك أن (لا) لا تكون صلة إلا إذا تقدمها جحد ....)) (٨) . وجاء في موضع آخر من المؤلف نفسه قوله : (((بأحكم) (٩) : جر بالباء الزائدة وهو خبر ليس ....)) (١٠) .

---

(١) انظر المقتضب ٤ : ١٣٦

(٢) انظر مدرسة الكوفة : ٣١١ . وانظر في هذين المصطلحين الخصائص ١ : ٧١ . ومدرسة البصرة النحوية : ٣٤٧ . والكتاب ١ : ٢٠٩ ، ٢ : ٣٠٧ .

(٣) الكافرون : ٦

(٤) اعراب ثلاثين سورة : ٢١٥ . وانظر : ٣٣ ، ١٩٦ .
وانظر في ذلك أيضا ليس في كلام العرب : ٤٢ . وانظر الحجة في القراءات السبع : ٣٩ ، ٨٧ .

(٥) إعراب ثلاثين سورة : ١٨٦ . وانظر الحجة في القراءات السبع : ٥٦

(٦) انظر في ذلك مدرسة الكوفة : ٣١٥ ، ومدرسة البصرة النحوية : ٣٤٧ .
وشرح المفصل ٨ : ١٢٨ .

(٧) الفاتحة : ٧

(٨) إعراب ثلاثين سورة : ٣٣

(٩) التين : ٨

(١٠) إعراب ثلاثين سورة : ١٣٢ .

ويطالعنا في مؤلفاته ما يمكن أن نسميه مصطلحا مستحدثا لم يشاركه فيه أحد . ومن ذلك إطلاقه على الباء والكاف واللام مصطلح حروف الزيادة ، وقد يتساءل المرء عن السبب الذى جعلني أعتبره مجددا في هذا المصطلح لأن حروف الزيادة معروفة ومتداولة ، ولعل القارئ الكريم يوافقني في ذلك لأن ابن خالويه اعتبر هذه الحروف الثلاثة في جميع أوضاعها حروفا زائدة ليس بالنسبة لمواضعها من الاعراب أو تعلقها بغيرها ، ولكن بالنسبة لكونها ليست من أصول ما تلتصق به من أسماء ، لأنها لا تأتي إلا ملصقة على عكس أخواتها الأخريات اللواتي لا يستعملن إلا منفصلات عن مجروراتها ، جاء في (إعراب ثلاثين سورة) قوله : (((بالله) [1] : جر بباء الصفة ، وهي زائدة ... وحروف الزوائد في صدور الأسماء ثلاثة : اللام والكاف والباء [2] . فالكاف للتشبيه ، واللام للملك ، والباء للاتصال وللصوق . وموضع الباء نصب لأنها قد حلت محل مفعول ، وعلامة جره كسرة الهاء .....)) [3] . وجاء في موضع آخر : (((الصخرَ بالوادِ) [4] ، الصخرَ : مفعول به . بالواد : جر بالباء الزائدة ، وعلامة الجر كسرة الباء في الأصل .....)) [5] . والباء في هذا النص لا يمكن أن تكون في حال من الأحوال زائدة من حيث الموضع والتعلق لأنها قد أوحت إلينا معنى في ، وهو ما نلمحه في قول الفراء : (((جابوا الصخرَ) خرقوا الصخر ، فاتخذوه بيوتا)) [6] . ولعل ما أشار إليه ابن كثير من تفسير لما مر يقطع أن الباء ليست زائدة : ((وثمود الذين جابوا الصخر بالواد) يعني يقطعون الصخرَ بالوادى)) [7] ، وذكر أيضا ((وقال ابن اسحق : كانوا عربا وكان منزلهم بوادي القرى)) [8] .

وتمشيا مع ما مر يشتبه على القارئ قصد ابن خالويه ، إذ يخيل إليه أنه زائد من حيث المحل والتعلق ، أى عندما تكون هذه الحروف صلة وحشوا ، لأن المصطلح نفسه يطالعنا في مؤلفه (إعراب ثلاثين سورة) : (((بمصيطر) [9] ، جر بالباء

---

(١) من الاستعاذة .

(٢) لو أراد ابن خالويه الزيادة في الإعراب والتعلق لذكر (من) .

(٣) إعراب ثلاثين سورة : ٥

(٤) الفجر : ٩

(٥) إعراب ثلاثين سورة : ٧٧ . وانظر الصفحات : ٥٩ ، ١١٠ ، ١٣٥ .

(٦) معاني القرآن ٣ : ٢٦١ . وانظر في ذلك اللسان (جوب)

(٧) تفسير القرآن العظيم ٤ : ٥٠٨

(٨) المصدر نفسه والمكان نفسه .

(٩) الحاشية : ٢٢ .

الزائدة ، وهو خبر ليس، كما تقول : ليس زيد بقائم . فلو أسقطت البـــــــاء لقلت : لست عليهم (مصيطرا) [١] ، وليس زيد قائما)) [٢].

ومن مصطلحاته الخاصة انه أطلق على اذ (حرف وقت واجب) وعلى إذا (حرف وقت غير واجب) : ((قوله تعالى : (إذا جاء نصرُ اللهِ) [٣] ، إذا ، وإذْ : حرفا وقت ، فإذ واجبة ، وإذا غير واجبة . ومعناه : إن إذ ماضية ، وإذا مستقبلة)) [٤].

ويطالعنا بتسمية المفعول الثاني عندما يصبح الأول نائب فاعل بخبر مالم يسمّ فاعله : (((أُوتوا) : فعل ماضٍ، وهو فعل ما لم يسمّ فاعله .... (الكتاب) [٥]: خبر ما لم يسمّ فاعله)) [٦]

---

(١) في المطبوع بالسين ، وهو أيضا صواب .

(٢) إعراب ثلاثين سورة : ٧١ ، وانظر : ١٣٢

(٣) النصر : ١

(٤) إعراب ثلاثين سورة : ٢١٦ . وانظر الصفحات : ٧٩ ، ١٠٧ ، ١٢٧ ، ١٣٩، ١٥١ .

(٥) البينة : ٤

(٦) اعراب ثلاثين سورة : ١٤٥

ابن خالويه ومدرسة بغداد المزعومة

لقد خيمت سحب من الشك حول وجود مدرسة تحمل هذا الاسم ، إذ اختلف الدارسون في ذلك ، فذهبوا مذهبين متباينين ، فمنهم من أقرّ واعترف بوجود هذه ، ومن هؤلاء بروكلمان [1] الذي زعم أنّ بغداد استقدمت بعضا من علماء المدرستين الذين كانوا شديدي التعصب لمأثورات مدارسهم الأصلية ، ولكن جيلا تاليا تتلمذ على هؤلاء الوافدين إلى بغداد حيث التزلف إلى ذوي الجاه والسلطان قائم ، فعمد هذا الجيل إلى الاختيار من كلتا المدرستين ، ولكنه يعترف بأنّ تحديد طلاب هذه المدرسة صعب .

واقتفى أثره كل من مهدي المخزومي [2] وشوقي ضيف [3] ، وعبد العزيز عتيق [4] ، وعبد العال سالم [5] ، وفخر الدين قباوة [6] . أما الاستاذ سعيد الأفغاني [7] فيرى أنّ الطابع البصري هو الغالب على نحاة هذه المدرسة ، وآثر أن يطلق عليهم (نحاة بغداديون) بدلا من مدرسة بغداد .

أما الفريق الآخر فأنكر وجود مدرسة كهذه المدرسة المزعومة ، ويرون أنّ علماء هذه المدرسة قد يكونون كوفيين أو بصريين خرجوا على مدارسهم وعقّوا شيوخهم في بعض المسائل ، ومن هؤلاء عبد الفتاح شلبي [8] الذي عزز قوله بما جاء في كتب القدامى من إشارات ، فابن النديم لا يسمي من خلط المذهبين بالبغداديين ،

---

(١) انظر تاريخ الأدب العربي ٢ : ٢٢١

(٢) انظر البحث اللغوي عند العرب : ١٠٦

(٣) انظر المدارس النحوية ، والبحث اللغوي عند العرب : ١٠٦

(٤) المدخل إلى علم النحو والصرف : ١٥٥

(٥) انظر القرآن وأثره في الدراسات النحوية : ١٣٧

(٦) انظر ابن عصفور والتصريف : ٨٨

(٧) انظر من تاريخ النحو : ٩٤

(٨) انظر أبو علي الفارسي : ٤٤٦

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

والقول نفسه مع الزبيدي في طبقاته ، وصالح السامرائي [1] الذي يرى أن المكان وحده لا يصح أن يتخذ أساسا في التسمية ، فلا يصح عد المبرد إلا من البصريين ، وثعلب إلا من الكوفيين مع أنهما سكنا بغداد ، وذهب أيضا إلى أنه لا يجوز الحكم على مدرسة إلا بثلاث أسس ، وهي التي سرت وفقها فيما مضى من حيث أصول البحث ، والمصطلح ، والمسائل الخلافية ، ويكاد الأستاذ أحمد مختار عمر [2] يتفق معه فيما مر .

ولعلي بعد معايشتي لتلك الآراء أنتهي إلى ما انتهى إليه الأستاذ شلبي وصحبه معتمدا في ذلك على ما وقعت عليه من نصوص في مؤلفات أبناء القرن الرابع الهجري . فابن النديم جماعة الكتب لا يخفى عليه ذلك الاسم أو تلك المدرسة المتعارف عليها آنذاك ، إذ كان باستطاعته أن يسمي من خلطوا المذهبين بالبغداديين . وغالب ظني أن الاسم - وان استعمل - لم يرد به ما أريد به فيما بعد .

والقول مثل سابقه مع الزبيدي في طبقاته ، إذ استرسل في تعداد مدارس نحوية لا تصل في شهرتها إلى مرتبة مدرسة بغداد المزعومة ، أو إلى شهرة من انتسبوا إليها ، فذكر المصريين والقرويين ، والأندلسيين وغيرهم [3] .

وأود أن أقف عند نص طالعنا به أبو الطيب اللغوي حول الموضوع نفسه وهو : ((فلم يزل أهل المصرين على هذا حتى انتقل العلم إلى بغداد قريبا ، وغلب أهل الكوفة على بغداد ، وحدثوا الملوك فقدموهم ، ورغب الناس في الروايات الشاذة ، وتفاخروا بالنوادر ، وتباهوا بالترخيصات وتركوا الأصول ، واعتمدوا على الفروع فاختلط العلم)) [4] ، وغالب ظني أن ما قصده أبو الطيب اللغوي يدور حول علماء الكوفة في بغداد ، وأن ما تردد من آراء في مؤلفات القدامى منسوبة إلى البغداديين هي للكوفيين الذين عبر عنهم بالبغداديين ، فابن جني الذي يعترف بميله إلى البصريين ، وأنهم أصحابه [5] ينسب مسائل نحوية إلى البغداديين

---

(١) انظر ابن جني النحوي : ٢٥١

(٢) انظر البحث اللغوي عند العرب : ١٠٨ ـ

(٣) انظر في ذلك أبو علي الفارسي : ٤٤٦

(٤) مراتب النحويين : ٩٠ .

(٥) انظر الخصائص ١ : ٢٢٨ ، ٣٦٦ .

مرة ، وينسبها نفسها إلى الكوفيين مرة أخرى في موضع آخر ، فلو قصد البغداديين غير الكوفيين لأخطأ في النسبة لأن عصا السبق فيها للكوفيين . فهو ينسب إلى الكوفيين أن المبتدأ يرتفع بما يعود عليه من ذكره [1] في قولنا : زيد قام أخوه : ((ألا ترى أنك لو سألت رجلا عن علة رفع زيد من قولنا : زيد قام أخوه ، فقال لك : ارتفع بالابتداء لقلت : هذا قول البصريين . ولو قال : ارتفع بما يعود عليه من ذكره لقلت : هذا قول للكوفيين ، أي هذا رأي هؤلاء ، وهذا اعتقاد هؤلاء .....)) [2]. وجاء الرأي نفسه في المؤلف نفسه في موضع آخر منسوبا إلى البغداديين : ((ومن ذلك قول البغداديين : أن الاسم يرتفع بما يعود عليه من ذكره ، نحو : زيد مررت به ، وأخوك أكرمته ....)) [3].

وتطالع القارئ لمؤلفات ابن جني آراء كثيرة منسوبة إلى البغداديين، وهي في حقيقتها للكوفيين ، وهي مسألة جعلتني أذهب إلى أن مدرسة بغداد لم تكن معروفة آنذاك ، ولعلها لا تتعدى إطلاق لفظ البغداديين على الكوفيين، فهو ينسب فتح العين من حلقي العين إلى الحرف الحلقي في مثل صخر ، ونعل وغيرهما إلى البغداديين : ((ثم لا أبعد من بعد أن تكون الحاء لكونها حرفا حلقيا يفتح ما قبلها كما تفتح نفسها فيما كان ساكنا من حروف الحلق ، نحو قولهم في الصَّخر : الصَخَر ، والنَّعل : النَعَل . ولعمري إن هذا عند أصحابنا ليس أمرا راجعا إلى حرف الحلق ، لكنها لغات ، وأنا أرى في هذا رأي البغداديين في أن حرف الحلق يؤثر هنا من الفتح أثراً معتدا معتمدا ..... ولا قرابة بيني وبين البصريين ، لكنها بيني وبين الحق ، والحمد لله .....)) [4].

وجاء الرأي نفسه في الخصائص منسوبا إلى البغداديين [5] . أما ابن منظور فنسب ذلك إلى الكوفيين بقوله : ((وقد حكي فيه الدَهر بفتح الهاء ، فإما أن يكون الدهْر والدَهر لغتين كما ذهب إليه البصريون في هذا النحو ، فيقتصر على ما سمع

---

(١) يراد بالذكر الضمير العائد على المبتدأ . ومن الكوفيين من يرى أنهما يترافعان في مثل قولنا : زيد كريم .
انظر في هذه المسألة الإنصاف في مسائل الخلاف ١ : ٤٤ ـ ٥١ .

(٢) الخصائص ١ : ١٨

(٣) المصدر نفسه ١ : ١٩٩

(٤) المحتسب ١ : ١٦٧

(٥) انظر ٢ : ٩ .

منه ، وإما أن يكون ذلك لمكان حروف الحلق ، فيطرد في كل شيء كما ذهب إليه الكوفيون)) (١).

ومن ذلك أيضا ما جاء في الخصائص: ((ولسنا نعرف كلمة فيها ثلاث عينات غير كذ يذب وذرحرج . وقد أنشد بعض البغداديين قول الشاعر (٢):

بات لليلهن زمام ... والفقعسي حاتم بن همام

مسترعفات (٣) لصلخم (٤) سام

.....)) (٥).

وانشاد البيت والرأى كلاهما منسوب إلى الفراء الكوفي (٦).

ومن ذلك أيضا نسبته في (سر صناعة الإعراب) رأى الكوفيين (٧) في زيادة واو العطف إلى البغداديين : ((واعلم أن البغداديين قد أجازوا في الواو أن تكون زائدة في مواضع ..... فأما أصحابنا فيدفعون هذا التأول البتة ، ولا يجيزون زيادة هذه الواو)) (٨).

ومما يؤكد ما أذهب إليه إطلاق لفظ العراقيين على بعض رجالات مدرسة الكوفة كالكسائي والفراء والأحمر ، جاء في تهذيب اللغة (٩) ما يلي : ((وكان أحمد بن يحيى حافظا لمذهب العراقيين ، أعني الكسائي والفراء والأحمر ....)).

وأحيانا تطلق لفظة البغداديين على كل من يقطن بغداد من أبناء القرن الرابع الهجرى ، جاء في رسالة الغفران ما يلي : ((وأبو الطيب اللغوي اسمه

---

(١) لسان العرب (دهر) .

(٢) انظر المصدر نفسه (صلخم).

(٣) مسترعفات : سابقات وروي (مسترعلات)

(٤) الصلخم : الجسيم

(٥) الخصائص ٣ : ٢٠٤

(٦) انظر لسان العرب (صلخم)

(٧) انظر في ذلك الإنصاف في مسائل الخلاف ٢ : ٤٥٦

(٨) نقلا عن مقدمة محقق الخصائص ١ : ٤٥

(٩) ١ : ٢٧

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

عبد الواحد بن علي له كتاب في الإتباع صغير على حروف المعجم في أَيـــــدي البغداديين)) (١)، وجاء في موضع آخر أيضا : ((والبغداديون يحكون أَنّ أبُـــا سعيد السيرافي عمل من كتابه المعروف بالمقنع او الإمتاع إلى باب التصغير ...)) (٢).

وهكذا يتراءى لنا أَنّ ما ادّعاه بعض الدارسين بوجود مدرسة بغداد المزعومة عند القدامى لا يعدو أَنْ يكونَ وهما والتباسا ، فابن جني ابن القرن الرابع الهجري ، وهو قرن ترعرعت فيه شخصيات هذه المدرسة المزعومة لم يكن غافلا عما يجري فـــي بيئته ومحيطه فينسب البغداديين إلى الكوفيين . ولعلّ هذا الخلط من صنـــيع جماعة متأخرين عن ابن خالويه وابن جني .

أمّا موقف ابن خالويه من هذه المدرسة المزعومة فلم أعثر على نص يرشد نـــي إليه مما يدل على أَنّ هذه المدرسة كانت آنذاك في عالم الخيال . وأما ما نُسِبَ إلى هذه المدرسة من آراء نحوية أو لغوية فابن خالويه لم يقل بها أو يميل إليهـــا ، فهو يرى أَنّ كلتا مفردة (٣) على عكس ما نسب إلى البغداديين (٤) من أنها مثنـــاة لفظا ومعنى . ومن ذلك تبنيه رأي الخليل بن أحمد في أَنّ الأصل في (مهمـــا) ماما ، فكرهوا الجمع بينهما ، فقلبوا من الألف هاء : ((وقوله : (مهما) ، وهـــو حرف شرط ، والأصل ماما ، فكرهوا أَنْ يجمعوا بينهما ، فقلبوا من الألف هاء ....)) (٥). أمّا البغداديون (٦) فيرون أنها مركبة من (مه) بمعنى اسكت ، وما الشرطية .

ومما خالفهم فيه أيضا أنه ذهب إلى أَنّ (بَلْه) بمعنى غير وسوى يُخفَـــضُ ما بعدها بها : ((وبَلْه بمعنى سوى وغير . قال النبي صلى الله عليه وسلـــم : (بَلْه ما أطعتكم فيه) (٧) أي سوى هذا باسكان اللام)) (٨).

---

(١) رسالة الغفران : ٥٥٠ ـ ٥٥١ .

(٢) المصدر نفسه : ٤٢٤

(٣) انظر ليس في كلام العرب : ٢٢ . وانظر هذه المسألة في باب اللغة .

(٤) انظر أبو حيان النحوي : ٣٠٨

(٥) شرح مقصورة ابن دريد ، ورقة : ٢١٩ ـ ٢٢٠ . وانظر في هذه المسألـــة المقتضب ٢ : ٤٨ . والكتاب ١ : ٤٣٣ .

(٦) انظر في ذلك أبو حيان النحوي : ٣٠٩

(٧) جاء في النهاية في غريب الحديث ١ : ١٥٠ ـ ١٥١ : ((ولا خطـــر على قلب بشر بله ما اطّلعتُمْ عليه) . وانظر لسان العرب (بله) .

(٨) شرح مقصورة ابن دريد : ورقة ١٧١ ـ ١٧٢ .

أمّا موقفه من رجالات هذه المدرسة فخلاصة موقفه مما نسب إليهـــا من آراء، إذْ لم يطالعني نصٌّ اعتمد فيه على رأي أحد إلاّ ما طالعني به من تحديث أبي بكر بن الخياط له : ((فان قيل : فقد قالت العرب مِتُّ ودِمْتُ على (فِعل) بالكســـر ثم جاء المضارع يَدوم ويَمُوت بالواو . فالجواب في ذلك حدّثني أبو بكر بن الخيـــاط عن الرستمي عن المازني أنّ هذين الحرفين جاءا نادرين ...)) (١).

---

(١) إعراب ثلاثين سورة : ٢٠٠ ـ ٢٠١ . وانظر في ذلك ما مضى : ٦٣

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

آراؤه النحوية التي لم يشاركه فيها أحد

أمّا آراء ابن خالويه النحوية التي انفرد فيها فهي قليلة ، ولعلّ السبب في قلتها يعود إلى أنّ النحو قبل القرن الرابع الهجري قد استوى عوده واستقام، إذ يكاد عمل المتأخرين كابن خالويه وابن جني وغيرهما ينحصر في الشرح والتعليل والتبويب ، والترتيب ، والاستدراك ، ويتخلل ذلك بعض الآراء الانفرادية القليلة . وإليك طائفة من المسائل النحوية التي كان لابن خالويه فيها عصا السبق :

١ . دخول لام الابتداء على خبره :

أجاز ابن خالويه ذلك لوروده عن العرب ، إذ اعتبر اللغة التي ورد فيها شاهداً لغة مستقيمة : ((وقال المبرد واسماعيل القاضي : أحسن ما قيل في هذا أن يجعل إنْ بمعنى نعم ، والتقدير : نعم هذان لساحران ، فيكون ابتداء وخبرا قال الشاعر (١):

(بكر العواذلُ بالضُّحى (٢)) (٣) يَلُحينني (٤) وألُومُهنّه
ويقلن شيبٌ قد علا ك وقد كبِرْتَ فقلتُ إنّه

..... فان سأل سائل فقال : قد أجزتَ أنْ تجعل إنْ بمعنى نعم ولا يدخل اللام بين المبتدأ وخبره ، ولا يقال : زيد لقائم ، فما وجه قوله : (إنْ هذان)(٥)؟ فالجواب في ذلك : أنّ من العرب من يدخل لام التأكيد في خبر المبتدأ

---

(١) هو عبيد الله بن قيس الرقيات .
انظر شرح شواهد المغني ١ : ١٢٦ ، وخزانة الأدب ٤ : ٤٨٥ .
والكتاب ١ : ٤٧٥ ، ٢ : ٢٧٩ ، وشرح المفصل ٣ : ١٣٠ ، والمغني ١ : ٣٨ .
والبيان في غريب اعراب القرآن ٢ : ١٤٥ .

(٢) ويروى (في الصبوح) انظر شرح المفصل ٣ : ١٣٠ . والبيان في غريب إعراب القرآن ٢ : ١٤٥

(٣) ويروى (بكرت علي عواذلي) . انظر شرح شواهد المغني ١ : ١٢٦

(٤) ويروى (يلُمنني) انظر البيان في غريب إعراب القرآن ٢ : ١٤٥ وشرح المفصل ٣: ١٣٠ .

(٥) طه : ٦٣ .

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

فيقول : زيد لأخوك ، وهي لغة مستقيمة ، قال الشاعر (١):

خالي لأنتَ ومَنْ جريرٌ خالُـــــهُ ... يَنَلِ العلاءَ ويُكرمُ الأخْـــوالا

وقال آخر (٢):

أم هل كبيرُ بكى لم يقضِ عَبْرَتَهُ (٣) ... إثرَ الأحبةِ لَمَّا بانوا لَعَجُوزُ شَهْرَبَـــةُ (٤)

ترضى من اللحمِ بعظم الرَّقَبَـــةُ

.....)) (٥).

أما النحاة الآخرون فلم يطالعني منهم من أجاز ذلك ، إذْ منعوا دخول اللام على خبر المبتدأ ، لذلك ذهبوا في لام (لعجوز) مذاهب مختلفة ، فأشار الزجاج (٦) إلى أنّ هناك مبتدأ محذوفا وتقديره : لهي ، فلما حذف لزمت خبره ، وتبعه ابن هشام (٧) في ذلك فيما بعد . واستحسن أبو العباس المبرد والقاضي اسماعيل بن اسحـــق ما أشار إليه الزجاج (٨) .

ومنهم من أشار إلى أنّ اللام ليست لام الابتداء ولكنها لام زائدة (٩). ومنهم من أشار أيضا إلى أنّ دخول اللام على لفظة (عجوز) فيما مضى إمّا على الشـــذوذ وإمّا لضرورة الشعر (١١).

---

(١) انظر الحجة في القراءات السبع : ٢١٨ . وانظر حاشية (١) من الصفحة نفسها . وخزانة الأدب ٤ : ٣٢٨ .

(٢) نسبه جماعة إلى عنترة بن عروس مولى بني ثقيف . ونسبه آخرون إلى رؤبة بن العجاج . انظر في ذلك شرح المفصل ٣ : ١٣٠ ، والبيان في غريب إعراب القرآن ٢ : ١٤٥ وشرح شواهد المغني ٢ : ٦٠٤ . وخزانة الأدب ٤ : ٣٢٨ ـ ٣٢٩ .

(٣) ويروى (الحليس) انظر في ذلك المصادر نفسها وهو الصواب .

(٤) الشهربة : كبيرة السن جدا من النساء .

(٥) القراءات ، لوحة : ٣١٨ ـ ٣٢٠ . وانظر الحجة في القراءات السبع : ٢١٨ ـ ٢١٩ .

(٦) انظر البحر المحيط ٦ : ٢٥٥

(٧) أوضح المسالك ١ : ٢٣١ ؛ والمغني اللبيب ١ : ٢٣١ ، وانظر في ذلك شرح المفصل ٣ : ١٣٠ وشرح ابن عقيل ١ : ٢٣٧ . والتصريح على التوضيح ١ : ١٧٤ .

(٨) انظر في ذلك البحر المحيط ٦ : ٢٥٥

(٩) انظر أوضح المسالك ١ : ٢١٠ والمغني ١ : ٢٣١ ، وشرح ابن عقيل ١ : ٢٣٧ والتصريح على التوضيح ١ : ١٧٤

(١٠) انظر همع الهوامع ١ : ١٤٠ .

(١١) انظر خزانة الأدب ٤ : ٣٢٨ .

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

وذهب فريق آخر إلى أنها دخلت على الخبر على توهم إنّ لكثرة دخولها على المبتدأ ، ومن هؤلاء أبو عبيدة معمر بن المثنى ، ومحمد بن يزيد ، وأبو الحسن علي بن سليمان الأخفش (١).

أما قراءة قوله تعالى : (إنْ هٰذانِ لساحران) على معنى نعم فضعفها أبو البركات بن الأنباري بقوله : ((نعم ، وتقدير الآية : نعم هذان لساحران . كقول الشاعر :

أم الحُلَيْسِ لَعَجوزٌ شَهْربَـــة (٢)

إلا أنّ هذا الوجه فيه ضعف ، لدخول اللام في الخبر ، وهو قليل في كلامهم)) (٣).

أما قياس ابن خالويه على الشاهد الذي اعتبر شاذا عند غيره من النحاة فيقربه من مدرسة الكوفة ، لأنه لم يأبه بما وضعه النحويون من أقيسة وقواعد .

٢ . ما كان على فُعْلَى مثل حُسْنَى يستعمل غير معرف بأل وغير مضاف إلى معرفة:

أجاز ابن خالويه ذلك حملا على أخر الذي يستعمل بغير منك ، لذلك جاز استعمال جمعه بغير ألف ولام ، فاجتمع فيه شيئان : العدل عن الألف واللام والصفة : ((وأمّا قوله : (وقولوا لِلنّاسِ حُسْناً) (٤) بالتنوين ، فالألف في الوقف عوض من التنوين ، ولا يجوز الإمالة فيها . قال الأخفش: قرأ بعضهم (وقولوا للناس حُسْنى) مثل (ولله الأسماءُ الحُسْنى) (٥) جعلها ألف التأنيث . قال البصريون : هذا غلط لأنّ الاسم الذي على فُعْلَى لا يجوز إلاّ بالألف واللام مثل الصغرى والكبرى . قال أبو عبدالله : قد يجوز لأن الخليل وسيبويه ذكرا أنّ قوله : (وأُخَرُ متشابهاتٌ) (٦) جمع أخرى ، ولم يصرف أخَر لأنه معدول من الألف واللام ، فيجوز أنْ يكونَ حُسْنى معدولا ...)) (٧).

---

(١) انظر شرح المفصل ٣ : ١٣٠

(٢) انظر في ذلك ما مضى : ٣٢٣

(٣) البيان في غريب اعراب القرآن ٢ : ١٤٥

(٤) البقرة : ٨٣

(٥) الاعراف : ١٨٠

(٦) آل عمران : ٧

(٧) القراءات ، لزجة : ٥٨ .

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

أمّا وجه الشبه بينهما فيتراءى لي بعيدا وذلك لأن أحسن تستعمل مع من لأن الأصل في بابه (أفعَل منك) ، وأمر آخر أنّ أُخَر جمع ، وحسنى مفرد ، فكيف نقيس صفة مؤنثة مفردة على جمع ، وأُخَر عُدِلَت عن الألف واللام حملا على آخر لأنها وردت عن العرب بغير من ، أمّا كون الحُسْنى وصفا لجمع فلا يجعلها جمعا (١).

وأنكر النحاة ما ذهب إليه ابن خالويه لذلك أنكروا القراءة السابقة فحملوها على الشذوذ ، إذ وصفها أبو البركات بن الأنباري بأنها ضعيفة في القياس لأنّ باب فُعْلَى وأفعَلُ لا يستعمل إلا مُضافا أو مُعَرّفا بالألف واللام : ((ومن قرأ (حُسْنى) بألف مالة ، كان اسما مشتقا من الحسن مؤنثا بألف التأنيث ، وهذه القراءة ضعيفة في القياس لأن باب فُعْلَى وأفْعَلُ لا يستعمل إلاّ مضافا أو معرفا بالألف واللام ، ولم يوجد واحد منهما)) (٢).

والقول مثل سابقه مع أبي حاتم الذي لم يجوّزها لخروجها عن القياس: ((قال أبو حاتم : قرأ الأخفش (وقولوا للناس حُسْنى) (٣) فقلت : هذا لا يجوز لأن حُسْنى مثل فُعْلى ، وهذا لا يجوز إلاّ بالألف واللام)) (٤).

وخطّأها أيضا أبو اسحق الزجاج ((قال : ومن قرأ (حُسْنى) فهو خطأ لا يجوز أن يُقْرأ به)) (٥).

وينتحل ابن عطية قول سيبويه ليرميها بالضعف : ((وأمّا من قرأ (حُسْنَى) فقال ابن عطية : رده سيبويه لأن أفعَلُ وفُعْلَى لا يجيء إلاّ معرفة إلاّ أن يُزال عنها معنى التفضيل ، ويبقى مصدرا كالعُقْبى فذلك جائز ، وهو وجه القراءة بها (٦)). وينتهي أبو حيان النحوي بعد أن ناقش ابن عطية فيما مر إلى أنها لو حملت على المصدر لاحتاجت إلى نقل عن العرب في أنها تقول : حَسَنَ حُسْنَى ، والقول نفسه في أن تكون صفة لموصوف محذوف أي : وقولوا للناس كلمة حُسْنى أو مقالة حُسْنى ،

---

(١) انظر في أُخَر وآخر ما ينصرف وما لا ينصرف : ٤٠ ـ ٤١ .
والكتاب ٢ : ١٣ ـ ١٤

(٢) البيان في غريب إعراب القرآن ١ : ١٠٣

(٣) البقرة : ٨٣

(٤) انظر لسان العرب (حسن)

(٥) المصدر نفسه والمكان نفسه

(٦) البحر المحيط ١ : ٢٨٥

تأصيل | T’aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

وفي الوصف في رأيه وجهان : إمّا ان تكون باقية على التفضيل ، فاستعمالها بخير ألف ولام ولا إضافة لمعرفة نادر ، وأشار إلى أنّ القراءة يحتمل أنْ تكون من ذلك لأنها شاذة . وإمّا أنْ تكون لغير التفضيل فيكون معناها حسنة (١).

وهي عند ابن جني مصدر بمنزلة الحُسْن ، أمّا أبوعلي الفارسي فهي عنده اسم مصدر والتقدير : قولوا للناس قولا ذا حُسْنٍ (٢).

٣. وصف النكرة بالمعرفة :

يفهم من إعراب ابن خالويه لقوله تعالى : (ويلٌ لكلّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ الذي جمع مالاً وعدّده) (٣) أنه أجاز أنْ تكون لفظة (الذي) وصفا لهُمَزَة النكرة : ((والذي : نعت له وموضعه جر ، ولا يتبين فيه الإعراب لنقصانه)) (٤).

ولعلّ الصواب أنْ نعربها بدلا من همزة كما ذهب كل من أبي البركات بن الأنباري (٥) ، وأبي البقاء العكبري (٦) ، وأبي حيان النحوي (٧) ، لنتجنب الخروج على القاعدة النحوية التي أجمع النحاة عليها .

أما موقف النحاة من هذه المسألة فوجوب التبعية في التعريف والتنكير ما عدا الأخفش الذي أجاز نعت النكرة إذا خصصت بالمعرفة (٨) ، فجعل (الأوليان) صفة ل (آخران) في قوله تعالى : (فآخرانِ يَقُومانِ مَقامَهُما مِنَ الذين استحقّ عليهمُ الأوليانِ) (٩).

أمّا وصف المعرفة بالنكرة فيطالعنا ابن خالويه بما نستطيع أنْ نتخذه

---

(١) انظر البحر المحيط ١ : ٢٨٥ ـ ٢٨٦ .

(٢) انظر في هذه المسألة لسان العرب (حسن) .

(٣) الهمزة : ١ ، ٢ .

(٤) اعراب ثلاثين سورة : ١٨١ .

(٥) البيان في غريب اعراب القرآن ٢ : ٥٣٥ .

(٦) أمجد ما منّ به الرحمن ٢ : ١٥٩ .

(٧) البحر المحيط ٨ : ٥١٠ . وذكر أنها اما ان تكون بدلا وإمّا أن تنصب على الذم .

(٨) انظر في ذلك شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ٢ : ٣٩٤

(٩) المائدة : ١٠٧ .

دليلاً على إجازته له : (((مالكِ يوم الدين) [1]، مالكِ : جر نعت للـــه ، علامة جره كسرة في آخره)) [2]. فمالكَ صفة لله ، ولأن مالكا اسم فاعل لا يكتسب من المضاف إليه تعريفا لأن اسم الفاعل إذا كان للحال أو الاستقبال يفقد ما مرّ ، لنستمع لأبي البركات بن الأنباري يعرض رأي أبي جعفر النحاس في هذه المسألة : ((ومن قرأ (مالكِ) لم يجز فيه أن يكون مجرورا على الصفة كما ذكر النحاس بل على البدل لأنّ (مالك) اسم فاعل من الملك ، جارٍ على الفعل ، واسم الفاعل إذا كان للحال أو الاستقبال فانه لا يكتسب التعريف من المضاف إليه ، وإذا لم يكتسب التعريف كان نكرة ، والنكرة لا تكون صفة للمعرفة ، فوجب أنْ يكون مجرورا على البدل لا على الصفة)) [3]. والقول نفسه مع أبي البقاء العكبري ايضا الذي أوجب فيه أن يعرب بدلا لا صفة لما مرّ : (((مالكِ يوم الدين) [4] يقرأ بكسر اللام من غير ألف ، وهو من عمر ملكه يقال : ملك بين المُلكَ بالضم . وقرئ بإسكان اللام ، وهو من تخفيف المكسور مثل : فخذ وكتف ، وإضافته على هذا محضة ، وهو معرفة ، فيكون جره على الصفة أو البدل من الله ، ولا حذف فيه على هذا ، ويُقرأ بالألف والجر ، وهو على هذا نكرة لأن اسم الفاعل إذا أُريدَ به الحال او الاستقبال لا يتعرف بالإضافة ، فعلى هذا يكون جره على البدل لا على الصفة ، لأنّ المعرفة لا توصف بالنكرة)) [5].

ولعلّ إجازة ابن خالويه لذلك تعود إلى أنّ الوصف خاص بالموصوف كما ذهب إلى ذلك ابن الطراوة فيما بعد [6].

---

(١) الفاتحة : ٤

(٢) اعراب ثلاثين سورة : ٢٢

(٣) البيان في غريب اعراب القرآن ١ : ٣٥

(٤) الفاتحة : ٤

(٥) إملاء ما من به الرحمن ١ : ٣ ـ ٤

(٦) انظر شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ٢ : ٣٩٤ .

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

٤٠ الإخبار بالمصدر عن الذات :

يفهم من احتجاج ابن خالويه لقراءة قوله تعالى : (ولا يحسبن الذين كفروا أنما نُملي لهم) [١] بالتاء أنه أجاز أن نعرب (أنما نملي لهم) مفعولا ثانيا لحسب : ((فمن قرأ بالتاء جعل الخطاب للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، وكان (الذين) في موضع نصب . بالحسبان وهو المفعول الأول ، وما بعده في موضع المفعول الثاني .....)) [٢].

ويتراءى لي أنه غير موقفه في شرحه لمقصورة شيخه معتمدا على تأويله لقوله تعالى : (ولكن البرَّ مَنْ آمنَ بالله) [٣] : ((فان قيل بأن الله تعالى أخبر عن البر وهو اسم الفعل بِمَنْ وهو اسم ، فقال تعالى : (ولكن البرّ مَنْ آمن بالله) [٣] ولا نقول : إنّ القيام رجل ، وإنما تقول : إنّ القيامَ حسنٌ ، فقل : في ذلك جوابان أحدهما : أن التقدير : ولكن البرّ برُّ من آمن بالله كما تقول : إنّ السخاءَ حاتمٌ أى : إنّ السخاء سخاءُ حاتم . والقول الآخر : إن البرّ بمعنى البار ، تقديره ولكن البارّ مَنْ آمن بالله ، والأول من القولين الاختيار ، لأن التفسير جاء به ...)) [٤].

ويكاد النحويون يجمعون على منع الإخبار بالمصدر عن الذات ، لذلك لجأوا إلى التأويل في القراءة السابقة ، فخرجه أبو حيان النحوي على حذف المضاف من الأول أو الثاني : ((وقرأ حمزة (تَحْسَبَن) بتاء الخطاب ، فيكون الذين كفروا مفعولا أول ، ولا يجوز أنْ يكون (أنّما نُملي لهم خير) في موضع المفعول الثاني لانه ينسبك منه مصدر ، المفعول الثاني في هذا الباب هو الأول من حيث المعنى ، والمصدر لا يكون الذات ، فخرّج ذلك على حذف مضاف من الأول أى : ولا تحسبن شأنَ الذين كفروا .....)) [٥].

---

(١) آل عمران : ١٧٨

(٢) الحجة في القراءات السبع : ٩٢

(٣) البقرة : ١٧٧

(٤) شرح مقصورة ابن دريد ، ورقة ٢٠٨

(٥) البحر المحيط ٣ : ١٢٢ ـ ١٢٣ وانظر تخريجات أخرى للنحاة : ١٢٣ .

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

وخالف أبو علي الفارسي النحويين في هذه المسألة ، إذ أوجب أن تكون ألف (إنما) مكسورة لا مفتوحة ليصح أن تكون إنّ وما دخلت عليه في موضع المفعول الثاني : ((وقال أبو علي الفارسي : ينبغي أن تكون الألف من (إنما) مكسورة في هذه القراءة ، وتكون (إنّ) وما دخلت عليه في موضع المفعول الثاني)) (١). وأنكر مكي بن أبي طالب عليه هذا التأويل لأن القراءة لم تجئ بكسر همزة (إنّ) : ((وقال مكي في مشكله : ما علمت أحدا قرأ (تحسبن) بالتاء من فوق ، وكسر الألف من (إنما))) (٢).

وينكر أبو حاتم هذه القراءة لما دار حولها من تأويلات : ((ولإشكال هذه القراءة زعم ابو حاتم وغيره انها لحن ورد وها)) (٣). والقول نفسه مع ابن مجاهد كما جاء في البحر المحيط (٤) .

اما أبو البقاء العكبرى فوهم كما وهم ابن خالويه ، اذ جمع في مؤلفه التأويلات والتخريجات السابقة بالاضافة الى ما طالعنا به ابن خالويه : ((قرأ حمزة (تحسبن) بالتاء على الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ، (الذين كفروا) : المفعول الأول وفي المفعول الثاني وجهان : أحدهما : الجملة من أن وما عملت فيه . والثاني أن المفعول الأول محذوف أقيم المضاف اليه مقامه والتقدير : ولا تحسبن الذين كفروا خير لأنفسهم)) (٥).

٥ . الابتداء بالنكرة دون مسوّغ :

يفهم من اعراب ابن خالويه للفظة (ظبية) في قول الشاعر (٦) :

ويوما تلاقينا بوجه مقسم كأن ظبية تعطو الى وارق السلّم

أنه اجاز الابتداء بها مع عدم وجود مسوّغ من المسوغات المذكورة في كتب النحو

---

(١) البحر المحيط ٣ : ١٢٣

(٢) المصدر نفسه والمكان نفسه .

(٣) المصدر نفسه والمكان نفسه .

(٤) المصدر نفسه والمكان نفسه . لم يطالعنا ابن مجاهد بذلك في كتابه السبعة في القراءات : ٢١٩ ـ ٢٢٠ .

(٥) إملاء ما منّ به الرحمن ١ : ١٨٩

(٦) هو زيد بن أرقم . ونسب في الكتاب إلى ابن صريم اليشكرى ، ووافقه الأعلم في ذلك . انظر ١ : ٢٨١ ، ٤٨١ . ونسبه ابن منظور (قسم) إلى باعث بن صريم اليشكرى ، ونسب أيضا إلى أرقم بن علياء اليشكرى .
انظر في ذلك الانصاف في مسائل الخلاف ١ : ٢٠٢ ، وخزانة الأدب ٤ : ٣٦٤ . وشرح شواهد المغنى ١ : ١١١ ـ ١١٢ ، وأوضح المسالك ١ : ٣٧٧ .

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

، ((وأنشد ،

(كأن ظبيةٍ تعطو إلى وارقِ السَّلَمْ)

ينشد رفعا وخفضا ، فمن نصب أراد كأنّ ، ومن رفع جعله ابتداء لأنّ أنّ وكأنّ مشددتين ينصبان تشبيها بالفعل ، فإذا خففا فأهل البصرة يجيزون إعمالهما ، وأهل الكوفة لا يجيزونه ، ومن خفض أراد كظبية ....)) (١).

وتكاد كتب النحو (٢) تجمع على أنّ الرفع فيها خبر لكأن واسمها محذوف مقدر ، والتقدير ، كأنّها ظبية تعطو ، وذكر الدنوشري أنّ من جعلها مبتدأ أجاز الابتداء بالنكرة دون مسوغ ، ((قال الدنوشري ، يمكن توجيه الرفع بحذف اسمها وتقديره ضمير شأن ، وظبية مبتدأ وتعطو خبره ، والجملة خبر أن ، ويلزم على ذلك الابتداء بالنكرة من غير مسوّغ)) (٣).

٦ ـ الاستغناء في التوكيد بالعين عن الإضافة إلى ضمير باسم ظاهر غير الاسم المؤكد ،

أجاز ابن خالويه (٤) ذلك معتمدا على قوله تعالى ، (ثم لترونّها عينَ اليقين) إذ أشار إلى أنّ عينا نصت على التأكيد ، (((عينَ اليقينِ) ، عين ، نصب على التأكيد ، كما تقول ، رأيت زيدا عينَه نفسَه ، وهذا درهمي عينه ....)) (٥).

ولم يطالعنا بهذا الرأي نحوي (٦) ، إذ اشترطوا أنّه لا بد من اتصال ضمير المتبوع بهذه الألفاظ ، ليحصل الربط بين التابع ومتبوعه ، ولا يجوز أيضا

---

(١) شرح مقصورة ابن دريد ، ورقة : ١١٢

(٢) انظر في هذه المسألة ، شرح المفصل ٨ : ٨٣ ، وحاشية الصبان على الأشموني ١ : ٢٩٤ ، والكتاب ١ : ٢٨١ ، ٤٨١ ، وأوضح المسالك ١ : ٢٧٧ .

(٣) حاشية الشيخ يس الحمصي على شرح التصريح على التوضيح ١ : ٢٣٤

(٤) التكاثر : ٧

(٥) اعراب ثلاثين سورة : ١٧١

(٦) انظر في هذه المسألة حاشية الصبان على الأشموني ٣ : ٧٥ ، والتصريح على التوضيح ٢ : ١٢٠ ، وأوضح المسالك ٣ : ٣٢٧ ، وحاشية الخضري على شرح ابن عقيل ٢ : ٥٨ .

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

حذف الضمير على نية الإضافة خلافا للفراء والزمخشري . أما ابن مالك فأجاز أن يخلف لفظة كل المؤكدة اسم ظاهر قياسا على قول الشاعر (١):

كم قد ذكرتك لو أجزى بذكركم ... يا أشبه الناس كل الناس بالقمر

ورفض أبو حيان ذلك ، وأكد أن لفظة (كل) في البيت السابق نعت لا توكيد شأنها في ذلك شأن كل في قولنا : أطعمنا شاة كل شاة (٢). أما ابن هشام فلم يقبل منه ذلك : ((وليس قوله بشيء ، لأن التي ينعت بها دالة على الكمال لا على عموم الأفراد)) (٣).

ولعل أبا البقاء العكبري (٤) على حق لاعتباره (عين اليقين) مصدرا على المعنى ، لأن رأى وعاين بمعنى واحد ، ولنا أن نحملها على الحال أيضا بتأويل (معاينة) .

٧٠ أسماء الأفعال :

يفهم من إعرابه ل (كذب العتيقُ) في قول الشاعر (٥) :

كذب العتيقُ وماءُ شنٍّ بارد ... إن كنتِ كارهةً لذلك فاذهبي (٦)

أنه أجاز أن تكون لفظة (كذب) اسم فعل بمعنى عليك ينصب ما بعده ، ولكن البيت جاء من العرب بالرفع : ((وقال السدوسي :

كذب العتيقُ وماءُ شنٍّ بارد ... إن كنتِ كارهةً لذلك فاذهبي

..... قال ابن خالويه : في هذه الأبيات ثلاثة أحرف وأنا أفسرهن،

---

(١) نسبه السيوطي إلى عمر بن أبي ربيعة . وذكر أن العيني نسبه إلى كثير عزة . انظر في ذلك شرح شواهد المغني ٢ : ٥١٨ . وذكر محقق هذا المؤلف أنه يوجد في ديوان كثير عزة . وانظر ديوان عمر بن أبي ربيعة : ٣٦ .

(٢) انظر في هذه المسألة المغني ١ : ١٩٤

(٣) المصدر نفسه والمكان نفسه ، وانظر حاشية الصبان على الأشموني ٣ : ٧٥

(٤) انظر إملاء ما منّ به الرحمن ٢ : ١٥٩

(٥) ينسب إلى عنترة العبسي وإلى خزر بن لوذان السدوسي .
انظر في ذلك لسان العرب ، والصحاح (عتق) . وتاج العروس (كذب) .

(٦) ويروى أيضا :
كذب العتيق وماء شن بارد ... إن كنتِ سائلتي غبوقا فاذهبي
انظر في ذلك المصادر نفسها .

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

الحرف الاول : كذب المتيقُ رفع ، وإنما هو إغراء أي عليك المتيقَ والملَّ البارد ولكنه كذا جاء عنهم بالرفع لانه فاعل كذب ، والعرب تقول : كَذَبَ عليكَ المَعَسَلُ (أي الزم المعدةَ وسرعةَ السيرِ والمشي) [1] ، وفي الحديث (كذبَ عليكُم الحجُّ ، وكذب عليكم العمرةُ ، وكذب عليكم الجهادُ ، ثلاثة [2] أسفار كَذَبْنَ عليكم) [3] ....)) [4].

وكذب في الأصل فعل ثم صار اسم فعل يحمل الإغراء ، فلولا مجيء ما مرّ عن العرب لأوجب ابن خالويه النصب فيه ، إذْ يوحي النص المقتبس أنه ينصب ما عدا ذلك على الإغراء . ويتبعه الرضي [5] وابن الأثير [6] في ذلك فيما بعد .

أما النحاة فاختلفوا في تأويل ما مضى ، إذْ أشار ابن السكيت إلى أن هذه اللفظة جاءت على غير القياس . وذهب الجوهري إلى أن معناها (وجب) ، والقول نفسه مع الفراء . وذهب الأخفش إلى أن ما بعده مرفوع بكذب ، ومعناه نصب . وأجاز الزمخشري النصب والرفع فيه [7] . وأكد ابن الجزري [8] أنّ الوجهَ الصحيح في ذلك النصب على الإغراء ، وأن الرفع من باب الشذوذ ولعله يجري في ذلك وراء ابن خالويه الذي أوجب النصب فيما مر ماعدا ما جاء من العرب بالرفع .

ويؤلف أبو بكر بن الأنباري [9] رسالة مستقلة يشرح فيها معاني الكذب التي جعلها خمسة ، وينكر فيها النصب على الإغراء .

---

(١) لعل ما قبل ما بين الخاصرتين ساقط ، وهو : كذب عليك العدو لأن كذب عليك العسل معناه كل العسل . انظر في ذلك تاج العروس (كذب) .

(٢) في المخطوط (وثلاثة) والصواب ما أثبتناه .

(٣) هذا قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه . انظر في ذلك النهاية في غريب الحديث ٤ : ١٥٨ .

(٤) شرح مقصورة ابن دريد ، ورقة : ٧٥ ـ ٧٦ .

(٥) انظر في ذلك تاج العروس (كذب) وخزانة الأدب ٣ : ٩ .

(٦) انظر المصدرين كليهما .

(٧) انظر في هذه المسألة النهاية في غريب الحديث ٤ : ١٥٧ ـ ١٥٨ .

(٨) انظر المصدر نفسه ٤ : ١٥٨

(٩) انظر في ذلك تاج العروس (كذب) .

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

٨٠ التعدية واللزوم :

ذكر ابن خالويه أنّ الفعل (شكر) لا يتعدى إلاّ بحرف جر ، وما جاء عن العرب بغيره يحمله على الشذوذ : ((الشكر لا يكون إلاّ مكافأة ، ولا يتعدى إلاّ بحرف الصفة ، يقال : شكرت للعامل ، وشكرت له فعله ٠ لا يقال : شكرته إلاّ في الشذوذ من اللغة ٠ وأنشدنا ابن مجاهد [1]:

شكرتُ بني عَوْفٍ فلم يتقبلوا رسولي ولم تنجح وسائلي

الرواية : نصحت بني عوف ٠٠٠٠٠٠ فقال تعالى : (واشكروا لي) [2]، فشكر العباد لله لزم الطاعة عقلا وعملا ، وشكر الله للعبد مزيدا من الثواب ٠٠٠٠)) [3].

أما النحويون فأجمعوا على جواز الوجهين (شكرته وشكرتُ له) ، ولكن الأفصح في نظرهم التعدية باللام ٠ أما الأشموني فذكر أنّ ذلك يجوز في السعة والندرة [4].

ويتراءى لي أنّ المسألة نالت من الجدل والنقاش كثيرا ، إذْ يؤلف المعافي ابن زكريا النهرواني أحد تلاميذ ابن خالويه رسالة مفردة في تصريف للفعل (شكر) متعديا إلى المفعول (شكره) أو متعديا إليه بحرف الجر (شكر له) [5].

٩٠ الفعل (رفع) يتعدى إلى مفعولين بدون حرف جر :

أجاز ابن خالويه ذلك قياسا على قوله تعالى : (نرفع درجات من نشاء) [6]

((وقوله تعالى : (نرفع درجاتٍ مَنْ نشاء) قرأ أهل الكوفة بالتنوين ، وقرأ الباقون بغير تنوين مضافا مثل : نرفع أعمالُ مَنْ نشاءُ ٠ ومن نوّن يجعل مَنْ في موضع نصب ، ونشاء صلتها ، ودرجات مفعولا ثانيا أو حالا أو بدلا أو تمييزا ، والتقدير : نرفع من نشاء درجات ٠٠٠٠٠)) [7].

---

(١) القائل هو النابغة الذبياني ٠ انظر في ذلك لسان العرب ، وتاج العروس ، والصحاح (نصح) ٠

(٢) البقرة : ١٥٢

(٣) شرح مقصورة ابن دريد ، ورقة : ٩٩ ـ ١٠٠

(٤) انظر في هذه المسألة : حاشية الصبان على الأشموني ٢ : ٩٠ ، وشرح التصريح على التوضيح ١ : ٣١٢ ، ولسان العرب (شكر) وتاج العروس (شكر) ٠

(٥) انظر كتاب الجليس الذي نشر قسم منه في مجلة المجمع العلمي العربي ٣٠ : ٢٨٢

(٦) الأنعام : ٨٣

(٧) القراءات ، لوحة : ١١٤ ٠

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

أما ما أشار إليه النحاة (١) من أن حرف الجر حذف للاتساع كقوله تعالى : (واختار موسى قومَهُ سبعينَ رجلا) (٢) فلم يشر إليه ابن خالويه كما هو واضح في النص السابق ، ناهيك عن جعل (رفع) من أفعال العطاء . وقد خرّجوا القراءة السابقة على حذف حرف الجر ، قال أبو البركات بن الأنباري : ((يقرأ درجات بتنوين وغير تنوين ، فمن قرأ بالتنوين كان منصوبا بنرفع ، ودرجات منصوبا على الظرف ، أو بتقدير حرف الجر ، وتقديره : إلى درجات ....))(٣) . والقول نفسه مع أبي البقاء العكبري (٤) . وذهب أبو حيان النحوي إلى أن رفع يحتاج إلى أن يضمن معنى العطاء : ((ونوّن درجاتٍ الكوفيون ، وأضافها الباقون . ونصبوا النون على الظرف أو على أنه مفعول ثانٍ ، ويحتاج هذا القول إلى تضمين نرفع معنى ما يعدى إلى اثنين ، أي : نعطي من نشاء درجات)) (٥) (٦) .

١٠ . حكم المضارع الواقع في جواب الطلب بعد نكرة أو معرفة :

ذهب ابن خالويه إلى أن الفعل المضارع الواقع في جواب الطلب إن جاء بعد نكرة الاختيار رفعه على الصفة ، وإن جاء بعد معرفة الاختيار جزمه : ((وقوله تعالى : (يَرِثُني ويرثُ من آل يعقوب) (٧) قرأ ابو عمرو والكسائي جزما جوابا للأمر ، وإنما صار جواب الأمر مجزوما لأن الأمر مع جوابه بمنزلة الشرط والجزاء ، أي : هب لي وليا فانك إن وهبته لي ورثني . قرأ الباقون (يرِثُني) بالرفع على تقدير : فإنّه يَرِثُني . ومن اختار الرفع قال : (وليا) (٨) نكرة ، فجعلت (يَرِثُني) صلة كما تقول : أعرني دابة أركبُها . ولو كان الاسم معرفة لكان الاختيار

---

(١) انظر في ذلك شرح ابن يعيش ٧ : ٦٣ ـ ٦٤

(٢) الأعراف : ١٥٥

(٣) البيان في غريب إعراب القرآن ١ : ٣٢٩

(٤) إملاء ما منّ به الرحمن ١ : ١٤٠

(٥) انظر معاني رفع في لسان العرب .

(٦) البحر المحيط ٤ : ١٧٢

(٧) مريم : ٦

(٨) مريم : ٥ .

تأصيل | T’aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

الجزم كما قال تعالى : (فذروها تأكلْ في أرضِ الله) [١] . والنكرة نحو قوله : (خذ من اموالهم صدقة تطهرُهم) [٢] . ولمن رفع حجة أخرى أنّ الآيه قد تمت عند قوله (وليا) ٠٠٠٠٠)) [٣] .

وهذا الاختيار الذى أشار إليه لم يطالعني به نحوى ، إذ اكتفت كتب القراءات [٤] والنحو [٥] بالإشارة إلى أنه إذا جاء مرفوعا بعد المعرفة أعرب إمّا حالا وإما على القطع والاستئناف ، ذكر ابن يعيش في شرحه على المفصل ما يلي : ((يريد أنّ هذه الأشياء التي تجزم على الجواب في الأمر والنهي وأخواتهما (اذا لم تقصد الجواب والجزاء رفعت ، والرفع على أحد ثلاثة أشياء : إما الصّفة ان كان قبله ما يصح وصفه به (وإمّا حالا) إن كان قبله معرفة ، (وإمّا على القطع والاستئناف) ٠٠٠٠ ومثال الثاني : خلّ زيدا يضحكُ ، اى مازحا لأنه لا يصلح أنْ يكون وصفا لما قبله لكونه معرفة ، والفعل نكرة ، ومثله قوله تعالى: (ذرهم في خوضهم يلعبون) [٦] فهو حال من المفعول في ذرهم ٠٠٠٠٠٠)) [٧] ولعلّ السبب الذى جعل ابن خالويه يميل إلى الجزم يكمن في أنّ الجزم قراءة الجمهور، وأما الرفع فقراءة اعتبرها شاذة [٨] .

---

(١) الأعراف : ٧٣

(٢) البقرة : ٢٠٣

(٣) القراءات ، لوحة : ٣٠٠ ـ ٣٠١

(٤) انظر البيان في غريب اعراب القرآن ٢ : ١٢٠ . واملاء ما منّ به الرحمن ١ : ١٥٥ ـ ١٥٦ ، والبحر المحيط ٤ : ٣٢٨ .

(٥) انظر أوضح المسالك ٤ : ١٨٩

(٦) الأنعام : ٩١

(٧) شرح المفصل ٧ : ٥٠ ـ ٥١ .

(٨) انظر المختصر : ٤٤ . وانظر البحر المحيط ٤ : ٣٢٨ .

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

ولتوخي ابن خالويه الإيجاز في التعبير تطالعنا بعض المواقف النحوية إن لم يدقق المتأمل فيها يحسبها آراء انفرادية لم يسبق ابن خالويه إليها، فالفعل المضارع المعتل الناقص مثل يغني علامة رفعه سكون يائه : (((وما يغني) [1] يغني : فعل مضارع ، علامة رفعه سكون الياء)) [2].

ومن ذلك ايضا : (((إذا يغشاها) [3]: فعل مضارع ، وعلامة رفعه سكون الألف)) [4]. ومن ذلك أيضا أن فعل الأمر المسند إلى ياء المخاطبة مجزوم على الأمر ، ولا علامة فيه لأن الياء منعتها : ((جزم على الأمر ، لا علامة فيه للجزم لأن الياء تمنع العلامة)) [5].

ولعل ما أشار اليه من أن الياء منعت علامة الجزم من الظهور يعود إلى ناسخ تلك النسخة (رامفورد) ، وهي نسخة كتبت سنة (١١٧٦هـ) ، ويعترف الاستاذ سالم الكرنكوي [6] أن ناسخها أسقط الفوائد اللغوية ، وذكر القراءات الشاذة إذ لم يبق إلا الربع من النسخة الكاملة ، ولعل في ذلك ما يشير إلى قلة معرفته النحوية واللغوية .

---

(١) الليل : ١١

(٢) إعراب ثلاثين سورة : ١١١

(٣) الشمس: ٤

(٤) إعراب ثلاثين سورة : ٩٧

(٥) إعراب ثلاثين سورة ، حاشية (رقم ١) من الصفحة : ٨٦ .

(٦) انظر إعراب ثلاثين سورة (ترجمة ابن خالويه اختصارا) . صفحة : ٢٤٧ .

آراء لم يسبق إليها في الحـــــــروف ومعانيهـــــا

يتراءى لي أنه أُغار الحروف ومعانيها اهتماما ملحوظا وذلك لما يطالعنـــا في مؤلفاته من إشارات كقوله : ((أو : حرف نسق تنقسم عشرة أقسام : يكـــون تخييرا أو شكا وإباحة ، وغير ذلك مما قد بيناه)) (١). وهل تنقسم إلى عـــدة أقسام (٢). وإنْ تنقسم في كلام العرب اربعة وعشرين قسما : ((قال أبوعبدالله : وقد تأملت إنْ في القرآن وفي كلام العرب ، تنقسم اربعة وعشرين قسما منهـــا : يكون إنْ شرطا كقولك : إنْ تزرني أزرْك ، (وإن تعفوا وتصفحوا) (٣). وتكـــون إنْ بمعنى ما كقولك : إنْ أنت إلاّ قائم ، أي : ما أنت إلاّ قائم ، و (إنْ أنت الاّ نذير)(٤) وتكون صلة : ما إنْ رأيت مثلك ، أي : ما رأيت ولا سمعت به ..... وتكـــون إنْ مخففة من مشددة كقولك : إنْ زيدا قائم تريد : إنّ زيداً قائم ، قال اللـــه تعالى : (وإن كلاّ لما ليوفينّهم) (٥) كذلك قرأها نافع وعاصم ، وينشـــد (٦):

وَصَدْرٍ (٧) مُشْرِقِ النَّحْـــــرِ كَأَنْ ثَدْيَيْهِ حُقّـــــانِ

يريد كأنّ فخفف . أنشدني ابن مجاهد (٨):

فَلَوْ أَنكِ في يومِ الرَّخاءِ سَألْتِنِـــي فِراقَكِ لم أَبْخَل وأَنتِ صَدِيـــقُ

---

(١) شرح مقصورة ابن دريد ، ورقة : ٢١٦ .

(٢) انظر القراءات ، لوحة : ٤٤٢ ، وشرح مقصورة ابن دريد ورقة : ٥٢

(٣) التغابن : ١٤

(٤) فاطـــر : ٢٣

(٥) هود : ١١١

(٦) من شواهد سيبويه ١ : ٢٨١ . وأنشده ابن يعيش ٨ : ٨٢ ولم يعزواه . وانظر اوضح المسالك ١ : ٣٧٨ . وجاء في خزانة الأدب ٤ : ٣٦٠ ((وهذا البيت من أبياتِ سيبويه الخمسين التي لا يعرف لها قائل والله أعلم)).

(٧) ويروى (ووجه) انظر أوضح المسالك ١ : ٣٧٨ .

(٨) ذكر السيوطي في شرحه لشواهد المغني أنه لم ير من ذكر قائله ١ : ١٠٥ وانظر في ذلك أيضا خزانة الأدب ٢ : ٤٦٥ . ولسان العرب (صـــدق) وانظر الإنصاف في مسائل الخلاف ١ : ٢٠٥ .

ويكون بمعنى قد ولم كقوله تعالى : (ولقد مكّناهم فيما إنْ مكّناكم فيه) (١) . (قيل) (٢) . فيما لم نمكنكم ،وقيل ؛ فيما قد مكناكم . والوجه السابع إنْ بمعنى إذْ كقوله تعالى: (اتقوا اللهَ وذَروا مابقى من الربا إنْ كنتم مؤمنين) (٣) أى : اذ كنتم مؤمنين .) (٤) .

ولم يقتصر على ذلك بل أفرد كتبا خاصه لبعض الحروف ككتاب الالفات (٥) وكتاب لا : ((ولا تنقسم أربعين قسما قد أفردت له كتابا)) (٦) . وكتاب ما التى تنقسم ثمانية وعشرين قسما ؛ ((فما ها هنا تسمى كافة للعمل ، وتكون ما جحدا واسما وصلة وشرطا وتعجبا ومصدرا ، وتنقسم ثمانية وعشرين قسما قد أفردنا لذلك كتابا)) (٧)

ومن آرائه الانفرادية التى استطعنا حصرها فى هذا الميدان مايلى ؛

١ . الواو التى فى أوائل قصائد الشعر بمعنى ربّ :

ذهب الى أن كل واو جاءت فى أول بيت من كل قصيده تكون دائما بمعنى ربّ: ((وكل واو فى أول البيت (لم) (٨) ناسقة ومقسمة فهو بمعنى رب. قال رؤبة (٩) :

وقاتم الاعماق خاوى المُخْتَرَق (١٠) .

. . . اختلف قوم فقال بعضهم : الواو بمعنى رب نفسها . وقال آخرون : ربّ مضمرة دلت الواو عليها ، فإذا لم تأت بواو ولا ربّ فلا يجوز الخفض عند البصريين لأن الجار لا يضمر ، وأجاز ذلك الفراء مع الكوفيين وأنشد (١١) :

رسم دار وقفت فى طلله كدت أقضى الحياة من جَلَلِه

---

(١) الأحقاف : ٢٦

(٢) هذه اللفظه كتبت بخط يغاير خط المخطوط فى الهامش .

(٣) البقره : ٢٧٨—

(٤) القراءات لوحة : ٩٤ ه

(٥) انظر فى هذا المؤلف مؤلفاته اللغويه .

(٦) القراءات ،لوحة : ٥٦٥

(٧) شرح مقصورة ابن دريد ،ورقة : ٢٣٤ . وانظر القراءات ،لوحه : ٤٨١

(٨) هكذا كتبت فيه .

(٩) انظر شرح شواهد المغنى ٢ : ٧٦٤ ، ٧٨٤ . وخزانة الأدب ١ : ٣٨ والمغنى اللبيب ٢ : ٣٤٢ ، والخصائص ١ : ٢٦٤ .

(١٠) هو مطلع أرجوزة وبعده : مشتبه الاعلام لماع الخفق .

(١١) هو لجميل . انظر شرح شواهد المغنى ١ : ٣٦٥ ، ٤٠٣ ، والانصاف فى مسائل الخلاف ١ : ٣٧٨ ، وخزانة الأدب ٤ : ١٩٩ .

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

أراد ربّ رسم ، والبصريون ينكرون ذلك ، وينشدونه بالرفع . وحجة الكوفيين قول الحجاج إذا سئل كيف نجدك ؟ قال : خيرٍ عافاك ، يريد بخيرٍ ، وهذا شاذ عند البصريين)) (١).

ولم يطالعني نحوي بذلك ، لذلك يرد أبوعلي الفارسي عليه معتمدا على بعض الأدلة : ((قال أبوعلي الفارسي في نقض الهاذور : وهذا شيء لم نعلم أحدا ممن حكينا قوله في ذلك ذهب إليه ولا قال به ..... وذلك أنّ أوائل القصائد يدخل عليها حروف العطف على جهة الجزم نحو ما رووا من قوله (٢):

بل ما هاجَ أحزاناً وشجواً قد شجا .

وكأنه جعله عطفا على كلام قد كانوا يقولونه ، وقصة خاضوا فيها ، فعطف الشعر بحرف العطف على ذلك الكلام الذي كانوا فيه . الثاني : لو كانت الواو عوضا من ربّ لما جاز ظهورها معها لأنه لا يجوز أن يجمع بين العِوَض والمُعَوَّض عنه . الثالث : انها لو كانت نائبة عن ربّ لجامعها واو العطف كما تجامعها واو القسم ... الرابع : أن رب تضمر بعد الفاء وبل ولم يقل أحدٌ أنهما حرفا جر ، فكذلك ينبغي أن يكون الحكم مع الواو)) (٣).

أما زعم أبي علي الفارسي من أنّ أحدا لم يقل إنّ بل تجر الاسم فليس صحيحا لأن ابن خالويه نفسه أجاز ذلك لنيابتها عن رب ، وهي مسألة ستتضح فيما بعد .

ويوافق الشاطبي (٤) أبا علي الفارسي في ذلك ، إذ يرى أنّ الدليل الرابع أقرب الأدلة إلى الصواب . وينتهي الشيخ عبد القادر البغدادي إلى أنّ هذه المسألة لا ثمرة لها في النحو (٥).

ولعل اعتراض كل من أبي علي والشاطبي صحيح للأدلة السابقة ولمخالفته إجماع النحاة ، اذ لم يقل بذلك بصري ولا كوفي .

---

(١) شرح مقصورة ابن دريد ، ورقة ٢٥١ ـ ٢٥٢

(٢) لم أقف على نسبته .

(٣) خزانة الأدب ١ : ٣٩

(٤) المصدر نفسه والمكان نفسه .

(٥) المصدر نفسه والمكان نفسه .

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

٢ • واو العشر أو واو الثمانيـــــة :

وطلعنا ابن خالويه بواو أخرى غير تلك الواو وأطلق عليها واو العشـــــر أو واو الثمانية ، وهي تلك الواو التي تزاد بعد العدد من واحد إلى تسعـــــة : ((والجواب الثاني أن العرب تعدّ من واحد إلى تسعة وتسميه عشرا ثم تزيـــد واوا يسمى واو العشر كقوله تعالى : (التائبون العابدون) (سبعة)، [1] [2] ثم قال : (والناهون) بعد السبعة • وقال : (مسلمات مؤمنات} [3] عد سبعـة ، ثم قال {وأبكارا) ....)) [4].

أما ابن هشام فأطلق عليها واو الثمانية : ((والتاسع : واو الثمانيـــــة ، ذكرها جماعة من الأدباء كالحريري ، ومن النحويين الضعفاء كابن خالويـــــه ، ومن المفسرين كالثعلبي ، وزعموا أنّ العرب إذا عدوا قالوا : ستة ، سبعة ، وثمانيـة ، إيذانا بأن السبعة عدد تام ، وأنّ ما بعدها عدد مستأنف ، واستدلوا على ذلـــك بآيات .....)) [5].

وقد رد ابن هشام أقوالهم ، إذ أشار إلى أنّها قد تكون عاطفة لجملـــــة على جملة [6]، أو واو الحال [7]. ولعل كونها عاطفة أقرب إلى الصواب ، ولعـــل السبب الذي جعل ابن خالويه ينساق فيما مر ورود ذلك عن العرب •

---

(١) في المخطوط (تسعة) وقد شطبت وصوبت في الهامش •

(٢) التوبة : ١١٢ • وهي الآية : ((التائبون العابدون الحامدون السائحـــون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين) •

(٣) التحريم : ٥ • وهي الآية : ((عسى ربه إنْ طلقكن أنْ يُبْدِلَه أزواجا خيـــرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيّبات وأبكارا)) •

(٤) القراءات ، لوحة : ٤٧٢

(٥) المغني : ٢ : ٣٦٢

(٦) في قوله تعالى ((سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ....)) •

(٧) المغني ٢ : ٣٦٢ ـ ٣٦٣ •

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

٠٣ لام التعجب غير الجارة :

ذكر ابن خالويه أن هناك لام تعجب غير جارة ، ولم يشاركه في ذلك نحوي ، وهي تلك اللام الداخلة على الماضي في مثل قولنا : لظرُفَ زيد : ((السابـــــع : لام التعجب غير الجارة نحو : لظرُفَ زيد ولكرُمَ عمرو بمعنى ما أظرفه ، وما أكرمـــه ، ذكره ابن خالويه في كتابه المسمى بالجمل . وعندي أنها إما لام الابتـــــداء ، وخلت على الماضي لشبهه لجموده بالاسم ، وإما لام جواب قسم مقدر)) (١).

ولعل زعم ابن هشام في أنها لام الابتداء مردود لأن لام الابتداء لا تدخـــل على الفعل الماضي غير المقترن بقد ، وهي مسألة لم يقرها إلا أبو الحسن الذي حصر ذلك بحسن ونعم الجامدين لشبههما الاسم . ولم يرتض الجمهور ذلك ، إذ أجـــازوا دخولها على المقترن بقد فقط ، لأنها تقرب الماضي من المضارع المشبه بالاســـــم . أما الماضي المتصرف المجرد من قد فأجاز الكسائي وهشام دخولها عليه على إضمـــار قد ، ومنعه الجمهور (٢).

والقول نفسه مع لام جواب القسم ، إذ يقال إن لام الابتداء تكاد تؤول بلام قسم مقدر . ولعلي لا أوافق ابن هشام في هجومه على ابن خالويه في هذه المسألـــة وغيرها ، إذ وسمه بالضعف في النحو ، ولم لا نقر بوجود لام للتعجب تدخل علـــى الفعل الماضي المتصرف .

٠٤ بل حرف خفض بمعنى رب :

ذهب إلى أن بل قد تأتي حرف خفض بمعنى رب فيخفض بها دون إضمـــــار:
((بل : حرف تحقيق ، وهي تنقسم ثلاثة أقسام : تكون حرف نسق استدراكا للكـــلام ،

---

(١) المغني ١ : ٢٣٧

(٢) المصدر نفسه ١ : ٢٢٨ ـ ٢٣٠ . وكتاب اللامات ٦٧ ـ ٧٤ .

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

وتكون لترك الكلام وأخذ . في غيره كقوله تعالى ذكره : (ص ٠ والقرآنِ ذي الذكر بل الذين كفروا) (١)، وتكون بمعنى ربّ فيخفض بها كقولك : بل بلدٍ جاوزته ، معناه رب بلدٍ جاوزته ٠٠٠٠٠)) (٢).

ويرى بعض النحويين أنها تجر الاسم على نية ربّ المضمرة وأنكر الفارسي ذلك فيما مضى ،ولكن الأشموني نسب ذلك إلى بعض النحويين رغم تخطئته لهم : ((الثاني : قال في التسهيل : وليس الجر بالفاء وبل باتفاق ، وحكى ابن عصفور ايضا الاتفاق ، لكن في الارتشاف : وزعم بعض النحويين أنّ الجر هو بالفاء وبل ، لنيابتها مناب ربّ وأمّا الواو فذهب الكوفيون والمبرد إلى أنّ الجر بها ، والصحيح أنّ الجر برب المضمرة ، وهو مذهب البصريين)) (٣).

ويعتبر ابن هشام (٤) ذلك خاصا بالجمل إذا حملت هذا المحمل مع إضمار ربّ ، وأشار إلى وهم بعض النحويين في زعمهم أنها جارة (٥).

٠٦ كسر همزة إنّ وفتحها :

يفهم من تعليق ابن خالويه على قراءة قوله تعالى : (ولا يَحْزُنْك قولهم إنّ العزة لله) (٦) بفتح الهمزة أنه أجاز الفتح بتقدير فعل غير فعل القول : (((ولا يحزنك قولهم أنّ العزة لله) بفتح الهمزة ، أبو حيوة ٠ قال ابن قتيبة : من فتح أنّ ها هنا فقد كفر ؛ قال ابن خالويه : وله وجه عندي ذهب على ابن قتيبة ، بنصب أنّ بتقدير فعل غير فعل القول ، والتأويل : ولا يحزنك قولهم إنكارهم أنّ العزة ٠٠٠٠٠٠)) (٧).

---

(١) ص: ١

(٢) اعراب ثلاثين سورة : ٦٢ ٠ وانظر شرح مقصورة ابن دريد ، الورقتان : ٥١ ، ٢٧٦ ٠

(٣) شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ٢ : ٣٠٠

(٤) المغني ١ : ١١٢ ٠

(٥) انظر في هذه المسألة التصريح على التوضيح ٢ : ٢٣ ، والإنصاف في مسائل الخلاف ٢ : ٥٢٩ ، وشرح شذور الذهب : ٣٢٣ ٠

(٦) يونس: ٦٥

(٧) مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع : ٥٧ ٠

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

ولم يطالعني نحوي بذلك ، فمنهم من ذكر أَنَّ الهمزة بدل من قولهم ، ومنهم من اعتبرها شاذة ، ومنهم من خطأ من قرأ بها : ((وقرأ ابو حيوة (أَنَّ الهمزة) بفتح الهمزة وليس معمولا لقولهم ، لأنّ ذلك لا يحزن الرسول صلى الله عليه وسلم ، إذْ هو قول حق . وخرجت هذه القراءة على التعليل ، أي : لا يقع منك حزن لما يقولون لأجل أَنَّ العزة لله جميعا . ووجهت أيضا على أَن يكون (أَنَّ العزة) بدل من قولهم ، ولا يظهر هذا التوجيه . قال الزمخشري : ومن جعله بدلا من قولهم ثم أنكره ، فالمنكَر هو تخريجه لا ما أنكره من القرآن . وقال القاضي : فتحها شاذ يقارب الكفر ، وإذْ كسرت كان استئنافا ، وهذا يدل على فضيلة علم الإعراب . وقال ابن قتيبة : لا يجوز فتح أنّ في هذا الموضع ، وهو كفر وغلو . وانما قال القاضي وابن قتيبة ذلك بناء منهما على أَنّ أنّ محمولة لقولهم . وقد ذكرنا توجيه ذلك على التعليل ، وهو توجيه صحيح)) (١).

٠٧ ثم قد تأتي بمعنى قبل :

ذكر أَنَّ (ثم) العاطفة قد تعني في بعض المواقف (قبل) معتمدا على قوله تعالى : (ولقد خلقناكم ثمّ صورناكم ، ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم (٢)) : ((وقد جاء ثم بمعنى قبل ، وهذا غريب ، قال الله تعالى : (ولقد خلقناكم ثم صوّرناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) (٣). وقد قال الله تعالى للملائكة اسجدوا قبل أَنْ يخلقنا . فلذلك تأوله بعضهم قال : معنى خلقناكم أَيْ خلقنا آباءكم ، ثم قال لليهود الذين بين ظهراني رسول الله صلى الله عليه وسلم في زمانه : (فلِمَ تقتلون أنبياء الله) (٤) معناه : فَلِمَ قَتَلَ آباؤكم الأنبياء)) (٥).

ولم تذكر كتب التفاسير التي اعتمدت عليها ما مر ، اذ نقل ابو حيان النحوي (٥) تأويلات كثيرة مغفلا ما أشار إليه ابن خالويه .

---

(١) البحر المحيط ٥ : ١٧٦

(٢) الأعراف : ١١

(٣) البقرة : ٩١

(٤) ليس في كلام العرب : ٤٤

(٥) انظر البحر المحيط ٤ : ٢٧٢ . وانظر الكشاف ٢ : ٦٨ ، وتفسير ابن كثير ٢ : ٢٠٢ .

مسائل نحوية شارك فيها نحويـــــــا أو نحوييـــــن

رأيت قبل أن أُنهي حديثي عن هذه المسألة أن أعرض طائفة من المسائـــل شارك فيها نحويا أو نحويين ، وذلك لتكتمل الصورة ، وهي مسائل تكاد تكـــون كثيرة ، ولكنني آثرت أن أختار بعضها حبا في الإيجاز والاختصار :

١ • مما تقتضي اتحاد الوقت بخلاف جميعا عندما تكون حالا :

ذكر بعض مؤلفات النحو أن ابن خالويه شارك في هذه المسألة أبا العباس ثعلبا : ((قوله : (معا) منصوب على الحال ، وهي بمعنى جميعا عند الناظـــم ، فلا تقتضي اتحاد الوقت ، فلا اشكال على مذهبه • اما عند ثعلب وابن خالويـــه فتقتضي اتحاد الوقت بخلاف جميعا ، وعلى هذا تكون معا هنا مجازا في مطلـــق الاجتماع بقرينة استحالة اجتماع النصب والجر في وقت واحد)) [1] • وطالعنـــا السيوطي بذلك في مؤلفه الجامع همع الهوامع : ((واختلف في معا ، فذهب الخليـل وسيبويه ، وصححه ابو حيان إلى أنها فتحها إعراب كما في حال الإضافة ، والكلمـــة ثنائية اللفظ حين الافراد وحال الإضافة • وذهب يونس والأخفش وصححـــه ابن مالك إلى أنها فتحتها كفتحة تاء فتى ، وأنها حين افردت رد اليها المحـــذوف ، وهو لام الكلمة فصار مقصورا ، وأيده ابن مالك برقمه ، كذلك حالة الرفع كالمقصـــور ورده ابو حيان •••• وذهب ابن مالك إلى أنها في الافراد مساوية لمعنى جميـــع • قال ابو حيان : وليس بصحيح فقد قال ثعلب : اذا قلت جاءا جميعا احتمـــل أن فعلهما في وقت او وقتين ، واذا قلت : جاءا معا فالوقت واحـــد ، وكـــذا ذكر ابن خالويه أنها باقية الدلالة على الاتحاد في الوقت)) [2] .

---

(١) . حاشية الصبان على شرح الأشموني ١ : ٩٢ • وانظر شرح الخضري على ابن عقيل ١ : ٤٦١ •

(٢) همع الهوامع ١ : ٢١٨ •

٢٠ دخول لا النافية على اسم الفعل :

شارك الفراء في أنّ لا النافية تدخل على اسم الفعل ، واسم الفعل لا يدخل عليه في نظر النحاة عامل يؤثر فيه : ((وفي معاني القرآن العظيم للفراء : ومن العرب من يقول : لا مساس، يذهب به إلى مذهب دراك ونزال . وفي كتاب ليس لابن خالويه : لا مساسِ مثل دراكِ ونزالِ ، وهذا من غرائب اللغة، وحمله الزمخشري والجوهري على أنه من باب قطامِ ، وأنه معدول عن المصدر، وهو المس)) (١).

وذكر اللقاني (٢) أن وجه غرابته يكمن في أنّهما جعلا لا النافية مع ما بعدها اسما واحدا أُريد منه الاثبات ، لأن الأصل فيها أن تحوله إلى النفي .

أما ابن جني فانكر ما مرّ ، إذ حمل قراءة ابي حيوة لقوله تعالى : (لا مساسِ) (٣) على تقدير الحكاية : ((وذلك أنّ (مساس) هذه كنزالِ ودراكِ وحذارِ ، وليس هذا الضرب من الكلام - أعني ما سمي به الفعل ، مما تدخل لا النافية للنكرة عليه ، نحو : لا رجل عندك ، ولا غلام لك وَ(لا) إذاً في قوله : (لا مساسِ) نفي للفعل ، كقولك : لا أمسك ولا أقرب منك ، فكأنه حكاية قول القائل : مساس كدراك ونزال ، فقال : لا مساسِ، أي : لا اقول : مساسِ، وكان أبوعلي ينعم التأمل لهذا الموضع لما ذكرته لك ، وقال الكميت (٤):

لا هَمامِ لي لا هَمّامِ (٥).

أي : لا أقول : همام ، فكأنه من بعد لا أهمّ بذلك ، ولا ببد من الحكاية أن تكون مقدرة ....)) (٦).

---

(١) شرح شذور الذهب : ٩٤

(٢) انظر حواشي الاستاذ محمد محي الدين عبد الحميد : حاشية (٢) من الصفحة ٩٤ من المصدر نفسه .

(٣) طه : ٩٧

(٤) انظر لسان العرب ، وأساس البلاغة (همّ)

(٥) البيت بتمامه :

عادلا غيرهم من الناس طُرّاً بهم لا هَمامِ لي لا هَمّامِ

انظر المصدرين أنفسهما .

(٦) المحتسب ٢ : ٥٦ .

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

٣ . كأى يستفهم بها عن العدد :

أجاز ابن خلوية أن يستفهم بها عن العدد بالرغم من أن الغالب عليها افادة التكثير : ((وقوله تعالى : (وكأىّ من نبى قتل معه) (١) قرأ ابن كثير وحده (كائِن) على وزن كاعن . وقرأ الباقون (وكأىٍ) (٢) على وزن كحىّ . فمن قرأ كذلك وقف بالياء مشددا ، وهما لغتان بمعنى كم ، تقول ، كم مالك ، وكأين مالك ، وكائن مالك)) (٣) . وجاء فى الحجه أيضا قوله : ((. . . وهما لغتان معناهما معنى كم التى يسأل بها عن العدد إلاّ أنها لم تقو على نصب التمييز قوة كم ، فألزمت من لضعفها عن العمل)) (٤) .

ونسب ابن هشام ما أشرنا إليه إلى كل من ابن قتيبه وابن مالك وابن عصفور : ((وتوافق كأى كم فى خمسة أمور : الابهام والافتقار الى التمييز والبناء ، ولزوم التصدير ، وإفادة التكثير تارة ، وهو الغالب ، نحو (وكأىّ من نبى قاتل معه ربيون) والاستفهام أخرى ، وهو نادر ولم يثبته إلاّ ابن قتيبه وابن عصفور وابن مالك . . . .)) (٥) .

٤ . حيث قد تضاف إلى المفرد :

أشار الى أنّ من العرب من يخفضها دون أنْ يبين وجه ذلك من القلة أو الكثره أو الندره ، مما يجعلنا نعتبره ممن أجاز الخفض بها : ((ومن العرب من يخفض بحيث . . . .)) (٦) .

---

(١) آل عمران : ١٤٦

(٢) الصواب (وكيـّن) .

(٣) القراءات ، لوحة : ٨٢

(٤) الحجه فى القراءات السبع : ٨٩

(٥) المغنى ١ : ١٨٦

(٦) شرح مقصورة ابن دريد ، ورقه : ٢٢٧ .

وأجاز الكسائي [١] ذلك قياسا على ما سمع ، وذكر ابن جني [٢] أن من أضافها إلى مفرد أعربها . أما من منع إضافتها إلى المفرد فأبو العباس [٣] المبرد وابن الشجري [٤] وابن هشام [٥] الذي اعتبر ذلك نادرا ، ووافقه الشيخ عبد القادر البغدادي [٦].

٥. بَلْه بمعنى سوى وغير :

ذكر أنها قد تأتي بمعنى سوى وغير ، أي أنها في رأيه من أدوات الاستثناء ((وبَلْه بمعنى سوى وغيره قال النبي صلى الله عليه وسلم : (بَلْه ما أطعتكم فيه) [٧] أي سوى هذا باسكان اللام ....)) [٨].

وطالعنا بما مر ابن فارس [٩] وابن هِشام [١٠] فيما بعد . أما ابن الأنباري شيخ ابن خالويه فلم يذكر ذلك ، إذ ذكر أنها قد تأتي بمعنى على وما أشبهها من حروف الخفض، وبمعنى أجل ، وبمعنى دع [١١].

---

(١) خزانة الأدب ٣ : ١٥٥

(٢) المصدر نفسه ٣ : ١٥٢ -

(٣) انظر المقتضب ٤ : ٣٤٦

(٤) المصدر نفسه حاشية الصفحة ٣٤٦ من الجزء الرابع

(٥) انظر المغني ١ : ١٣٢

(٦) خزانة الأدب ٣ : ١٥٥

(٧) جاء في النهاية في غريب الحديث ١ : ١٥٤ ما يلي :
((ولا خطر على قلب بشر بله ما أطلعتم)).
وجاء في لسان العرب (بله) : ((وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم : (أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتم عليه)).

(٨) شرح مقصورة ابن دريد ، ورقة : ١٧١ - ١٧٢ .

(٩) انظر الصاحبي في فقه اللغة : ١٤٦

(١٠) انظر المغني ١ : ١١٥

(١١) انظر في ذلك تهذيب اللغة ٦ : ٣١٢ - ٣١٤ . ولسان العرب (بله) والجمهرة ١ : ٣٣٠ .

تأصيل | T’aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

٠٦ منع ما كان على فعل من أسماء الأجناس من الصرف :

نسب السيوطي إلى ابن خالويه أن عُلَق منعت من الصرف وهي علم جنس للداهية : ((قال : ومن أغرب ما وقع في فعل الممنوع من الصرف قسم هو علم جنس لا علم شخص، وذلك ما ذكره ابن خالويه في كتاب الأسد : جاء بعلق وفلق بغير ألف ولام ولا يصرف انتهى)) (١).

والقول السابق نسبه ابن منظور إلى الكسائي (٢).

(١) الهمع ١ : ٢٧

(٢) انظر في ذلك لسان العرب ، وأساس البلاغة (علق) ، وتهذيب اللغة ١ : ٢٤٤ .

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

الفصل الثاني

ابن خالويه وأصول الاستشهاد النحوية

لعلّ من الضروري قبل أن اعالج موقف ابن خالويه من هذه الأصول أن ألقى نظره سريعه على هذه الأصول وأنواعها مستعينا بمواقف العلماء منها . لقد ذكر ابن الأنباري أنّ هذه الأصول ثلاثه : نقل وقياس واستصحاب حال : ((أقسام أدلته ثلاثه : نقل وقياس واستصحاب حال ، ومراتبها كذلك ، وكذلك استدلالاتها)) (١) .

أما ابن جني (٢) فهي عنده نقل وقياس واجماع . وأضاف ابن السراج (٣) أصلا آخر وهو العله . وبذلك تكون أصول النحو : النقل ، والقياس ، والاجماع والعله ، واستصحاب الحال . وتطالعنا مؤلفات خاصه بهذه الأصول أو بأحدها ككتاب (الإيضاح في علل النحو) (٤) للزجاجي ، وكتاب الأصول لابن السراج ، وكتاب (المقاييس) لأبي الحسن الأخفش الأوسط (٥) .

وسأعرض موقف ابن خالويه من هذه الأصول محاولا أن أقف وقفه يسيره في مطالع حديثي عن موقفه من كل منها لاقدم صوره موجزه عما يراد به .

السماع أو النقل

عرفّ ابن الأنباري بقوله : ((النقل : هو الكلام العربي الفصيح (المنقول بالنقل الصحيح) الخارج عن حد القله إلى حد الكثره . فخرج عنه إذاً ما جاء

---

(١) لمع الأدله : ٨١

(٢) انظر الاقتراح : ٤٠

(٣) انظر الخصائص ١ : ١٧٣

(٤) أخرجه الاستاذ مازن المبارك .

(٥) انظر في ذلك محاضرات للدكتوره خديجه الحديثي ألقتها على طلبة الدراسات العليا بجامعة الكويت (أصول النحو في كتاب سيبويه) عام ١٩٧١/١٩٧٢ ، مخطوط ، ورقه : ١٥ .

فى كلام غير العرب من المولدين ، وما شذّ من كلامهم ...)) (١) وأما السيوطى فعرفه بقوله : ((وأعنى به ماثبت فى كلام من يوثق بفصاحته فشمل كلام الله تعالى : وهو القران وكلام نبيه صلى الله عليه وسلم ، وكلام العرب قبل بعثته وفى زمنه وبعده إلى أنْ فسدت الالسنه بكثرة المولدين نظما ونثرا عن مسلم أو كافر. فهذه ثلاثة أنواع لابد فى كل منها من الثبوت)) (٢) .

وقبل أن أدون مااستطعت أن أتسقطه من نصوص تجلى موقفه من هذه المسأله أود أن أناقش موقفه من الشواهد النحويه التى ضمها السماع، وهى : القرآن الكريم وقراءاته ، والحديث النبوى الشريف ، وكلام العرب نظمه ونثره .

الشاهد القرآنى :

لقد بنى النحويون واللغويون قواعدهم اللغويه والنحويه على شواهد وقفوا من بعضها مواقف متباينه ، ولكننا نلمح إجماعهم على اتخاذ القرآن شاهدا أعلى فى الدراسات النحويه واللغويه ، قال الفراء : ((والكتاب أعرب وأقوى فى الحجه من الشعر)) (٣) .

ويطالعنا بعض النحويين بمواقف من القرآن الكريم يحق للقارىء أن يوجّه النقد إليهم بسببها ، فالبصريون اتخذوه شاهدا فى المسائل اللغويه والنحويه ، ولكنهم أحيانا يجرون وراء أقيستهم وأصولهم اذا اصطدمت تلك الاصول والاقيسه ببعض الشواهد القرآنيه مما جعلهم يحجمون عنها فى تلك المسائل ، من ذلك منعهم تقدم خبر ليس عليها قياسا على عسى التى لايتقدم خبرها عليها اتفاقا ، ووافقهم فى ذلك جمهور من الكوفيين . أمّا الفراء فقد أجازه ، وتبعه ابن برهان والزمخشرى والشلوبين وابن عصفور (٤) ، واحتجوا بقوله تعالى : (ألا يومَ يأتيهم

---

(١) لمع الأدله : ٨١—٨٢

(٢) الاقتراح : ١٤

(٣) القرآن وأثره فى الدراسات النحويه : ٣٣٠

(٤) انظر فى هذه المسأله شرح التصريح على التوضيح ١ : ١٨٨ والقرآن الكريم وأثره فى الدراسات النحويه : ١٠٤ .

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

ليس مصروفا عنهم) (١) . واعتمدوا في ذلك على أنّ (يومَ يأتيهم) معمولٌ لـ (مصروفا) وقد تقدم على ليس، واسمها ضمير مستتر يعود على العذاب ، وتقديم المعمول لا يصح إلا حيث يصح تقديم عامله (٢) .

ومن ذلك أيضا منعهم (٣) تقدم معمولات عليك ، ودونك ، وعندك في الإغراء ، وذلك لأنها فرع على الفعل في العمل ، وإنّما عملت عمله لقيامها مقامه فينبغي ألاّ تتصرف تصرفه . أما الكوفيون فأجازوا ذلك محتجين بقوله تعالى : (كتابَ الله عليكم) (٤) .

أما الكوفيون فيبدو موقفهم أسلم من موقف البصريين رغم ما عرف عنهم من خروج ، فهم يؤمنون أن القرآن أنزل بلغات العرب المختلفة الفصيحة ، ويتمثل ذلك في قول الفراء : ((إنّ لغة القرآن أفصح أساليب العربية على الإطلاق)) (٥) ومما اعتمدوا فيه على أقيستهم وأهملوا الشاهد القرآني الفصيح ما عرف في عدم جواز تقديم خبر ليس عليها . وأنّ ما في لغة الحجاز لا تعمل في الخبر ، ولكنه منصوب بحذف حرف الخفض، وحجتهم في ذلك أنّ الحرف يعمل إذا كان مختصا كاختصاص حروف الخفض بالأسماء ، فلما كانت مشتركة بين الاسم والفعل أهملت ، وبذلك خرجوا على قوله تعالى : (ما هذا بشراً) (٦) ، و (ما هُنّ أمّهاتِهم) (٧) أما البصريون فذهبوا إلى أنّها تعمل في الخبر ، وهو منصوب بها (٨) .

---

(١) هود : ٨

(٢) انظر في ذلك شرح التصريح على التوضيح ١ : ١٨٨ ، والقرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية : ١٠٤ .

(٣) انظر في ذلك الإنصاف في مسائل الخلاف ١ : ٢٢٨ ـ ٢٢٩ وانظر القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية : ١٠٤ .

(٤) النساء : ٢٤

(٥) القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية : ١٣٦ .

(٦) يوسف : ٣١

(٧) المجادلة : ٢

(٨) انظر في هذه المسألة : الانصاف في مسائل الخلاف ١ : ١٦٥ ، والقرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية : ١٢٨ ـ ١٣٠ .

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

ويحمل الدكتور عبد العال سالم على الموقف البصرى لتخليهم عن الشاهد القرآني في بعض المسائل بقوله : ((وكنا نود تقديسا للقرآن الكريم ، وللغته الفصحى ألاّ يكون هذا القرآن موضعا للتأويلات ، ومسرحا للتخريجات ، مالم تكن هناك ضرورة تدعو إلى ذلك ، ولكن هكذا شاء القدر أن يلتزم البصريون منهج التخريج والتأويل في كتاب الله تبارك وتعالى من غير أن تكون هناك ضرورة ملحة لتقيم أصلا من أصول الدين ، أو تحافظ على سلامة عقيدة من عقائده)) (١).

ولعلّ ما يؤيد الأستاذ الفاضل قول الراغب الأصفهاني في كتاب المفردات) : ((ألفاظ القرآن الكريم هي لب كلام العرب وزبدته ، وواسطته وكرائمه ، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء ... وإليها مفزع حذّاق الشعراء والبلغاء ..... وما عداها ... كالقشور والنوى بالإضافة إلى أطايب الثمرة)) (٢).

ولا أريد أن أسترسل في استقصاء هذه المسألة ومواقف النحاة منها ، لأنّ ما يهمني موقف ابن خالويه ، وهو موقف يتسم بالإجلال والتقدير لكل آية قرآنية ، إذ يفزع إليه ليبني على آياته قواعده النحوية ، لذلك يرى أنّ الحال من المعرفة أجود منها من النكرة قياسا على قوله تعالى : (خاشعةً أبصارُهم) (٣) : ((ويجوز النصب على الحال لأن البصريين يقطعون حالا من النكرة ، وإن كان في المعرفة أجود ، قال الله تعالى : (خاشعة أبصارهم) (٣))) (٤).

ويطالعنا بالدفاع عن القرآن الكريم بين الفينة والأخرى ، فكل ما يجوز في

---

(١) القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية : ١١٣

(٢) نقلا عن البحث اللغوى عند العرب : ٤

(٣) القلم : ٤٣

(٤) شرح مقصورة ابن دريد ، ورقة ٢٠٢ ـ ٢٠٣ .

انظر في هذا النص ما مضى : ٩٠

النحو لا يطبق عليه : ((قوله تعالى : (ويلٌ لكلّ همزه) (١) ، ويل : رفع بالابتداء ، علامه رفعه ضم آخره . فإنْ سأل سائل فقال : ويل نكره والنكره لا يبتدأ بها ، فما وجه الرفع ؟ فقل : النكره إذا قربت من المعرفه صلح الابتداء بها ، نحو ، خيرٌ من زيد. رجلٌ من بني تميم ، ورجلٌ في الدار قائم ، وكذلك ألف الاستفهام مسهّله الابتداء بالنكره نحو قولك : أمنطلق أبوك ..... ويجوز في النحو ويلا لكل همزة ، على الدعاء ، أي : ألزمه الله ويلا . قال جرير (٢) :

كسا اللؤمُ تيماً خُضْرةً في جُلودِها فَوَيلاً لَقيم من سرابيلها الخُضْرِ

بالنصب الروايه الصحيحه . وأجاز الكوفيون وَيْلٌ ووَيْلٌ ، ووَيْلَ وويلاً على حسم الاضافه وعلى ارادتها)) (٣) . ولعله يجري في ذلك وراء شيخ النحاه سيبويه ؛ ((وأما قوله سبحانه : (ويلٌ يومئذ للمكذبين) (٤) و (ويلٌ للمطففين) (٥) فإنّه لاينبغي أن يقول إنه دعاء ها هنا لأن الكلام بذاك واللفظ به قبيح ، ولكن العباد كلموا بكلامهم ، وجاء القرآن على لغتهم ، وعلى مايعنون)) (٦) .

ويدافع عنه يحمل آياته بعضها على بعض : ((الصرّاط)) (٧) منصوب مفعول ثان . تقول العرب : هديت زيدا الصراط ، وإلى الصراطِ وللصراطِ بمعنى واحد ، كما قال تبارك وتعالى : ((الحمدُ لله الذي هدانا لهذا)) (٨) . وقال

---

(١) الهمزه : ١

(٢) انظر فيه الكتاب ١ : ١٦٧ . والمقتضب ٣ : ٢٢٠ . ولسان العرب (ويل) . وديوانه ، تحقيق الأستاذ الصاوي ، وهو من قصيدة له ، ٢١٠ — ٢١٤ .

(٣) اعراب ثلاثين سوره : ١٧٨

(٤) المرسلات : ١٥ ، ١٩ ، ٢٤ ، ٢٨ ، ٣٤ ، ٣٧ ، ٤٠ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٤٩ .

(٥) المطففين : ١

(٦) الكتاب ١ : ١٦٦ — ١٦٧

(٧) الفاتحه : ٦

(٨) الأعراف : ٤٣ .

فى موضع آخر ، (وإنك لتهدى إلى صراطٍ مستقيم) (١) . فكل ذلك جائز ، وقد نزل به القرآن) (٢)

ويقويه بما جاء من كلام العرب من شواهد : ((فإن قيل بأن الله تعالى أخبر عن البر وهو اسم الفعل بمَنْ وهو اسم . فقال تعالى : (ولكن البرَّ مَنْ آمنَ بالله) (٣) ، ولا نقول : إنَّ القيامَ رجلٌ ، وإنما نقول : إنَّ القيامَ حسنٌ فقل : فى ذلك جوابان : أحدهما : أن التقدير : ولكن البرَّ برُّ من آمن بالله كما تقول : إن السخاء حاتم أى : إن السخاء سخاءُ حاتمٍ والقول الآخر : .)) (٤)

وأحيانا يحمل آيات قرآنيه على ما جاء من شعر ليقويها ، اذ يحمل خفض النون فى قوله تعالى : (ولكم دينكم ولى دين) (٥) على قول الشاعر (٦) :

كفّاك كفٌّ ما تُليقُ درهما ـــــ جوداً وأخرى تعطِ بالسيف الدمّا

: ((فإن قال قائل : لم خفضت النون وموضعه رفع بالابتداء مثل الأول ؟ فقل : لانى أضفته إلى ياء المتكلم ثم اجتزأت بالكسرة عن الياء ، والأصل (دينى) بالياء ، فحذفوا الياء اختصاراً ، كما قال الشاعر :

كفّاك كفٌّ ما تُليقُ درهما ـــــ جوداً وأخرى تعطِ بالسيفِ الدمّا

أرا (تعطِ) بالياء ، فحذف الياء اختصارا)) (٧) .

---

(١) الشورى : ٥٢

(٢) اعراب ثلاثين سورة : ٢٨

(٣) البقره : ١٧٧

(٤) شرح مقصورة ابن دريد ، ورقة : ٢٠٨ ، وانظر فى هذا النص ما مضى : ٢٧٨

(٥) الكافرون : ٦

(٦) البيت فى الخصائص ٣ ، ٩٠ ، ١٣٣ . واللسان (ليق) .

(٧) غير منسوب . ومعانى القرآن العظيم ٢ : ٢٧ .

(٧) إعراب ثلاثين سورة : ٢١٥ .

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

وغالبا ما يسخر النحو لخدمة القرآن الكريم ، إذ يحلل نحويا لقوله تعالى : (والسماءِ) [١] : ((فان سأل سائل فقال : قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا تحلفوا إلاّ بالله) ، فلم جاز الإقسام أن يقع بغير الله ؟ فقل : التقدير وربّ السماء ، وربّ الفجر ، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه . وفيه غير هذا مما قد بينته في مواضع)) [٢].

وغالبا ما يبنى قاعدته النحوية على ما جاء في القرآن الكريم ، يتبعه بما يقويه من شعر ، فالألف واللام تدخلان على المصدر لتخصيصه كما في قوله تعالى : (الحمدُ لِلهِ) [٣] : ((ودخلت الألف واللام في المصدر تخصيصا كما تقول : النجا النجا أى : انجُ انجُ . قال الله تبارك وتعالى : (فَضَرْبَ الرقابِ) [٤] أى اضربوا . وقرأ عيسى بن عمر : (فصبراً جميلا) [٥] ، أى : فاصبروا صبرا . قال الشاعر [٦] :

يشكوإليّ جَمَلي طولَ السُّرى ... صبراً جميلا فكلانا مبتلى

وقال العجاج [٧] :

أَطَرَباً وأنتَ قِنَسْرِيُّ ... والدهرُ بالإنسان دوارِيُّ

أفنى القرون وهو قَنْسَرِيُّ

أى ، أتطرب وأنت شيخ .....)) [٨].

---

(١) الطارق : ١

(٢) إعراب ثلاثين سورة : ٣٧

(٣) الفاتحة : ١

(٤) محمد : ٤

(٥) يوسف : ١٨

(٦) لم أستطع الوقوف على نسبته .

(٧) انظر لسان العرب ، وتاج العروس (قنسر) .

(٨) إعراب ثلاثين سورة : ١٩

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

ولعل ما يؤخذ عليه تقديمه لشاهد نثري مصنوع على الشاهد القرآني عند ما يستشهد على كون (هم) فاصله عند البصريين وعماد عند الكوفيين : ((وهم فاصلة عند البصريين وعماد عند الكوفيين كما تقول : كان زيدٌ هو القائمَ ، (ولكن كانوا هم الظالمين) (١) ....)) (٢) .

القراءات القرآنيه :

لقد وقف البصريون من القراءات موقفا يعابون عليه ، لأنهم لم يجلوها حق الاجلال ، ولم يحلوها محلها اللائق، إذْ رفضوا الاحتجاج بكل قراءة تصطدم بأقيستهم متناسين كونها منسوبه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم بسند صحيح ، فلم يأخذوا بها ، وحملوها على الضعف أو الشذوذ أو القبح . ولنا عليهم مأخذ لأنهم قد قاسوا على لغات العرب ، أكثرها ، وتلك القراءات جاءت بلغات هؤلاء العرب ، فحرىّ بهم أن يقيسوا عليها ويحيطوها بهالة من التقديس والاحترام ، إذا صح إسنادها ، وكيف نقف منهم دون نقد وأبو عمرو بن العلاء أحد شيوخهم يقول لسائله ألا يهتم بما يقوله النحاه عن قراءة حمزة (بمصرخيّ) (٣) بكسر الياء ((قال حسين الجعفي سألت أبا عمرو بن العلاء عن كسر الياء فأجازه ..... ، قال : قال خلاد : حدثنا حسين الجعفي قال : قلت لأبي عمرو بن العلاء أن أصحاب النحو يلحنوننا فيها فقال : هي جائزه أيضا ، لاتبالي إلى أسفل حركتها أو إلى فوق ، ثم ذكر بقية الطرق)) (٤) ويكاد النحويون يجمعون على أنها رديئة ومرذوله (٥) .

---

(١) الزخرف : ٧٦
(٢) القراءات ، لوحه : ٤٧٥ — ٤٧٦ .
(٣) ابراهيم : ٢٢
(٤) خزانة الأدب ٢ : ٢٥٦
(٥) المصدر نفسه ٢ : ٢٥٦ — ٢٦٠ .

ويطالعنا البصريون بتخطئة مزيد من القراءات السبعيه لاصطدامها بأقيستهم ، من ذلك قراءة قوله تعالى : (تساءلون به والأرحامِ) (٢) بجر الأرحام عطفا على الضمير المجرور دون إعادة حرف الجر : (وقال ابن عطيه : وهذه القراءه عند رؤساء نحويي البصره لا تجوز لأنه لا يجوز عندهم أن يعطف ظاهر على مضمر مخفوض . . . .) (٢) .

والقول نفسه فى وقوفهم من قراءة نافع (ولقد مكناهم فى الأرضْ ، وجعلنا لكم فيها معائش قليلا ما تشكرون) (٣) ، إذ علق الزجاج عليها بقوله : ((وقال الزجاج : جميع نحاة البصره تزعم أن همزها خطأ ، ولا أعلم لها وجها إلاّ التشبيه بصحيفة وصحائف ، ولا ينبغى التعويل على هذه القراءه) (٤) . أما المازنى فاتهم نافعا بأنه لم يكن يدرى ما العربيه : ((وقال المازنى : أصل أخذ هذه القراءه عن نافع ولم يكن يدرى ما العربيه وكلام العرب الصحيح فى نحو هذا)) (٥) .

ومن ذلك أيضا ردهم لقراءة ابن عامر (وكذلكَ زين لكثير من المشركين قتلُ أولادَهم شركائِهم) (٦) للفصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول به (٧) .

وقراءة أهل المدينه (هؤلاء بناتى هنّ أَطْهَرَ لكم) (٨) بنصب أطهر عند أبى العباس المبرد لحن فاحش : ((أما قراءة أهل المدينه (هؤلاء بناتى هنّ أطهرَ لكم) فهو لحن فاحش ، وإنما هى قراءة ابن مروان ، ولم يكن له علم بالعربيه)) (٩) .

---

(١) النساء ١

(٢) البحر المحيط ٣ : ١٥٨ . وانظر شرح المفصل ٣ : ٧٨ والكشاف ١ : ٤٧٢

(٣) الأعراف : ١٠

(٤) البحر المحيط ٤ : ٢٧١

(٥) المصدر نفسه والمكان نفسه .

(٦) الأنعام : ١٣٧

(٧) انظر البحر المحيط ٤ : ٢٢٩

(٨) هود : ٧٨

(٩) المقتضب ٤ : ١٠٥ . وانظر مختصر فى شواذ القرآن من كتاب البديع : ٦٠ .

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

لا أريد أن امضي في استقصاء الأمثلة التي نستطيع بسببها أن نوجه اللوم إليهم ، ولعلي أرى من الضروري أن أعرض رأي بعض الدارسين في موقف سيبويه من القراءات في مجال الاستشهاد النحوي ، وهو موقف اختلفوا فيه ، فذهب قوم إلى أنه لم يرد القراءات أو يرفضها أو يصفها بالضعف أو الشذوذ ، ويترأس هذا الفريق أستاذنا الدكتور شوقي ضيف وأحد تلاميذه (١) ، وذهب آخرون إلى أنه لم يكن كذلك بل وقف من بعض القراءات ناقدا ومضعفا ، ومن هؤلاء الدكتور أحمد مكي الأنصاري (٢) الذي فند حجج الذين نفوا عنه ما أثبته مستعينا بشواهد بينة ، وهي شواهد توحي بأن من انتصر إليه تناسوا الحقيقة العلمية حبا في الدفاع عن سيبويه .

أما موقف الكوفيين فيتراءى لي أنه أسلم من موقف البصريين ، عبدة القياس ، والقاعدة النحوية ، إذ وقفوا من القراءات السبعية والشاذة موقفا يوحي بالاجلال والتقدير ، ويرجع الأستاذ مهدي المخزومي ذلك إلى أنهم أهل فقه وحديث وقراءات ، وأن الكوفة مهبط الصحابة وبعض القراء ، عاصم بن أبي النجود ، وحمزة والكسائي (٣) .

وبالرغم من كل ما عرف عن الكوفيين إلا أن هناك مواقف تطالعنا يجري فيها الكوفيون وراء القياس ، إذ ردوا تلك القراءات التي لا تتفق مع تلك الأقيسة ، فالفراء يسم قراءة قوله تعالى : (واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحامِ) (٤) بالقبح (٥) .

ويعجبني السيوطي في موقفه من القراءات ، إذ أشار إلى أن كل ما قرئ به جاز الاحتجاج به سواء كان متواترا أم أحادا أم شاذا : ((أما القرآن فكلما ورد أنه قرئ به جاز الاحتجاج به في العربية سواء كان متواترا أم أحادا أم شاذا . وقد أطبق الناس على الاحتجاج بالقراءات الشاذة في

---

(١) انظر في ذلك سيبويه والقراءات : ١٢ ـ ١٥
وانظر أيضا وضع الخليل بن أحمد لأصول النحو البصري وفروعه ، وهي رسالة ماجستير للسيد جعفر نايف عبابنه باشراف الدكتور شوقي ضيف ، ورقة : ١٤٩ ، بجامعة القاهرة . وانظر القرآن وأثره في الدراسات النحوية : ٩٧ ، ١٠٨ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١٣٤ .

(٢) انظر سيبويه والقراءات : ١١ ـ ٣٤ مثلا .

(٣) انظر مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو : ٣٤٣ ـ ٣٤٥ .

(٤) النساء : ١

(٥) انظر البحث اللغوي عند العرب : ١٢ وانظر امثلة اخرى : ١٢ ـ ١٣ .

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

العربية إذا لم تخالف قياسا معروفا ، بل ولو خالفته يحتج بها في مثل ذلك الحرف بعينه وان لم يجز القياس عليه ، كما يحتج بالمجمع على وروده ومخالفته القياس في ذلك الوارد بعينه ، ولا يقاس عليه نحو: استحوذ ....)) [1] لذلك يطالعنا برفض تخطئة من خطأ حمزة وابن عامر في بعض قراءاتهما لأنهما قرآ على رسول الله بأسانيد متواترة صحيحة [2].

أمّا موقف ابن خالويه من القراءات فقيل أنْ أدون ما استطعت تسقطه من إشارات تكشف عن موقفه منها أودّ أن أنثر بعضا من آراء الدارسين في هذه المسألة، فذهب الاستاذ ابراهيم [3] مصطفى إلى أنّ مذهبه تميز بالعناية بالقرآن وجمع رواياته ، وتوجيه ما سمي منه شاذا ، والقول نفسه مع ابن جني .

أما الاستاذ مهدي المخزومي فيجري وراء ما صرّح به ابن خالويه مقدما لمؤلفه (الحجة في القراءات السبع) ، إذْ تلقف ذلك ليصدر حكمه على مذهبه : ((ويبدو من هذا النص أنّ ابن خالويه (أبوعبد الله الحسين بن أحمد) كان من الذين يعتمدون على القراءات في الرجوع إلى أصول العربية ، والاستشهاد بها على صحة قواعدها ، لأنّ كل قراءة من القراءات السبع في نظره تذهب مذهبا من مذاهب العربية لابد فع ، وليس غريبا بعد وقوفه على المذهب الكوفي . لأنه كان يخلط بين المذهبين ـ أن ينظر إلى القراءات مثل هذه النظرة)) [4].

أما أستاذي المشرف فذهب إلى أنه لا يحمل القراءات على قياس العربية وأنه يفاضل بينها [5].

---

(١) الاقتراح : ١٤ ـ ١٥

(٢) المصدر نفسه : ١٥

(٣) انظر البحث اللغوي عند العرب : ١٠

(٤) مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو : حاشية رقم (٤) من الصفحة ٣٤٦ .

(٥) انظر القرآن وأثره في الدراسات النحوية : ٢٨٢ ـ ٢٨٣ .

تأصيل | T’aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

ويكاد موقفه يتسم بالإجلال والاحترام للقرآن الكريم وقراءاته إلا ما يطالعنا به من فلتات قليلات ، اذ يذكر في مؤلفاته مرات عديدة أن القراءة سنة لا تحمل على قياس العربية : ((غير أنه لا يقرأ به إذ لم يتقدم له امام ، والقراءة سنة يأخذها آخر عن أول ولا تحمل على قياس العربية)) (١). ومن ذلك قوله ايضا : ((ولو قرأ قارئ (والله خالقُ كلَّ دابةٍ) (٢) كان سائغا في النحو مثل : (كاشفاتِ ضرَّهُ) (٣) إلا أنَّ القراءة سنة لا تحمل على قياس العربية إنما نتبع به الأئمة)) (٤).

ويهتم بالقراءات السبعية لأن هذه القراءات متصل سندها بالرسول عليه السلام : ((اعلم وفقك الله أن قراءة هؤلاء السبعة متصلة برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكل من قرأ بحرف من هؤلاء السبعة فقد قرأ قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم ....)) (٥) لذلك يأخذ على نفسه الاحتجاج لبعض القراءات التي وهنها غيره ، إذ يرد على شيخه ابن مجاهد في مواضع متعددة من مؤلفاته لتخطئته بعضا منها ، من ذلك قراءة ابن عامر لقوله تعالى : (أرجه وأخاه) (٦) بالهمز وكسر الهاء ، وهي قراءة خطأها ابن مجاهد وجميع النحويين : ((وقرأ ابن عامر في رواية هشام بن عمّار (أرجئه) بالهمز وكسر الهاء ، فقال ابن مجاهد : هو غلط ، وكذلك عند النحويين هو غلط ، لأن الكسرة لا تجوز في الهاء إذا سكّن ما قبلها نحو : منهم ، واضربهم . وله وجه عندي وذلك : أن الهمزة لما سكنت للجزم وبعدها الهاء ساكنة على لغة من يسكن كسر الهاء لالتقاء الساكنين ، وليس هذا كقولهم : منهم واضربهم لأن الهاء هنالك

---

(١) إعراب ثلاثين سورة : ٤٢ ، وانظر : ١٩ ، ٢٣ والقراءات ، اللوحات التالية : ٣٢٤ ، ٣٦٦ ، ٤٠٥ .

(٢) النور : ٤٥

(٣) الزمر : ٣٨

(٤) القراءات ، لوحة : ٣٦٦

(٥) القراءات ، لوحة : ٩

(٦) الأعراف : ١١١ .

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

لا تكون إلاّ متحركة ، فيحتمل قول من خطأه أن يكون خطّأ الرواية ولم ينعم النظر في هذا الحرف . وقد اجترأ جماعة في الطعن على هؤلاء السبعة في بعض حروفهم ، وليس واحد منهم عندى لاحنا بحمد الله ....)) (١).

ويطالعنا بالاحتجاج لقراءات لم يحتج لها أحد من قبل ، إذْ يحتج لقراءة عاصم (من لَدُنِهِ) (٢) باسكان الدال واشمام الضم ، وكسر النون والهاء ، وأيضا بياء : ((قوله تعالى : (من لدنه) قرأ عاصم وحده في رواية أبي بكر (من لدنه) باسكان الدال واشمام الضم ، وكسر النون والهاء ، وأيضا بياء . وقرأ الباقون (لدنه) بضم الدال وجزم النون وضم الهاء من غير واو ..... فأما قراءة عاصم فانه أسكن الدال استثقالا للضمة كما يقال في (كَرُمَ زيدٌ) (كَرْمَ زيد) ، فلما أسكن الدال التقى ساكنان : النون والدال ، كسروا النون لالتقاء الساكنين ، وكسر الهاء لمجاورة حرف مكسورة ، ووصلها بياء كما يقال : مررت بهي يا فتى . وما أعلم أحدا احتج لهذه القراءة ، فاعرفه فانه حسن ...)) (٣)

ومن ذلك أيضا احتجاجه لقراءة أبي عمرو (فانيْ أعذبه) (٤) باسكان الياء لمجيئها قبل حرف مضموم ، لأن مذهبه فتح الياء عند المكسور والمفتوح والتسكين عند المضموم : ((وأما أبو عمرو فإنه كان يفتح عند المكسور والمفتوح ويسكن الياء مع المضموم نحو قوله : (فإنيْ أعذبه عذابا) (٤) فقال بعض من احتج لأبي عمرو : انما سكّن لانه كره أن يخرج من كسر الى ضم وذلك غلط عنده لأن ما قبل الياء مكسور وليست الياء الساكنة بحاجز قوى ، ولكنها إذا تحركت قويت فكانت حاجزا ، فهو إذا أسكن فقد خرج من كسر إلى ضم ، وإذا فتح لم يخرج . ونظيره قول البصريين : أدخل والأصل إ دخل بكسر الألف ، فلما كرهوا الخروج من كسر إلى ضم ضموا الألف لتتبع الضمة الضمة إذ كان الساكن بينهما ليس حاجزا قويا . والحجة لأبي عمرو أنه إنما يسكّن مع المضموم لأن الضمة

---

(١) القراءات ، لوحة : ١٣٩

(٢) الكهف : ٢

(٣) القراءات ، لوحة : ٢٦٧ - ٢٦٨ . وانظر كتاب السبعة : ٣٨٨ ، وذكر ابن مجاهد فيه أن احداً لم يقرأ بها غير عاصم .

(٤) المائدة : ١١٥ .

أثقل الحركات ، والسكون أخف من الحركة فأسكن الياء مع المضمر لتخـــــف الكلمة ، وما أعلم أحدا تكلم فيه ....)) (١).

وأحيانا يوجه بعض القراءات في احتجاجه لها وجهات جديـــــدة ، من ذلك اعتباره لفظة (سواء) في قوله تعالى : (سواءٌ مَحياهمُ) (٢) مبتـــدأ ، وما بعده خبر عنه كما مر (٣). أما نصبها فعلى أنها مفعول ثان لـ (نجعـــل) بالإضافة إلى جواز إعرابها حالا ؛ ((وقوله تعالى : (سواء محياهم) (٤) قـــرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم (سواء) نصبا يجعلونه مفعولا ثانيا من (يجعلهم) والهاء والميم المفعول الأول . فان جعلت (كالذين آمنوا) (٥) المفعول الثانـي نصبت سواء على الحال ....)) (٦).

ويصف سيبويه قراءة النصب بالقبح والرداءة رغم كونها قراءة سبعيـــــة : ((واعلم أن ما كان في النكرة رفعا غير صفة فانه رفع في المعرفة ، من ذلك قولـــــه عز وجل : (أم حسب الذين اجترحوا السيئاتِ أن نجعلَهم كالذين آمنوا وعملـــوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم) (٧) وتقول : مررت بعبد الله خيرٌ منه أبـــــوه . فكذلك هذا وما أشبهه ، ومن أجرى هذا على الاول فانه ينبغي له أنْ ينصبـــــه في المعرفة فيقـــول : مررت بعبد الله خيراً منه أبوه ، وهي لغة رديئة)) (٨).

---

(١) القراءات ، لوحة : ٥٥ ـ ٥٦

(٢) الجاثية : ٢١

(٣) انظر في ذلك ما مضى : ١٠٨

(٤) الجاثية : ٢١

(٥) الجاثية : ٢١

(٦) القراءات لوحة : ٥٠٤ ـ ٥٠٥ . وانظر الحجة في القراءات السبع : ٢٩٩ .

(٧) الجاثية : ٢١

(٨) الكتاب ١ : ٢٣٣ . وانظر سيبويه والقراءات : ١٦ ـ ٢٥ لتقـــــف على آراء النحاة فيها .

تأصيل | T’aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

ويكاد النحاه (١) يجمعون على أنها نصبت لأنها مفعول ثان لحسب لالنجعل كما ظالعنا به ابن خالويه .

وكثيرا ما يحمل القراءات على ما جاء من شعر ليؤيدها ويبعدها عن الضعف أو الشذوذ : ((وقوله تعالى : (غشاوه) (٢) قرأ عاصم فى رواية المفضل (وعلى أبصارهم غشاوةً)بالنصب، وقرأ الباقون (غشاوةُ)بالرفع، فمن نصبأضمر فعلا والتقدير ،ختم الله على قلوبهم وجعل علىأبصارهم غشاوه . كما قال الله تعالى فى الجاثيه : (وجعل على بصره غشاوةً) (٣) . والعرب تضمر الفعل إذا كان فى الكلام دليل ،قال الشاعر (٤) :

سَقَوْا جارَكَ العَيْمان لَمَا جَفَوْتَه وَقلّص عن بردِ الشراب مشافِرُه

سناماً ومَحْضاً أنبتا (٥) اللحم فاكتست عظام امرئٍ ما كان يشبعُ طائِرُه

فالتقدير : سقوا جارك لبنا وأطعموه سناما لأن السنام لايسقى ،وقال آخر (٦) :

(رأيتُ) (٧) زوجَك (فى الوغى) (٨) متقلداً سيفاً ورُمْحا

معناه : حاملا رمحا لأن الرمح لايتقلد .....) (٩) .

---

(١) انظر فى ذلك : املاء ما من به الرحمن ٢ : ١٢٥ ،والبحر المحيط ٨ : ٤٧ والبيان فى غريب إعراب القرآن ٢ : ٣٦٥ ،وإعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج ٣ : ٩١٧ ،والكشاف ٣ : ٥١٢ .وانظر فى ذلك أيضا سيبويه والقراءات : ١٦—٢٥ .

(٢) البقره : ٧

(٣) الجاثيه : ٢٣

(٤) هو للحطيئه :انظر المقتضب ٢ : ٥١

(٥) فى المخطوط (أنبت)والصواب ما أثبتناه .

(٦) ينسب إلى عبدالله بن الزبعرى . انظر فى هذا الشاهد : المقتضب ٢ : ٥١ والانصاف فى مسائل الخلاف ٢ : ٦١٢ ،والخصائص ٢ : ٤٣١ ،واللسان (قلد) .

(٧) الصواب (ياليت) انظر فى ذلك المصادر نفسها .

(٨) يروى (قد غدا) انظر المقتضب ٢ : ٥١

(٩) القراءات ،لوحة : ٤١—٤٢ وانظر أمثله أخرى : لوحه : ٣٩ وأعراب ثلاثين سوره : ١٣٨ .

ويرتبط بموقفه من القراءات موقفه من القراء أنفسهم ، إذ يرى أن كل قراءة يجب أن يكون لها إمام ، متمكن من العربية (١) . ولعلي ألمح من خلال معايشتي لمؤلفات ابن خالويه دفاعه عن القراء ، لذلك يطالعنا بالدفاع عن حمـــــزة والكسائي اللذين خطأهما البصريون في قراءات عديدة ما عدا بعض المواقـــــف المحدودة ، ولعلّ هذا الموقف يقربه من الكوفيين لأنه يدافع عن قارئين كوفييـــن، فهو يحتج لحمزة في قراءته لقوله تعالى : (بمصرخيّ) (٢) بكسر اليـــــاء : ((وقوله تعالى : (وما أنتم بمصرخيّ) قرأ حمزة وحده (بمصرخيِّ) بكسر الياء ، وقرأ الباقون بفتح الياء . ... وأما حمزة فإنّ أكثر النحويين يلحنونه وليس لاحنـــا عندنا ، لأن الياء حركتها حركة بناء لا حركة إعراب ، والعرب تكسر لالتقاء الساكنيـــن كما تفتح . قال الجعفي : سألت أبا عمرو عن (بمصرخيّ) فقال : إنها بالخفـــض لحسنة ....))(٣) .

وجاء في شرح مقصورة ابن دريد (٤) ما يلي : ((وقال ابن مجاهد ..... قال : قلت للأعمش: إنّ أصحاب النحو يلحنونه في (بمصرخيّ) قال : ما علـــم أصحاب النحو بمعاني القرآن ....)) .

أما ابن عامر فيقرأ لي أنّ ابن خالويه وجه إليه لوما شديدا ، لـــم يوجهه إلى غيره ، لذلك خطأ كثيرا من قراءاته رغم كونه من السبعة ، من ذلـــك تخطئته له في قراءته لقوله تعالى : (اقتده) (٥) بكسر الهاء : ((وقوله تعالى : (فبهداهم اقتده) قرأ حمزة والكسائي (اقتدِ) بغير هاء في الوصل ، وفي الوقف بالهاء . وقرأ الباقون بالهاء وصلوا أو وقفوا ، وهذه هاء السكت ، وقد بينت علتها في ســـورة البقرة . فأما ابن عامر فإنه قرأ (اقتدهِ) بكسر الهاء وغلط لأن هاء السكـــت

---

(١) انظر في ذلك الباب الثالث .

(٢) ابراهيم : ٢٢

(٣) القراءات ، لوحة : ٢٣٤ . وانظر في هذه القراءة ومواقف النحاة منهـــا خزانة الأدب ٢ : ٢٥٧ ـ ٢٦٠ .

(٤) ورقة : ١٢٩ .

(٥) الأنعام : ٩٠ .

لا يجوز حركتها)) (١) . ولعل مثل هذا الموقف (٢) من قارئ عربي فصيح يجعلنا نوجه اليه اللوم لتخليه عما طالعنا به من تعهد بالاحتجاج للقراء السبعة (٣) .

أما موقفه من القراءات وبناء القاعدة النحوية فيكثر من ذلك كثرة مفرطة، من ذلك قياسه نصب المضارع بعد الفاء في جواب لعلّ على قوله تعالى : (وقال فرعونُ يا هامانُ ابنِ لي صرحاً لعلي أبلغَ الأسباب . أسبابَ السموات والأرض فاطّلعَ إلى إلـه موسى) (٤) : ((قوله تعالى : (فأطّلعَ إلى إلهِ موسى) (٥) . أجمع القراء على رفعه عطفا على قوله : (أبلغ) (٦) الا ما روى حفص عن عاصم بالنصب لأنه جعل الفاء فيه جوابا للفعل فنصب بها تشبيها لـ (لعلّ) بليت ، لأن ليت في التمني اخت لعلّ في الترجّي (٧) ، ومثله ما رواه عنه أيضا في عبس (فتنفعَه الذكرى) (٨))) .

ومن ذلك قياسه على قراءة عاصم لقوله تعالى : (وعلى أبصارهم غِشاوة) (٩) بنصب غشاوة بإضمار فعل إذا كان في الكلام دليل على ذلك (١٠) .

---

(١) القراءات ، لوحة : ١١٤ — ١١٥ .
(٢) انظر في هذه المسألة ما جاء في باب اللغة .
(٣) انظر في هذه المسألة بالتفصيل ما جاء في باب اللغه .
(٤) غافر ، ٣٦ ، ٣٧
(٥) غافر : ٣٧
(٦) غافر : ٣٦
(٧) عبس : ٤
(٨) الحجة في القراءات السبع : ٢٨٩
(٩) البقرة : ٧
(١٠) انظر في ذلك ما مضى : ٣٦٣

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

ولا أستطيع أن أنزه ابن خالويه في هذه المسألة ، إذْ يطالعنا ببعض المواقف من القراءات السبعية يمكن أنْ يوجه إليه اللوم بسببها رغم ما عرف عنه من دفاع واحتجاج :

١ • المفاضلة بين قراءة وأخرى :

وهي سمة تسيطر على مؤلفاته إذْ كثيرا ما يطالعنا بها : ((قوله تعالى : (وليحكم أهل الانجيل) (١) يقرأ باسكان اللام وكسرها • فالحجة لمن أسكن : أنه جعلها لام الأمر فجزم بها الفعل ، وأسكنها تخفيفا ، وإنْ كان الأصل فيها الكسر • والحجة لمن كسر : أنه جعلها لام كي فنصب بها الفعل ، وتقدير الكلام : وآتيناهُ الإنجيل ليَحْكُمَ أهلُهُ بما أنزل الله فيه • والوجه أن يكون لام الأمر لانتهاء في حرف عبدالله وأبي (وأن ليحكم) (٢)))(٣).

ويطالعنا الاختيار والتفضيل بين القراءات القرآنية عند أبي علي الفارسي ، إذْ يرى أنّ قراءة الرفع في قوله تعالى : (وعلى أبصارهم غشاوة) (٤) أفضل من قراءة النصب : ((فاذا كان النصب تعترض فيه هذه الأشياء فلا نظر في أن الرفع أحسن والقراءة به أولى ، وتكون الواو عاطفة جملة على جملة)) (٥).

٢ • حمله بعض القراءات السبعية على القياس لإيمان كثير من النحاة في أنها يجب أنْ تنطوي تحت لواء القياس رافضين إخضاع القياس لها ، لذلك يحمل قراءة قوله تعالى (وما كان صلاتُهم عند البيت الا مكاءً وتَصْدِيَةً) (٦) بنصب (صلاتهم) على خبر كان ويرفع (مكاء)على اسمها على الضرورة والاتساع : ((وقوله تعالى : (وما كان صلاتُهم عند البيت إلاّ مكاءً وتَصْدِيَةً) (٦) يقرأ برفع (صلاتهم) ونصب قوله (مكاء) و (تصدية) وبنصب (صلاتهم) ورفع قوله : (مكاء وتصدية) فالوجه في العربية اذا اجتمع في اسم كان وخبرها معرفة ونكرة ، أن ترفع

---

(١) المائدة : ٤٧

(٢) لو كانت لام كي لما دخلت عليها أن المصدرية حتى لا يتسلط عاملان ناصبان على فعل واحد • انظر حاشية (٥) من كتاب الحجة في القراءات السبع : ١٠٦ •

(٣) الحجة في القراءات السبع : ١٠٦

(٤) البقرة : ٧

(٥) الحجة في القراءات السبع ١ : ٢٣٣

(٦) الأنفال : ٣٥

تأصيل | T’aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

المعرفة وتنصب النكرة ، لأنّ المعرفة أولى بالاسم ، والنكرة أولى بالفعل ، والوجـــه الآخر : يجوز في العربية اتساعا على بعد أو لضرورة شاعر . قال حسان (١):

كَأَنَّ سَبِيئَةً (٢) من بيتِ رأسٍ يكونُ مِزاجَها عسلٌ وماءُ (٣)))

٣. إعرابه لقراءة كل من ابن كثير وأبي عمرو والكسائي لقوله تعالى : (أو إِطعام) بفتح الهمزة وحذف الألف ، وتركه لما عليه الجمهور : (أَوْ إِطعام) (٤) : (((أو أَطْعَمَ) (أو) : حرف نسق (أَطْعَم) : فعل ماض نسق على فك . والمصـــدر : أطعم يُطْعِمُ إِطعاما فهو مطعم . ومن قرأ (أو إِطْعَامٌ) جعله مصدرا)) (٥).

٤. تخطئته لبعض القراءات السبعية رغم دعوته إلى الأخذ بكل ما قرأ بـــه هؤلاء السبعة ، لأن القراءة سنة ولا تحمل على قياس العربية ، وهي متصلـــة في سندها بالرسول عليه السلام ، إذ يصف بعضها بالغلط والخطأ ، من ذلك تخطئته لابن عامر في قراءته لقوله تعالى : (اقتده) (٦) بكسر الهاء (٧).

ويصفها أبو البركات بن الأنباري بأنها ضعيفة جدا : ((وقيل : إنه شبّـــه هاء السكت بهاء الضمير فكسرها ، وهو ضعيف جدا)) (٨). وخطأها أبو بكر بن مجاهد أيضا : ((وهذا غلط لأن هذه الهاء هاء وقف لا تعرب في حال من الأحـــوال ، وانما تدخل لتبين بها حركة ما قبلها)) (٩) .

ويتراءى لي أن القراءات التي خطّأها نحويا لا تصل في كميتها إلى تلـــك القراءات التي خطأها لغويا ، وتكاد الألفاظ التي أطلقها عليها تكون مهذّبـــة،

---

(١) انظر خزانة الأدب ٤ : ٦٣ . والمقتضب ٤ : ٩٢ ، والكتاب ١ : ٢٣ ، واللسان (سبأ) .

(٢) ويروى (سلافة) . انظر المقتضب ٤ : ٩٢ .

(٣) الحجة في القراءات السبع : ١٤٦ ـ ١٤٧ . وانظر القراءات ، لوحة : ١٦٢ .

(٤) البلـد : ١٤

(٥) اعراب ثلاثين سورة : ٩١

(٦) الأنعام : ٩٠

(٧) انظر في هذه القراءة ما مضى : ٣٦٤

(٨) البيان في غريب اعراب القرآن ١ : ٣٣٠

(٩) كتاب السبعة : ٦٢ .

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

إذ كثيرا ما يحتج لقراءات خطّأها النحويون جميعهم مما يوحي إلينا أنه أضفى عليها هالة من التقديس والاحترام، ولتبدو الصورة أكثر إشراقا ووضوحا أود أنْ أبين مواقف النحاة من قراءة حمزة (بمصرخيّ) [1] بكسر الياء، وهي قراءة احتج لها ابن خالويه كما مر [2].

ولقد طعن في هذه القراءة أبو زكريا الفراء، الذي ينسب خطأها إلى وهم القراء: ((وقد خفض الياء من قوله: (بمصرخي) الأعمش ويحيى بن وثاب جميعا. حدثني القاسم بن معن عن الأعمش عن يحيى انه خفض الياء. قال الفراء: ولعلّها من وهم القراء طبقة يحيى فانه قلّ من سلم منهم من الوهم. ولعله ظنّ أن الياء في (بمصرخي) خافضة للحرف كله، والياء من المتكلم خارجة من ذلك)) [3].

وخطّأها أبو عبيد برميها بالغلط: ((وقال أبو عبيد: نراهم غلطوا، ظنوا أنّ الباء تكسر لما بعدها)) [4]. وينكر الأخفش سماعها من أحد: ((وقال الأخفش: ما سمعت هذا من أحد من العرب ولا من النحويين)) [5]. ويسمها الزجاج بالرداءة والرذالة: ((وقال الزجاج: هذه القراءة عند جميع النحويين مرذولة ولا وجه لها الا وجه ضعيف)) [6] والقول نفسه مع الزمخشري، اذ يصفها بالضعف: ((وقال الزمخشري: هي ضعيفة ...)) [7]. ووصفها أبو جعفر النحاس لمخالفتها الإجماع بالشذوذ: ((وقال النحاس: صار هذا إجماعا ولا يجوز ان يحمل كتاب الله على الشذوذ)) [8]. وينتصر لها أبو البركات بن الأنباري:

((وأما الكسر فقد قال النحويون: أنه رديء في القياس، وليس كذلك، لأنّ الأصل في التقاء الساكنين الكسر، وإنما لم يكسر لاستثقال الكسرة على الياء، فعدلوا الى الفتح، إلا أنه عدل هاهنا إلى الأصل، وهو الكسر ليكون مطابقا لكسرة همزة (إني كفرت بما اشركتمون)) [9] لأنه أراد الوصل دون الوقف، فلما أراد هذا

---

(١) ابراهيم: ٢٢

(٢) انظر في ذلك ما مضى: ٣٦٤

(٣) معاني القرآن ٢: ٧٥. وانظر البحر المحيط ٥: ٤١٩

(٤) البحر المحيط ٥: ٤١٩

(٥) المصدر نفسه والمكان نفسه

(٦) المصدر نفسه والمكان نفسه

(٧) المصدر نفسه والمكان نفسه

(٨) المصدر نفسه والمكان نفسه

(٩) ابراهيم: ٢٢.

تأصيل | T’aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

المعنى كان كسر الياء أدل على هذا من فتحها ، وإنما عاب من عاب هذه القراءة ، لأنه توهم كسرة الياء بالباء على أن كسرة ياء المتكلم لغة لبعض العرب حكاه أبوعلي قطرب)) (١). أما ابن مجاهد (٢) فاكتفى بعرضها دون أن يخطئها .

وينتصر لهذه القراءة بالإضافة إلى ابن خالويه أبو نصر القشيري الذي ذكر أنه لا يجوز تخطئة قراءة صح سندها : ((قال أبو نصر القشيري في تفسيره : ما ثبت بالتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا يجوز أن يقال : هو خطأ أو قبيح ورديء بل في القرآن فصيح ، وفيه ما هو أفصح ، فلعل هؤلاء أرادوا أن غير هذا الذي قرأ حمزة أفصح)) (٣).

ولعلي أرى لزاما عليّ أن أعالج موقف ابن خالويه من القراءات الشاذة لتكتمل الصورة ويبين موقفه من تلك القراءات التي وصفت بالشذوذ ، وجمعها ابن خالويه في حواشي مؤلفه البديع ، وجمع بعضا منها ابن جني في المحتسب معقبا على كل قراءة بما وجده من شواهد وأدلة تؤكد صحتها أو خطأها (٤).

ابن خالويه والقراءات الشاذة :

يفهم مما طالعنا به ابن خالويه أن القراءات الشاذة هي تلك القراءات المرويه عن غير القراء السبعة المصروفين : ((وأما غير السبعة فمنهم من يضم كل هاء في القرآن منهم مسلم بن جندب قرأ (لا ريبَ فيهُ هدى للمتقين) (٥)، وقرأ شيبة (فخسفنا بِهُ وبدارُهُ الأرض) (٦).....)) (٧).

ولعل كتبه : القراءات ، والحجة في القراءات السبع ، والبديع في القراءات السبع تشهد بذلك ، اذ هي في القراءات السبعية كما يطالعنا به كل عنوان من عناوينها ، أما القراءات الشاذة فيفصح كما مر (٨) أنه أفرد لها كتابا جامعا ،

---

(١) البيان في غريب اعراب القرآن ٢ : ٥٧

(٢) كتاب السبعة : ٣٦٢

(٣) خزانة الأدب ٢ : ٢٥٩

(٤) انظر في هذه المسألة ما مضى : ١٥٢ ، ١٧٦ ـ

(٥) البقرة : آية : ٢

(٦) القصص : ٨١

(٧) القراءات ، لوحة : ٥٠

(٨) انظر في ذلك ما مضى : ١٥٢

تأصيل | T’aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

رغم خروجه على هذا المنهج الذى رسمه بذكره قراءات شاذة في مؤلفه (القراءات)[1]: ((وأما قراءة أبي هريرة رحمه الله وعمر بن عبد العزيز ..... (مالكَ يوم الدين)[2] على الدعاء (يا مالكَ يومِ الدين) وقد ذكرته في الشواذ ولا أذكر في هذا الكتاب غير حروف السبعة وعللها))[3].

ولعلّ ما يؤيد هذا المفهوم ما طالعنا به ابن جني في تقديمه لمؤلفه (المحتسب): ((فأتى ذلك على طهارة جميعه، وغزارة ينبوعه، ضربين: ضربا اجتمع عليه أكثر قراء الأمصار، وهو ما أودعه أبو بكر أحمد بن موسى بن مجاهد رحمه الله كتابه الموسوم بقراءات السبعة، وهو بشهرته غان عن تحديده، وضربا تعدى ذلك، فسماه أهل زماننا شاذا، أى خارجا عن قراءة السبعة المقدم ذكرها، إلاّ أنه مع خروجه عنها نازع بالثقة إلى قرائه، محفوف بالروايات من أمامه ووراءه، ولعله أو كثيراً منه مساو في الفصاحة للمجتمع عليه))[4].

ومما مر يتضح لنا أن الشاذ عند ابن خالويه وابن جني لا يراد منه الضعف أو الخطأ لأنهما قد احتجا لقراءات شاذة رغم كونها غير سبعية[5].
ويخرج ابن خالويه أيضا عما طالعنا به بتدوين القراءات السبعية التي ردها في الشواذ الموجودة في حواشي البديع[6] كقراءة نافع لقوله تعالى (معائش)[7].

أما ابن الجزرى فلم يرتض أنْ يطلق على ما عدا القراءات السبعية او العشر لفظة الشذوذ: ((كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا، وصح سندها فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز

---

(١) انظر في ذلك ما مضى: ٩٦-٩٧
(٢) الفاتحة: ٤
(٣) القراءات، لوحة: ٣٤
(٤) المحتسب ١: ٣٢
(٥) انظر في ذلك ما مضى.
(٦) انظر مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع: ٤٢
(٧) الأعراف: ١٠.

ردها ولا يحل إنكارها بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ووجب على الناس قبولها سواء كانت عن الائمة السبعة أم عن العشرة أم عن غيرهم .... ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفه ، أو شاذه ، أو باطله سواء كانت عن السبعة ام عمن هو أكبر منهم. .. قال أبو شامه رحمه الله فى كتابه المرشد الوجيز فلا ينبغي أن تغتر بكل قراءة تعزى الى واحد من هؤلاء الأئمة السبعة ، ويطلق عليها لفظ الصحة .. وإلا إذا دخلت فى ذلك الضابط ...)) (١) .

وأما موقف ابن خالويه مماسمي شاذا فيكاد يكون الموقف نفسه من القراءات السبعيه ، إذ يدافع عنها بالاحتجاج والحمل على كلام العرب وقراءات السبعة وبناء القاعدة النحوية عليها ، ((فأرسله معي ردءا يصدقوني)) (٢) أبي بن كعب . وقال ابن خالويه : وهذا شاهد لمن جزم لانه لو كان رفعا لقال ، يصدقونني بنونين ....)) (٣) .

ولا أستطيع أن أنزهه فى موقفه منها ، إذ يطالعنا بهفوات وعثرات كتلك التي طالعنا بها فى موقفه من القراءات السبعيه ، لذلك يطالعنا بالجرى وراء القياس ليعلن خروجها عنه : ((قال فالحقُّ الحقُّ أقول)) (٤) بالرفع فيهما جميعا الاعمش وابن عباس . (قال فالحقَّ والحقَّ) بالجر فيهما ، عيسى بن عمر . قال ابن خالويه : جعله قسما ، والصواب أن يخفض الثانيه ، لأن القسم يكون بالواو ولا يكون بالفاء)) (٥) .

---

(١) النشر فى القراءات العشر ١ : ١٠

(٢) القصص : ٣٤

(٣) مختصر فى شواذ القرآن من كتاب البديع : ١١٤
وانظر موقفه منها لغويا ، اذ يتضح هناك اكثر من موقفه منها نحويا .

(٤) ص : ٨٤

(٥) مختصر فى شواذ القرآن من كتاب البديع : ١٣٠ .

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

ابن خالويه والحديث النبوى الشريف

أحجم النحويون واللغويون القدامى عن الاعتماد على الحديث النبوى الشريف في بناء القاعدة النحوية واللغوية ، وتشددوا في ذلك تشددا عنيفا . أما النحاة المتأخرون فاختلفوا في ذلك ، إذ وقفوا منه مواقف ثلاثة :

١ . موقف منعوا فيه الاعتماد عليه كشاهد نحوى أو لغوى ، ومن هؤلاء أبوعمرو بن العلاء ، وعيسى بن عمر ، والخليل ، وسيبويه ، والكسائي ، والفراء ، وعلي بن المبارك الأحمر ، وهشام الضرير ، وتبعهم في ذلك المتأخرون من البصريين والكوفيين ، ونحاة بغداد والأندلس وغيرهم (١) . وحجتهم أن الحديث النبوى الشريف روى بالمعنى ، اذ استشهدوا على ذلك بما روى عن الرسول عليه السلام : ((زوجتكها بما معك من القرآن)) ، و ((ملكتكها بما معك من القرآن)) (٢) و (خذها بما معك من القرآن)) (٣) ، وبما روى عن سفيان الثورى أنه قال : ((إن قلت لكم : إني أحدثكم كما سمعت فلا تصدقوني ، إنما هو المعنى ، ومن نظر في الحديث أدنى نظر علم علم اليقين أنهم يروون بالمعنى)) (٤) . وانتحلوا لأنفسهم عذرا آخر ، وهو أن كثيرا من رواة الحديث كانوا غير عرب ، فوقع اللحن في كلامهم ، وهم لا يعلمون . ومن أنصار هذا الموقف ومؤيديه من المتأخرين أبو حيان النحوى وشيخه أبو الحسن بن الضائع (٥) .

٢ . موقف وقف فيه أنصاره ومؤيدوه وسطا ، فلم يتشددوا في المنع من الاحتجاج به ، كما أنهم لم يجيزوا الاستشهاد به مطلقا ، ومن أنصار هذا الموقف الشاطبي والسيوطي ، إذ أجاز الشاطبي الاحتجاج بالأحاديث التي اعتنى بألفاظها من حيث النقل كالأحاديث التي قصد بها بيان فصاحته عليه السلام ، ككتابه لهمدان ، وكتابه لوائل بن حجر ، والأمثال النبوية (٦) .

---

(١) انظر في هذه المسألة خزانة الأدب ١ : ٥

(٢) انظر في ذلك صحيح مسلم ٤ : ١٤٣ - ١٤٤

(٣) انظر في هذه المسألة خزانة الأدب ١ : ٥

(٤) خزانة الأدب ١ : ٥ - ٦

(٥) المصدر نفسه والمكان نفسه

(٦) انظر في هذه المسألة : ابو حيان النحوى : ٤٣٠ - ، ودراسات في العربية : ١٦٨ ، والاقتراح : ١٨ .

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

٣- موقف أجازوا فيه الاستشهاد به مطلقا كابن مالك وابن هشام. وقد حمل أبوحيان علي ابن مالك لتساهله فى هذه المسألة (١) .

أما الدارسون المحدثون فاختلفوا فى تحديد النحاة الذين قاسوا عليه، اذ يرى بعضهم أن سيبويه ممن لم يأخذوا بالحديث فى الاستشهاد ، ويرى الاستاذ احمد مكي الانصارى أن سبب احجام سيبويه عنه يكمن فى خطئه النحوى امام شيخه حماد بن سلمه (٢) . أما احجام الكسائي عنه أيضا فيرى الاستاذ مهدى المخزومي أنه أثر من آثار المدرسة البصرية (٣).

ويرى المستشرق يوهان فك (٤) أن أول من اعتمد على الأحاديث الشريفة فى مجال الاحتجاج النحوى ابن خروف الاندلسي الذى تبعه ابن مالك فيما بعد . ويرى الاستاذ عبد الفتاح شلبي ان لابن خروف صلة بأبي علي الفارسي، إذ تأثر به عن طريق تلاميذه ، ولا يقف الأستاذ شلبي عند هذا الحد بل يؤكد أن أبا علي كان سباقا لابن خروف فى الاستشهاد به فى مسائل اللغة والنحو والصرف : ((... على أية حال فالنتيجة التي أريد الانتهاء اليها هي اثبات سبق أبي علي نحاة القرنين الخامس والسادس فى الاحتجاج بالحديث ، والاستشهاد فى اللغة والنحو والصرف جميعا على الوجه الذى سلف به البيان)) (٥). وحجة الاستاذ شلبي فى هذه المسألة نصوص تسقطها فى حجته ، أكتفى بعرض ما جاء منها شاهدا لغويا ونحويا لضحده وتفنيده ، من ذلك قوله : ((كذلك رأيته يحتج بالحديث فى النحو والصرف ، فقد جاء الاحاد فى الاضافة الجميع كقوله تعالى : (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) (٦) ، وفى الحديث : (منعت العراق درهمها وقفيزها) (٧))) (٨) .

---

(١) انظر فى ذلك ، خزانة الأدب ١ : ٥-٦ ، والاقتراح : ١٨ ودراسات فى العربية وتاريخها : ١٦٨

(٢) انظر فى هذه المسألة سيبويه والقراءات : ١٧٧

(٣) انظر فى هذه المسألة : مدرسة الكوفه : ١١٧

(٤) العربية : ٢٢٦ نقلا عن أبي علي الفارسي : ٢٠٣

(٥) أبو علي الفارسي : ٢٠٤

(٦) ابراهيم : ٣٤

(٧) جاء فى النهاية فى غريب الحديث والأثر ٤ : ٩٠ ، أن الرسول نهى عن قفيز الطحان

(٨) ابو علي الفارسي : ٢٠٣

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

لعلّ القارئ الكريم يوافقني في أنّ أبا علي الفارسي لم يبن القاعدة التي اشار إليها الأستاذ الفاضل على الحديث النبوي بل بناها على الآية القرآنية التي ذكرها قبل الحديث (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) (١). أما الحديث فذكره للاستئناس والتمثيل .

ومن ذلك قوله عليه السلام : (كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهوّدانه وينصرّانه) (٢). اذ يستدل به على أن الجملة في موضع نصب خبر كان : ((وقد رأيته يستدل بقول الرسول : (استدل بالحديث المروي): (كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه وينصرانه)على أن الجملة في موضع نصب خبر كان)) (٣).

لعلي لا أدري ما السبب الذي جعل الأستاذ الفاضل يميل إلى الاقتضاب في الاقتباس لأنّ ما مرّ لا يوحي بما أشار اليه ، وغالب ظني أن ابا علي الفارسي لم يبن عليه قاعدته النحوية ، ولعلّ محل الاستشهاد به تبيين الأوجه الجائزة في إعراب الضمير وما بعده ، إذ لا أستبعد وجود امثلة من القرآن الكريم وكلام العرب قبل هذا الحديث النبوي ، وخير شاهد على ذلك ما جاء في كتاب سيبويه حول المسألة نفسها : ((وقد جعل ناس كثير من العرب هو وأخواتها في هذا الباب اسما مبتدأ وما بعده مبني عليه ، فكأنه يقول : أظنّ زيدا أبوه خير منه ، ووجدت عمرا أخوه خير منه ، فمن ذلك أنه بلغنا أن رؤبة كان يقول : أظنّ زيدا هو خير منك . وناس كثير من العرب يقولون : (وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمون)(٤) وقال الشاعر قيس بن ذريح :

تبكي على لُبنى (٥) وأنتَ تركتَها ... وكُنتَ عليها بالملا أنتَ أقدرُ

وكان أبو عمرو يقول : إن كان لهو العاقل . وأما قولهم : (كل مولودٍ يولَدُ على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه وينصرانه) ففيه ثلاثة أوجه :

---

(١) ابراهيم : ٣٤

(٢) ذكر ابن الأثير منه في النهاية في غريب الحديث ٣ : ٤٥٧ ، قوله عليه السلام : ((كل مولود يولد على الفطرة)) .

(٣) ابو علي الفارسي : ٥٢٩ .

(٤) الزخرف : ٧٦

(٥) ويروى (ليلى). انظر في هذا الشاهد المقتضب ٤ : ١٠٥ .

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

فالرفع من وجهين والنصب من وجه واحد ، فأحد وجهي الرفع أن يكون المولـــود مضمرا في يكون ، والوالدان مبتدآن وما بعدهما مبني عليهما ..... والوجـــه الآخر أن تعمل يكون في الأبوين ، ويكون هما مبتدأ وما بعده خبرا لـــــه . والنصب على أن تجعل هما فصلا ، ....))(١).

اسم الكون ضمير

وينتهي بعض الدارسين من جولاتهم الفاحصة في مظان هذه المسألـــة إلى أنّ هناك من استشهد بالحديث النبوي من قدامى اللغويين والنحويين في مسائل اللغة كأبي عمرو بن العلاء ، والخليل ، والكسائي ، والفراء ، والاصمعي ، وابن الأعرابي ، وأبي حاتم ، وابن فارس ، والجوهري ، وابن سيدة وغيرهم ، ويذكر الأستاذ احمـــد مختار عمر أنه يرتبط بما مرّ استشهادهم به في النحو ، إذْ ينتهي إلى أنّ كلا مـــن الخليل وسيبويه والفراء ، والزجاجي والزمخشري وابن خروف وابن مالك وابن عقيـــل وابن الدماميني ، والأشموني ، والسيوطي وغيرهم قد استشهدوا به (٢).

وانتهى الأستاذ صالح السامرائي من دراسته عن ابن جني وآرائـــه في النحو واللغة إلى أنه لم يستشهد به نحويا أو لغويا ، وكل ما جاء فـــي مؤلفاته من أحاديث للاستئناس والتمثيل (٣).

لا أريد أن اناقش ما مر حبا في الإيجاز والاختصار لأن ما يهمني هو موقـف ابن خالويه منه ، ولعلي ارى قبل ان أعالج هذه المسألة ان أعرج على موقـــف الدارسين المحدثين من الاستشهاد به في النحو واللغة لأستطيع إعطاء صـــورة واضحة عنه . لقد أكد الأستاذ طه الراوي (٤) أن ما دون لا يجوز الخلاف فيـــه ، لذلك يحمل على النحاة في إحجامهم عن الاستشهاد به ، رغم احتجاجهـــم بالشعر الذي من بين رواته أعاجم ، اذ أنّ حمادا كان يكذب ويلحن ويكســـر ، ولكن النحاة احتجوا بمروياته . والقول نفسه مع الأستاذ مهدي المخزومـــي الذي يدعو إلى الاطمئنان إلى ابن مالك في استشهاده بالحديث النبـــوي ؛

---

(١) الكتاب ١ : ٣٩٥ ـ ٣٩٦

(٢) انظر في ذلك البحث اللغوي عند العرب : ٢١ ـ ٢٥

(٣) انظر في هذه المسألة ابن جني النحوي : ١٣٢

(٤) انظر ابن جني النحوي : ١٣٢ .

((فترك الاستشهاد بالأحاديث التي يرويها هؤلاء وأمثالهم خسارة كبيرة أنزلها بالعربية تقصّر النحاة وتحذلقهم . ولا يسع الدارس إلاّ الاطمئنان الى سلامة ما ذهب إليه ابن مالك ، ومن شايعه في اعتبار الأحاديث من المصادر التي يعتمد اللغوي والنحوي عليها)) (١). وقرر مجمع اللغة العربية بالقاهرة استنادا إلى ما انتهى إليه الاستاذ محمد الخضر حسين الاحتجاج به في أحوال خاصة ، وهي كما يلي :

١. لا يحتج بحديث لا يوجد في الكتب المدونة في الصدر الأول . كالكتب الصحاح الستة وما قبلها .

٢. يحتج بالحديث المدون في هذه الكتب الآنفة الذكر على الوجه التالي :

أ. الأحاديث المتواترة المشهورة .

ب. الأحاديث التي تستعمل ألفاظها في العبادات .

جـ. الأحاديث التي تعد من جوامع الكلم .

د. كتب النبي صلى الله عليه وسلم

هـ. الأحاديث المروية لبيان أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخاطب كل قوم بلغتهم .

و. الأحاديث المروية التي عرف من حال رواتها أنهم لا يجيزون رواية الحديث بالمعنى .

ن. الأحاديث المروية من طرق متعددة والفاظها واحدة (٢).

أما ابن خالويه فوقف منه موقفا نلمح فيه الاجلال والتقدير ، اذ اعتمد عليه في بناء القاعدة اللغوية (٣). أما القاعدة النحوية فيتراءى لي أن ابن خالويه قد

---

(١) مدرسة الكوفه ومنهجها في دراسة اللغة والنحو : ٦٠

(٢) انظر في هذه المسألة اصول النحو في كتاب سيبويه ، ورقة : ٥٤ .

(٣) سيأتي تفصيل هذه المسألة فيما بعد : ٤٧٢-٤٨٠

ضمه تيار القدامى الذين تشددوا في الاعتماد عليه ، إذ لم يطالعني اعتماده عليه نحويا إلا في موضع واحد ، قاس فيه عليه كون (سبأ) مصروفا اسم رجل : ((.... وانما أعدت ذكره لأن بعض النحويين اختار الصرف لأنه صح عندنا عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن سبأ رجل ولد عشرة من البنين ، وله حديث :ـ ـ ـ . . . . . ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ

..... عن فروة بن مسيك قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله ، ارأيت سبأ أواد هو أم جبل ؟ قال : لا بل هو رجل من العرب ولد عشرة فتيا من ستة وتشائم أربعة . فتيا من الأزد والأشعريون ، وحمير وكندة ومدحج وأنمار ، الذين يقال لهم بجيلة وخثعم . وتشائم أربعة : لخم وجذام ، وعاملة وغسان) [1])) [2].

---

(١) انظر في هذا الحديث سنن الترمذى ١١ : ٩٨ . وتاج العروس (سبأ).

(٢) القراءات ، لوحة : ٤٣٩ .

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

اختلف النحاة في نظرتهم للشاهد الشعري ، إذ قسموا الشعراء إلى طبقات :

١ . شعراء جاهليون ، وهم شعراء ما قبل الإسلام كامرئ القيس والأعشى .

٢ . شعراء مخضرمون ، وهم الذين أدركوا الإسلام والجاهلية كلبيد وحسان

٣ . شعراء متقدمون ، ويقال لهم الإسلاميون ، وهم الذين كانوا في صدر الاسلام كجرير والفرزدق .

٤ . شعراء مولدون ، ويقال لهم المحدثون ، وهم من بعدهم إلى زماننا هذا كبشار وأبي نواس (١).

وأجمعوا أنه يستشهد بأشعار الطبقتين الأوليين، أما الطبقة الثالثة ففيها خلاف ، إذ كان كل من أبي عمرو بن العلاء وعبدالله بن أبي اسحق والحسن البصري وعبدالله بن شبرمة يلحنون الفرزدق والكميت وذا الرمة وأضرابهم ، لذلك عدوا من المولدين لأنهم معاصرون ، والمعاصرة في نظرهم حجاب . وكان أبو عمرو يقول : ((لقد حسن هذا المولّد حتى لقد هممت أن آمر صبياننا بروايته شعره)) (٢)، يعني بذلك شعر جرير والفرزدق الذي جعله مولدا بالإضافة إلى شعر الجاهلية والمخضرمين (٣)، ويرى الشيخ عبد القادر البغدادي أن الصحيح صحة الاستشهاد بشعر هؤلاء (٤).

أما الطبقة الرابعة فالصواب لا يحتج بكلامها مطلقا ، وقيل يستشهد بكلام من يوثق به منهم ، واختار ذلك الزمخشري الذي استشهد ببيت من شعر أبي تمام معللا ذلك بقوله : ((وهو وان كان محدثا لا يستشهد بشعره في اللغة ، فهو

---

(١) انظر في هذه المسألة خزانة الأدب ١ : ٣ ، والمزهر في علوم اللغة ٢ : ٤٨٩ .

(٢) خزانة الأدب ١ : ٣

(٣) المصدر نفسه والمكان نفسه

(٤) المصدر نفسه والمكان نفسه .

من علماء العربية ، فاجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه ، ألا ترى إلى قول العلمـــاء : الدليل عليه بيت الحماسة ، فيقنعون بذلك لوثوقهم بروايته وإتقانه ....)) (١).

وكان أبو عمرو الشيباني يقول في شعر أبي نواس: ((لولا أنّ أبا نواس أفســـد شعره بما وضع فيه من الأقذار لاحتججنا به)) (٢). والقول نفسه مع ابن خالويه : ((لولا ما غلب عليه من الهزل لاستشهد بكلامه في كتاب الله تعالى ، وذلـــك لأنه (أي ابو نواس) تعلم اللغة من أساطينها ، ورحل الى البادية فأخذ عـــن العرب وحفظ لغاتهم وأتقنها)) (٣).

وقيل : إن سيبويه استشهد بشعر بشار بن برد ، وهو أول شعراء هـــذه الطبقة ، وعزا السيوطي (٤) ذلك إلى مجاء بشار له لتركه الاستشهاد بشعـــره ، ويروى من ذلك قوله (٥) :

وما كلُّ ذي لُبٍّ بمؤتيك نصحَـــه وما كل مؤتٍ نصحه بلبيـــب

ولم يستشهد به سيبويه ـ إن صحت نسبته إلى بشار ، لأنه غير منسوب عنـــد الشنتمري ـ في بناء قاعدة نحوية إنما هو شاهد على ارداف القوافي في الشعـــر : ((ولا يجوز في القوافي المحذوفة ، وذلك أن كل شعر حذفت من آخر بنائـــه حرفا متحركا أو زنة حرف متحرك فلا بدّ فيه من حرف لين للردف نحو :

وما كلُّ ذي لبٍّ بمؤتيك نصحَـــه وما كل مؤتٍ نصحَه بلبيـــبِ

والياء التي بين الباءين ردف ....)) (٦).

---

(١) خزانة الأدب ١ : ٤

(٢) أصول النحوفي كتاب سيبويه ، ورقة : ٨٠

(٣) المصدر نفسه والمكان نفسه .

(٤) انظر الاقتراح : ٢٧ ، وأصول النحوفي كتاب سيبويه ، ورقة : ١٥٢ .

(٥) الكتاب ٢ : ٤٠٩

(٦) المصدر نفسه ٢ : ٤٠٩ ـ ٤١٠ .

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

ومنهم من قسّم الشعراء إلى ست طبقات [١]، اذ أضاف إلى الطبقات الأربع طبقة المحدثين ، وهم الذين جاءوا بعد المولدين كأبي تمام • وطبقة المتأخرين كأبي الطيب المتنبي • وأجمعوا على أنه لا يحتج بكلام المولدين والمحدثين في اللغة [٢] رغم خروج الزمخشري وغيره على هذا الإجماع كما مر • ويرى ابن جني ان الاستشهاد بأشعار هؤلاء الشعراء في المعاني لا خير فيه ، لأن المعاني متداولة بين المتقدمين والمولدين ، إذ يطالعنا باستشهاده بأبيات لأبي الطيب المتنبي : ((وأوضحه عنترة بقوله :

لو كان يدري ما المحاورة اشتكى ولكان ـ لو علم الكلام ـ مكلمي

وامتثله شاعرنا آخرا فقال :

فلو قدر السنانُ على لسانٍ لقال لك السنانُ كما أقول

وقال أيضا :

لو تعقل الشجر التي قابلتها مدت مُحَيِّيَةً إليك الأغصنُ

ولا تستنكر ذكر هذا الرجل ـ وإن كان مولدا ـ في أثناء ما نحن عليه من هذا الموضع وغموضه ، ولطف متسربه ، فإن المعاني يتناهبها المولدون كما يتناهبها المتقدمون • وكان أبو العباس ـ وهو الكثير التعقب لجلة الناس ـ احتج بشيء من شعر حبيب بن أوس الطائي في كتابه الاشتقاق ، لما كان غرضه فيه معناه دون لفظه ، فأنشد فيه له :

لو رأينا التوكيدَ خطةَ عجزٍ ما شفعنا الأذان بالتثويبِ

....)) [٣].

وفي الآونة الأخيرة ارتفعت أصوات تنادي بإباحة الاستشهاد بأقوال الأدباء المشهورين ، وأشعار الشعراء المشهورين بعد موتهم ، لأن المعاصرة حجاب ، وبشرط أن يكون هؤلاء ممن يشهد لهم بالفصاحة والبيان [٤].

---

(١) انظر خزانة الأدب ١ : ٤٠

(٢) انظر في هذه المسألة خزانة الأدب ١ : ٤ ، والاقتراح : ٢٦ ـ ٢٧ •

(٣) الخصائص ١ : ٢٤

(٤) انظر البحث اللغوي عند العرب : ٣٢ •

تأصيل | T’aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

وعندما يكون الشاعر مجهولا لا يجوز الاحتجاج بشعره عند أبي البركات ابن الانبارى (١) ، لئلا يكون مصنوعا ، أو لمولد : أولمن لا يوثق به . وأجاز ابن هشام ذلك عندما يروى عن ثقة معتمدا فى ذلك على أنه لو صحّ ما ذهبوا اليه لسقط الاحتجاج بخمسين بيتا من كتاب سيبويه (٢) .

وأجاز الكوفيون الاحتجاج بمجهول القائل ، فلم يأبهوا بما وضعه البصريون من عراقيل ، فأجازوا إظهار أنْ بعد كي قياسا على قول الشاعر (٣) :

أردت لكيما ان تطير بقربتي فتتركها شنا ببيداء بلقع

وكثيرا ما تروى بعض الشواهد على أوجه مختلفة ، وقد قيل فى ذلك : إنّ الشاعر انشد مرة هكذا ، ومرة أخرى هكذا ، وربما يعود ذلك إلى أنّ العرب كان ينشد بعضهم بعضا ، وكل يتكلم على مقتضى سجيته ، لذلك طالعتنا روايات مختلفة لكثير من الشواهد الشعرية (٤) ولعلّ تعدد الروايات لا يسقط الاحتجاج بمثل هذه الشواهد ما دام الناقل ثقة ، يقول ابن ولاد فى ذلك : ((الرواة عن الفرزدق وغيره من الشعراء قد تغير البيت على لغتها وترويه على مذاهبها مما يوافق لغة الشاعر ويخالفها . ولذلك كثرت الروايات فى البيت الواحد ... ولغة الرواة من العرب شاهد ، كما أنّ قول الشاعر شاهد)) (٥) ، ويقول أيضا :- ((مجيء الروايات فى البيت الواحد يجعل كل رواية حجة اذا رواها فصيح لأنه يغير البيت الى ما فى لغته ، فيجعل ذلك أهل العربية حجة)) (٦) .

---

(١) انظر فى هذه المسألة خزانة الأدب ١ : ٧—٨ ، والاقتراح : ٢٧

(٢) انظر خزانة الأدب ١ : ٨ ، والاقتراح : ٢٧ — ٢٨

(٣) انظر فى ذلك الاقتراح : ٢٧

(٤) انظر فى هذه المسألة : ٢٩ — ٣٠

(٥) نقلا عن البحث اللغوى عند العرب : ٢٦

(٦) نقلا عن البحث اللغوى عند العرب : ٢٦ .

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

أما ابن خالويه فلقد اكثر من الاستشهاد بالشعر، إذ تكثر الأشعار في مؤلفاته كثرة مفرطة، ولعل ذلك يعود إلى سهولة الشعر ويسره، وتوفر الشاهد فيه، ويرى الدكتور صفاء خلوصي [1] أن العربية تعتمد في شواهدها على الشعر أكثر من اعتمادها على النثر على عكس اللغات الأخرى. ولعل ما يؤيد ما ذهب إليه الدكتور صفاء ما طالعنا به ابن خالويه من أشعار في مؤلفاته، إذ تكفي النظرة الفاحصة في أحد مؤلفاته كإعراب ثلاثين سورة [2] مثلا لتؤكد ما مر.

ويهمل ابن خالويه نسبة شواهده الشعرية إلى قائليها، إذ لا نكاد نعثر على ثلث ما اورده من شواهد شعرية منسوبا، فما نسبه إلى قائله في اعراب ثلاثين سورة يقارب ستة وستين بيتا. ويتراءى لي أنه كان معذورا في هذه المسألة، لأن كثيرا من شواهده مختلف في نسبتها، لذلك تركها غفلا من النسبة لئلا يلام عليها فيما بعد، ومن ذلك قول الشاعر [3]:

محمد تفد نفسك كل نفس ... إذا ما خِفتَ من أمر وبالا

وأغفل نسبته أيضا كل من سيبويه [4] وأبي البركات بن الأنباري [5] وابن هشام [6] وأبي العباس المبرد [7] وغيرهم. ويروى هذا الشاهد لحسان، وللأعشى ولأبي طالب عم النبي، ولبعض فضلاء العجم [8]. ويعلق الشيخ عبد القادر البغدادي

---

(١) انظر مجلة الأستاذ ١٦ : ٤٨ - ٤٩

(٢) انظر الصفحات التالية : ٧، ٨، ١١، ١٣، ١٥، ١٦، ١٩، ٢٥، ٢٨، ٣٨، ٤٦، ٤٧، ٥٤، ٥٦، ٥٨، ٦٤، ٧١، ٧٣، ٧٤، ٨٥، ٨٦، ٩٣، ٩٥، ٩٦، ٩٨، ١٠٠، ١٠٩، ١٢٥، ١٢٦، ١٣٤، ١٤١، ١٤٩، ١٥٠، ١٥٣، ١٥٥، ١٥٧، ١٥٩، ١٦٣، ١٦٧، ١٦٨، ١٧٨، ١٨٠، ١٨١، ١٨٥، ١٨٧، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٧، ٢٠٨، ٢١١، ٢١٦، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٦، ٢٣١، ٢٣٥، ٢٣٧، ٢٣٩، ٢٤١.

(٣) انظر اعراب ثلاثين سورة : ٤٣

(٤) الكتاب ١ : ٤٠٨، وتركه الشنتمري ايضا غفلا من النسبة.

(٥) الانصاف في مسائل الخلاف ٢ : ٥٣٠

(٦) المغني ١ : ٢٢٤

(٧) المقتضب ٢ : ١٣٢

(٨) انظر في ذلك شرح شواهد المغني ٢ : ٥٩٧، وشرح شذور الذهب : ٢١١.

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

على نسبته بقوله : ((لا يعرف قائله ، ونسبه الشارح في الباب الذي بعد هذا لحسان وليس موجودا في ديوانه . وقال ابن هشام في شرح الشذور : قائله ابو طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال بعض فضلاء العجم في شرح أبيات المفصل : هو للأعشى ، والله أعلم بحقيقة الحال)) (١).

ومن ذلك أيضا قول الشاعر (٢):

لا تنهَ عن خُلُق وتأتيَ مثلَهُ عارٌ عليك اذا فعلتَ عظيمُ

إذ نسبه أبو عبدالله القاسم بن سلاّم إلى المتوكل الكناني ، ونسبه إليه أيضا الآمدي في المؤتلف والمختلف ، ونسبه سيبويه للأخطل ، والحاتمي لسابق البربري، ونقل السيوطي عن تاريخ ابن عساكر أنّه لأبي الأسود الدؤلي (٣)، ويعقب الشيخ عبد القادر على ذلك بقوله : ((والمشهور أنه من قصيدة لأبي الأسود الدؤلي . قال اللخمي في شرح أبيات الجمل : الصحيح أنه لأبي الأسود ، فان صحّ ما ذكر عن المتوكل الكناني فانما أخذ البيت من شعر أبي الأسود ، والشعراء كثيرا ما تفعل ذلك ....)) (٤).

ولعلّي أجد لابن خالويه عذرا آخر في إغفاله نسبة معظم شواهده ، وهو أن بعضا منها شواهد مشهورة عند غيره كسيبويه في كتابه ، وابن دريد في جمهرته ، إذ تطالعنا كثير من شواهد سيبويه في مؤلفاته ، وإذا نسبها إلى قائليها تبع في نسبتها سيبويه ، من ذلك نسبته هذا الشاهد (٥):

كذب العتيقُ وماءٌ شنٌّ بـاردٍ إن كُنتِ كارهةً فاذهبـي

---

(١) خزانة الأدب ٣ : ٦٣٠

(٢) انظر في هذا الشاهد الحجة في القراءات السبع .

(٣) انظر في ذلك خزانة الأدب ٣ : ٦١٧ ، وشرح شواهد المغني ٢: ٧٧٩ـ٧٨٠

(٤) خزانة الأدب ٣ : ٦١٨

(٥) انظر شرح مقصورة ابن دريد ورقة : ٧٥

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

إلى السدوسي (١). وهو ينسب أيضا إلى عنترة بن شداد (٢).

ومن ذلك أيضا قول الشاعر (٣):

ثلاث كلهن قتلت عمدا ... فأخزى الله رابعة تعود

إذ تركه ابن خالويه غفلا جريا وراء سيبويه الذي تركه غفلا . والقول نفسه مع الشيخ عبد القادر البغدادي الذي يقول : ((وهذا البيت وإن كان من شواهد سيبويه لا يعرف ما قبله ولا ما بعده ولا قائله ....)) (٤).

ومن ذلك أيضا قول الأعشى (٥):

أقول لما جاءني فخره ... سبحان من علقمة الفاخر

ومالي أتناسى تحديه لأبي علي الفارسي في أن يتناقشا في مسائل الكتاب ، ألا يدل ذلك على تمكنه مما جاء فيه من مسائل وما جاء فيها من شواهد شعرية ؟ وأحيانا يطالعنا بأن هذا الشاهد من إنشاد سيبويه : ((..... وأنشد سيبويه : (٦)

وما له من مجد تليدٍ ومالَه ... من الريح حظٌّ لا الجنوب ولا الصّبا)) (٧)

أما بالنسبة لجمهرة ابن دريد فيتراءى لي أن كثيرا من شواهد ابن خالويه تطالعنا فيها ، وهي شواهد منسوبة في أغلب الأحيان ، ولكن ابن خالويه ترك معظمها غفلا من النسبة ، من ذلك قول الشاعر :

فلستَ بإنسيٍّ ولكن لملأكٍ ... تنزّل من جوّ السماء يصوبُ (٨)

---

(١) انظر المصدر نفسه والمكان نفسه ، والكتاب ٢ : ٣٠٢ وحاشيتها ، وانظر في هذا الشاهد ما مضى : ٣٢١

(٢) انظر لسان العرب ، وتاج العروس (عتق) . وتحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب ٢ : ٣٠٢ .

(٣) انظر الحجة في القراءات السبع : ٣١٤ والكتاب ١ : ٤٤

(٤) خزانة الأدب ١ : ١٧٨

(٥) انظر في ذلك إعراب ثلاثين سورة : ٥٤ ، والكتاب ١ : ١٦٣ ، والجمهرة ١ : ٢٢٢ والخصائص ٢ : ١٩٧ ، وديوان الأعشى تحقيق الدكتور محمد محمد حسين : ١٧٩

(٦) هو للأعشى ، انظر الكتاب ١ : ١٢ وديوان الأعشى ، تحقيق الدكتور محمد محمد حسين : ١٥١ وفيه :

وما عنده مجد تليد ولا لـه ... من الريح فضل لا الجنوب ولا الصبا

(٧) الريح ، ورقة : ٢ ، وانظر الكتاب ١ : ١٣ .

(٨) انظر اعراب ثلاثين سورة : ٨٣ .

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

وطالعنا به ابن دريد (١) منسوبا إلى علقمة بن عبدة ·

ومن ذلك أيضا قول الشاعر :

ولكنما أغدو وعليّ مفاضةٌ دِلاصٌ كأعيانِ الجراد المُنظَّمِ (٢)

وطالعنا به ابن دريد (٣) منسوبا إلى يزيد بن عبد المدان الحارثي · ولا أريد المضي في استقصاء شواهد شعرية اختارها ابن خالويه من جمهرة شيخه ، إذْ لا أستبعد ذلك لأنه راوية الجمهرة كما مر ، ونظرة فاحصة في شواهد ابن خالويه يتبعها استقصاء لتلك الشواهد في الجمهرة تثبت للقارئ الكريم ما أذهب إليه ·

وأنتحل لابن خالويه عذرا آخر في عدم نسبته شواهده لقائليها وهو أن بعضا من هذه الشواهد مشهور متداول عند سيبويه وغيره ، اذ لا مانع من إغفال نسبتها لشهرتها وتداولها من ذلك قول سراقة البارقي :

أرى عينيّ ما لم ترأياه كلانا عالمٌ بالترهّات (٤)

فان لم يكن الشاعر مشهورا ، فقوله مشهور متداول في هذه المسألة (٥) .

ومن ذلك أيضا قول ذي الإصبع العدواني :

لاه ابنُ عمّك لا أفضلتَ في حسبٍ عني ولا أنت ديّاني فتخزوني (٦)

وقد تركه ابن خالويه غفلا ، وأستبعد جهله لذي الإصبع العدواني (٧).

---

(١) انظر الجمهرة ٣ : ١٧٠

(٢) انظر اعراب ثلاثين سورة : ٦٨

(٣) انظر الجمهرة ٣ : ١٤٥

(٤) انظر اعراب ثلاثين سورة : ٧٥

(٥) انظر شرح شواهد المغني ١ : ٦٧٧ ، والخصائص ٣ : ١٥٣ واللسان (رأى) ·

(٦) انظر اعراب ثلاثين سورة : ٢٠

(٧) انظر شرح شواهد المغني ١ : ٤٣٠ ، وخزانة الأدب ٣ : ٢٢٢ وأساس البلاغة (خزى) ·

تأصيل | T’aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

ولابن خالويه عذر آخر فيما أغفل نسبته ، وهو أنه نادرا ما يترك البيت غير المنسوب غفلا من تبيان مصدره فيه ، إذ غالبا ما يقرن ذلك بانشاد أحد شيوخه له : أنشدنا ابوعمر عن ثعلب (١) ، أنشدنا الصولى (٢) ، أنشدنا ابن مجاهد (٣) ، أنشدنا ابن الانبارى (٤) ، أنشدنا ابن دريد (٥) ، أنشدنا ابن عرفة (٦) أنشدنا أبوعلي الروذرى (٧) ، أنشدنا محمد بن طاهر (٨) ، وأحيانا يطالعنا بسؤاله لأحد شيوخه (٩) .

أما عندما لا ينشده شيخ من شيوخه فيكتفي بنسبة الإنشاد الى نحوى مشهور كأبي عبيدة (١٠) ، والفراء (١١) ، والمبرد (١٢) ، وثعلب (١٣) ، والمازني (١٤) . وأحيانا لا يطالعنا بالإفصاح عمن أنشده ، اذ يكتفي بالقول : وأنشد (١٥) ، وأنشدنا بعض العرب (١٦) ، وأنشدوا بيت جرير (١٧) . وأحيانا يكتفي بالقول : قال الشاعر (١٨) .

---

(١) انظر شرح مقصورة ابن دريد ، ورقة : ٢٧١ ، وليس في كلام العرب : ١٩ .

(٢) انظر ليس في كلام العرب ، الجزء الخامس ، ورقة : ٧٦ .

(٣) انظر شرح مقصورة ابن دريد ، ورقة : ١١٨ ، واعراب ثلاثين سورة : ٣٤ والقراءات ، ورقة : ٢٧٣ .

(٤) انظر شرح مقصورة ابن دريد ، ورقة : ١٤٦ ، واعراب ثلاثين سورة : ١٩٣ .

(٥) انظر شرح مقصورة ابن دريد الوراق : ١٧٥ ، ٢٧١ ، ٢٤٠ ، واعراب ثلاثين سورة : ١٦١ والقراءات ، اللوحتان : ١٦٠ ، ٢١١ .

(٦) انظر شرح مقصورة ابن دريد ، ورقة : ١٥٤ ، واعراب ثلاثين سورة : ٢٤١ .

(٧) انظر شرح مقصورة ابن دريد ورقة : ٢٠٨ ، واعراب ثلاثين سورة : ١٧٥ .

(٨) انظر شرح مقصورة ابن دريد ، ورقة : ٢٦٨ .

(٩) انظر اعراب ثلاثين سورة : ٩٥

(١٠) انظر اعراب ثلاثين سورة : ٥٦

(١١) انظر المصدر نفسه : ٦٨ .

(١٢) انظر المصدر نفسه والمكان نفسه ، وانظر : ص ١٦٠ .

(١٣) انظر المصدر نفسه : ٢٠٤

(١٤) انظر ليس في كلام العرب : ٢١

(١٥) انظر اعراب ثلاثين سورة : ١١٠ ، ١٣٣ ، ١٣ ، ١٧

(١٦) ليس في كلام العرب ، الجزء الخامس ، ورقة : ٣٠

(١٧) انظر اعراب ثلاثين سورة : ١٣

(١٨) انظر اعراب ثلاثين سورة : ٤٧ ، ١٣٢ ، ١٣٥ .

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

وتطالعنا دقة ابن خالويه في هذه المسألة عندما ينشد شعرا لم يسمعه يشير إلى عدم سماعه له من قبل : ((وأنشدنا هذه الأبيات وأنا لم أسمع بهن قبل الوقت)) (١).

أما بالنسبة لموقفه من شعر شعراء الطبقات التي حدد النحويون الاستشهاد بأشعارها فيتراءى لي أنه أكثر اتساعا في هذه المسألة من البصريين ، إذ يلتقي فيها مع الكوفيين ، فيستشهد بأشعار الجاهليين ، ويبني عليها قواعده النحوية ، لذلك يحمل النصب في قوله تعالى : (علم اليقين) (٢) على حذف الواو مؤيدا ما ذهب إليه الأخفش ، لأن ذلك عنده قسم ، إذ الأصل فيه (وعلمِ) ، فلما نزعت الواو نصب ، ويقيس ذلك على قول امرئ القيس :

فقالت : يمينَ الله مالك حيلةٌ وما أن أرى عنك الغواية تنجلي

(((علم) (٣) نصب على المصدر ، أي تعلمون ذلك علما يقينا حقا لا شكّ فيه ، فهذا قول النحويين إلا الأخفش فانه قال : ينتصب علم اليقين على حذف الواو ، وهو قسم ، والأصل (وعلمِ اليقين) . فلما نزعت الواو نصبت كما تقول : والله لأذهبنّ ، فاذا حذفت قلت : أللهَ لأذهبن . قال امرؤ القيس :

فقالت يمينَ الله مالك حيلةٌ وما إنْ أرى عنك الغواية تنجلي

أراد : فقالت : ويمين الله ، فلما حذف الواو نصب .)) (٤) . ويستشهد بأشعار كل من النابغة (٥) ، وزهير بن أبي سلمى (٦) ، والأعشى (٧) وطرفة (٨) وغيرهم (٩) .

---

(١) ليس في كلام العرب ، الجزء الخامس ، ورقة : ٣٠

(٢) التكاثر : ٥

(٣) التكاثر : ٥

(٤) إعراب ثلاثين سورة : ١٦٨ ـ ١٦٩

(٥) انظر ليس في كلام العرب : ٤٩

(٦) انظر إعراب ثلاثين سورة : ١٤١ ، وشرح مقصورة ابن دريد ، ورقة : ١٢٤

(٧) انظر إعراب ثلاثين سورة : ٥٤ ، ١٥٠ ، ١٦٧ ، وانظر شرح مقصورة ابن دريد ، الأوراق : ٢٢ ، ٥٥ ، ١١٩ .

(٨) انظر شرح مقصورة ابن دريد ، ورقة : ٢١

(٩) انظر إعراب ثلاثين سورة : ٧٣ .

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

ويستشهد أيضا بأشعار شعراء الطبقة الثانية والثالثة ، إذ لا فرق بين الطبقات الثلاث عنده ، من ذلك بناؤه القاعدة النحوية على بيت لعقيبة الأسدى ، الشاعر المخضرم : ((قوله تعالى : (والكفار أولياء) [1] يقرأ بالنصب والخفض، فالحجة لمن نصب : أنه رده على قولهم : (لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم) [2] والكفار ، لأن معنى الألف واللام في الكفار بمعنى الذى . ويجوز ان يكون معطوفا على موضع من في قوله : (من الذين) لأن موضعه نصب ، فيكون كقول الشاعر [3]:

معاوِيَ إنّنا بشرٌ فأسْجِحْ ... فلسْنا بالجبال ولا الحَديدا

فعطف الحديد على موضع الباء والجبال لأن موضعهما نصب بخبر ليس .....)) [4].

ويستشهد في اللغة والنحو أيضا بشعر كل من كعب بن زهير [5] ، وعمرو بن معدى كرب [6]، وعلي بن أبي طالب [7]، وجرير [8]، وعمر بن أبي ربيعة [9]، وذى الرمة [10]، وعبد الله بن رواحة [11]، والقطامي [12]، والأخطل [13] والكميت [14] والفرزدق [15]، وجميل [16].

---

(١) المائدة : ٥٧

(٢) المائدة : ٥٧

(٣) هو لعقيبة الأسدى . انظر الانصاف في مسائل الخلاف ١ : ٣٣٢ والكتاب ١ : ٣٤ ، ٣٥٢ ، ٣٧٥ ، ٤٤٨، والمغنى ٢ : ٤٧٧ ، وشرح شواهد المغنى ٢ : ٨٧٠ ، وخزانة الأدب ١ : ٣٤٣ ، ٢ : ١٤٣ ومعاني القرآن ٢: ٣٤٨ .

(٤) الحجة في القراءات السبع : ١٠٧

(٥) انظر إعراب ثلاثين سورة : ١٤٦ . وانظر ديوانه طبعة دار القاموس: ٤٧ .

(٦) انظر الحجة في القراءات السبع : ١١٨ وحاشيتها رقم (٥) .

(٧) انظر إعراب ثلاثين سورة : ١٠٠، ١٠١ ، وانظر في ذلك الجمهرة ١: ٦٦، ٢: ٣٥٨

(٨) انظر شرح مقصورة ابن دريد ، الاوراق : ٩٢، ٢١٩، ٢٣٩ ، وإعراب ثلاثين سورة: ١٥

(٩) انظر إعراب ثلاثين سورة : ٧١

(١٠) انظر المصدر نفسه : ٥٦ ، وليس في كلام العرب : ٢٤

(١١) انظر إعراب ثلاثين سورة : ١١

(١٢) انظر المصدر نفسه : ١٥٣

(١٣) انظر شرح مقصورة ابن دريد ورقة : ٥٥

(١٤) انظر ليس في كلام العرب : ٢٤

(١٥) انظر المصدر نفسه : ٣٦ ، ٣٨ ، ٣٩

(١٦) انظر إعراب ثلاثين سورة : ٩٣ .

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

ولتبد و الصوره أكثر وضوحا وتوخيا للايجاز أختار مثالين بنى فيهمـــا ابن خالويه قاعد ته النحويه على شعرٍإسلامى ،الاوّل قاس فيه نصب نعت النكـــره على الحال اذا تقدم على منعوته على بيت لكثير عزة : (((أحد) (١) اســـم كان ،أى : ولم يكن لله أحد شبيها ولا كفوا . وقال آخرون : كفوا ينتصب علـــى الحال ، ومعناه التقديم والتأخير : ولم يكن له أحد كفو بالرفع ،فلما تقـــدم نعت النكره على المنعوت نصب على الحال ،كما تقول : عندى غلامٌ ظريفٌ وعندى ظريفاً غلامٌ. وأنشد (٢) ·

لمية موحشاً طَلَـــــــــلُ يلـــوحُ كأنّـــــه خِلَـــــلُ

.....)) (٤) ·

أما المثال الثانى ففيه قاس نصبا لفظه معرفة ومعناه الانفصال والتنكيـــــر على الحال على قول جرير :

يارب غابطنا لو كان يأملكُـــــــم لاقى مُباعَدَةً منكم وحِرْمـــــانـــا

: ((فأما قراءة مجاهد التى حدثنى ابن مجاهد عن السمرى عن الفراء أنّ مجاهدا قرأ (باسم الله مجريها ومرسيها) (٥) فجعلها صفتين لله تعالى ،فموضعهما جر . قال الفراء : ويجوز أن يجعلها فى قراءة مجاهد نصباً على الحال : يريـد المجريها والمرسيها ،فلما خزلت الالف واللام نصبهما على الحال والقطـــع · قال : ومثل هذا مما لفظه معرفة ومعناه الانفصال والتنكير قوله عز وجـــل : (هذا عارضٌ ممطِرُنا) (٦) ،كما قال جريـــر : (٧)

يارُبَّ غابِطِنا لو كان يأملكُـــــم لاقى مباعدةً منكـــم وحِرْمانـــا))

---

(١) الصمد : ١

(٢) هو لكثير عزه . انظر فى ذلك شرح شواهد المغنى ١ : ٢٤٩ ،وأوضـح المسالك ٢ : ٣١٠ ،وحاشيتها ،والكتاب ١ : ٢٧٦ ·

(٣) ويروى (لعزّة) انظر الكتاب ١ : ٢٧٦ ،وخزانه الأدب ١ : ٥٣١—٥٣٣

(٤) اعراب ثلاثين سوره : ٢٣١

(٥) هود : ٤١

(٦) الأحقاف : ٢٤

(٧) اعراب ثلاثين سوره : ١٤ — ١٥ — ·

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

وأما موقفه من شعر المحدثين والمولدين الذي امتنع النحويون عن القياس عليه فلم يطالعني شاهد في مؤلفاته بنى عليه قاعدته النحوية ، ولكنه طالعنا بذلك في القياس عليه في بعض مسائل اللغة كما سيأتي .

ويرى ابن خالويه أن الشعر موطن الضرورة : (((ولكل جعلنا مُوالٍ) (١) بالتنوين مجاهد . قال ابن خالويه : وإنما يجوز مثل هذا في الشعر كقول الشاعر (٢):

فلو أنّ واشٍ باليمامة (٣)))(٤).

ومن ذلك أيضا قوله : ((ولا وجه لمن ادّعى أنّ الأرجل مخفوضة بالجوار ، لأنّ ذلك مستعمل في نظم الشعر للاضطرار ، وفي الأمثال ، والقرآن لا يحمل على الضرورة، وألفاظ الأمثال))(٥).

ـ ولا يقيس على ما جاء للضرورة الشعرية ، إذ يبين خروجه على القاعدة النحوية: (((إيّاك) (٦): ضمير المنصوب المخاطب كقولك : إيّاك كلمت ، والثوبَ لَبِستُ، فاذا أضمرت قلت : إيّاه لبست . ولا يكون إلاّ منفصلا اذا تقدّم ، فاذا تأخر قلت : نعبدك ولا يجوز نعبد إيّاك ، ولبسته : ولا تقول : لبست إيّاه ، لأنك اذا قدرت على المتصل لم تأت بمنفصل إلاّ أن يضطر شاعر ، كما قال : (٧)

كأنّا يوم قُرّى إنّ ما نقتلُ إيّانا (٨).

---

(١) النساء : ٣٣

(٢) هو مجنون ليلى قيس بن الملوح ، انظر شرح شواهد المغني ٢ : ٦٩٨ ، والمغني ١ : ٢٨٩ .

(٣) البيت بتمامه كما جاء في شرح شواهد المغني ٢ : ٦٩٨ :

ولو أن واشٍ باليمامة داره ودارى بأعلى حضرموت اهتدى ليا

(٤) مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع : ٢٥

(٥) الحجة في القراءات السبع : ١٦٤ ، وانظر القراءات ، لوحة : ٩٩

(٦) الفاتحة : ٥

(٧) نسبه سيبويه والشنتمري إلى بعض اللصوص ، انظر الكتاب ١ : ٣٨٣ ، ١ : ٢٧١ . ونسبه ابن جني في الخصائص ٢ : ١٩٤ إلى أبي بجيلة . ويُنسب أيضا إلى ذي الإصبع العدواني ، انظر في ذلك خزانة الأدب ٢ : ٤٠٦ .

(٨) ذكر سيبويه بيتا آخر بعده وهو :

قتلنا منهم كلّ فتى أبيض حُسّانا

انظر الكتاب ١ : ٣٨٣ .

واللغة الجيدة ما قال الآخر (١):

اياك أدعو فتقبلّ مَلقَـــــــي واغفر خطايا ياى وَيَسّرَ وَرقِـــــــي
.....))(٢).

---

(١) هو العجاج • انظر لسان العرب (ورق) •

(٢) إعراب ثلاثين سورة : ٢٥ ـ ٢٦ •

ابن خالويه وكلام العرب المنثور

لقد اختلف النحاة واللغويون في الأخذ عن القبائل العربية معتمدين في ذلك على درجة الفصاحة ، وعدم الاختلاط بما يشوه لغاتها ، إذ أخذ البصريون عن أعراب البوادى ، فأخذوا عن قيس وتميم وأسد وهذيل وبعض الطائيين ، وأبوا الأخذ بلهجات عرب الأرياف كأعراب سواد الحطميه ، الذين غلطوا لغتهم ورموها باللحن ، ولقد كانوا يباهون الكوفيين في هذا المسلك ، ويتهمونهم بالتوسع في الأخذ عن القبائل العربية : ((نحن نأخذ اللغة مِنْ حَرَشَة الضباب ، وأكلة اليرابيع ، وأنتم تأخذون منها عن أكلة (الشواريز) [1] وباعة الكوامخ)) [2].

ودافع الاستاذ مهدى المخزومي عن الكوفيين في منهجهم السابق بقوله : ((ولا يعني قبولهم لهجات ولغات كان البصريون قد رفضوها ، أنهم لم يكونوا يتشددون في قبول اللغات التي كانوا يعتمدون عليها في دراستهم ، فقد استهجنوا لهجات ، واستبشعوا لغات ..... -

- - - لا يعني أخذهم باللهجات التي أباها البصريون أنهم كانوا يترخصون كل الترخص في قبول اللهجات واللغات ، ولكنهم وثقوا بأولئك ، ورأوا لغاتهم تمثل فصيحا من اللغات ، لا يصح إغفاله ، وخاصة بعد ما رأوها متمثلة في قراءات القرآن السبع ....)) [3].

وأما القبائل التي يحتج بلغاتها فهي كما حددها السيوطي في نقله عن أبي نصر الفارابي : ((قال أبو نصر الفارابي في أول كتابه المسمى بالألفاظ والحروف : كانت قريش أجود العرب انتقادا للأفصح من الألفاظ ، وأسهلها على اللسان عند النطق ، وأحسنها مسموعا وابانة عما في النفس ، والذين عنهم نقلت اللغة العربية ، وبهم اقتدى ، وعنهم أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب ، هم قيس وتميم وأسد ، فان هؤلاء هم الذين عنهم اكثر ما أخذ ومعظمه ، وعليهم اتكل في الغريب ، وفي الإعراب ، والتصريف ، ثم هذيل ، وبعض كنانة ، وبعض الطائيين ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم)) [4].

---

(١) في النص (الينوا) والصواب ما أثبتناه :

(٢) الاقتراح : ٨٤

(٣) مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو ، ٣٣١ - ٣٣٢ .

(٤) الاقتراح : ١٩ .

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

أما تلك القبائل التى لم يؤخذ عنها فهى كما حددها السيوطى فى نقلـــــــه أيضا : ((وبالجمله فإنه لم يؤخذ عن حضرى قط ،ولا عن سكان البـــــــرارى ممن كان يسكن أطراف بلادهم التى تجاور سائر الأمم الذين حولهم ،فإنه لـــــم يؤخذ لا من لخم ،ولا من جذام ،فانهم كانوا مجاورين لأهل مصر والقبـــــط ولا من قضاعه ،ولا من غسآن ،ولا من اياد فانهم كانوا مجاورين لأهل الشـــام وأكثرهم نصارى يقرءون فى صلاتهم بغير العربيه ،ولا من تغلب ولا النمر فانهـــم كانوا بالجزيره مجاورين لليونانيه ،ولا من بكر لأنهم كانوا مجاورين للنبط والفـــرس ولا من أزد عمان لمخالطتهم للهند والفرس ولا من أهل اليمن أصلا لمخالطتهم للهند والحبشه ،ولولادة الحبشه فيهم ،ولا من بنى حنيفه وسكان اليمامه ولا مـــن ثقيف وسكان الطائف لمخالطتهم تجار الأمم المقيمين عندهم ،ولا من حاضـــرة الحجاز .....)) (١) .

وأجاز ابن جنى الأخذ عن أى قبيله عربيه مالم تختلط بغيرها مما يعرض لغتها للاختلال والفساد والخطل : ((ولو علم أنّ أهل مدينة باقون علـــى فصاحتهم ولم يعترض شئ من الفساد للغتهم ،لوجب الأخذ عنهم كما يؤخـــذ عن أهل الوبر . وكذلك لو فشا فى أهل الوبر ماشاع فى لغة أهل المدر مـــن اضطراب الألسنه وخبالها ،وانتقاض عادة الفصاحه وانتشارها ،لوجب رفـــض لغتها وترك تلقى مايرد عنها ....)) (٢)

وتمشيا مع مامر يطالعنا أبو حيان النحوى بالثوره على ابن مالك الـــذى عنى فى كتبه بنقل لغة لخم وخزاعة وقضاعه وغيرهم بقوله : ((ليس ذلك من عادة أئمة هذا الشأن)) (٣) . ولم يكتف النحاه بذلك بل أخذوا يشكون فيمن ينقلون عن هؤلاء ، إذ أخذوا عن الثقات من الرواة بالأسانيد المعتبره ،لذلك يطالعنا أبو البركات بن الأنبارى بحد النقل بقوله : ((النقل :هو الكلام العربى الفصيح ، المنقول بالنقل الصحيح الخارج عن حد القله الى حد الكثره....)) (٤) .

لذلك أشترط فى الناقل أن يكون عدلا رجلا كان أوامرأه ،أما إذا كان الناقـــل فاسقا فلا تقبل منه ،اذ يقبل نقل العدل الواحد ،ولا يشترط أن يوافق فى النقل غيره ، وذهب غيره إلى أنه لابد من نقل اثنين عن اثنين (٥) .

---

(١) الاقتراح : ١٩ — ٢٠
(٢) الخصائص : ٢ : ٥
(٣) الاقتراح : ٢٠
(٤) لمع الأدله : ٨١
(٥) انظر في هذه المسأله لمع الأدله : ٨٥ — ٨٦ .

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

وذكر ابو البركات بن الأنباري أن نقل أهل الأهواء مقبول في اللغة وغيرها ، اذا لم يكونوا ممن يتدين بالكذب كالخطابية من الرافضة . وذهب آخرون الى أن ذلك لا يقبل لأنهم قورنوا برواية الفاسق لفسقه (١). أما ابن جني فدعا للأخذ عن الفصيح حتى لو ارتجل ذلك كابن أحمر مثلا (٢)، أما اذا انفرد ذلك الفصيح بقدر ، فاذا كان مما يقبله القياس رغم أنه لم يرد به استعمال ، فالأولى في رأيه أن يحسن الظن به . أما إذا كان القياس غير مسوّغ كرفع المفعول وجر الفاعل ، ورفع المضاف اليه فيجب رده (٣). وخلاصة رأى ابن جني في النقلة والمسموعات فهو كما لخصّه الدكتور صالح السامرائي من (الخصائص) (٤).

١ . إن العربي الفصيح اذا انتقل لسانه من لغة إلى أخرى فصيحة وجب أن يؤخذ بلغته الجديدة . أما اذا انتقل لسانه إلى لغة فاسدة لم يؤخذ بها ويؤخذ بالأولى .

٢ . اذا سمع من العربي الفصيح شيء لم يسمع من غيره ، فان كان هذا الفصيح ثقة ولم يخالف القياس أخذ به ، وإن ورد شيء يأباه القياس يرد .

٣ . إذا سُمع من العربي ما هو مخالف للجمهور ينظر في الناقل ، فان كان فصيحا في جميع ما يرد عنه ما عدا الذي انفرد به ، وكان ما أورده مما يقبله القياس يقبل منه . فاذا لم يكن القياس مسوغا له يرد .

٤ . إذا كان المسموع فردا لا نظير له مع إطباق العرب على النطق به ، فهذا يقبل ويحتج به ، ويقاس عليه إجماعا مثل النسب إلى فعولة .

٥ . اذا ورد شيء من ذلك عن ظنين أو متهم ، أو ممن لم ترق به فصاحته ، ولا سبقت إلى الأنفس ثقته كان مردودا (٥).

---

(١) انظر في هذه المسألة لمع الأدلة : ٨٦ ـ ٨٩ .

(٢) انظر في ذلك الخصائص ٢ : ٢٤ ـ ٢٥ ، والمحتسب ١ : ٢٣٤ .

(٣) انظر في ذلك الخصائص ١ : ٣٨٥ ـ ٣٨٧ .

(٤) انظر في ذلك الخصائص ٢ : ٥ ـ ٢٥ ، ١ : ٣٨٥ ـ ٣٨٧ .

(٥) انظر في ذلك ابن جني النحوي : ١٣٨ ـ ١٤٨ . وانظر في هذه المسألة ايضا الاقتراح : ٢١ ـ ٢٢ .

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

أما المدة التي حددها النحاة للاستشهاد بكلام العرب فهي آخر القرن الثاني الهجرى بالنسبة لعرب الأمصار ، وآخر القرن الرابع الهجرى بالنسبة لعرب البادية (١). ولعلي أذهب إلى ما ذهب إليه الأب انستاس الكرملي من أنه ليس هناك من مدة شرعية ، بل هناك صفة هامة يجب توفرها في متكلم العربية ، وهي الفصاحة ، فما دام هذا العربي فصيحا موثوقا به وجب الأخذ بلغته دون الاهتمام بالفترة الزمنية : ((ليس من مدة شرعية معينة تخرج الكاتب من عالم الخمول إلى عالم الاحتجاج بكلامه ، بل اللازم في مثل هذا الصدد أن يكون المتكلم فصيح الكلام متعمداً إياه موثوقا بعربيته ، فان اختل هذا الشرط بشيء منه لم يجز اتباع الكاتب او تأثره في شيء من كلامه ولو كان من أهل الجاهلية . وهذه القاعدة العامة تستخلص من أئمة العرب الذين دونوا اللغة في صدر الإسلام ، أو أنهم لما هموا بإثبات قواعد النحو واللغة لم يحتجوا بشيء من أهل الجاهلية ممن خالفوا قواعد اللغة الفصحى)) (٢). وينتهي الأب انستاس بعد جولة في مظان هذه المسألة إلى القول : ((مدة الزمان غير مشروطة في اتخاذ الكاتب حجة ، ولذا يبقى كلام الأشموني أشمونيا أى فصيحا يهدى به ويقتدى ، ويبقى كلام الجبرتي جبرتيا ، أى ركيكا ، وان مرت عليه القرون والعصور ، ولذا لا يعتد به ولا يستشهد به)) (٣).

---

(١) انظر البحث اللغوى عند العرب : ٣٣

(٢) مجلة المشرق ، السنة السادسة ١٩٠٣ ، عدد ٥ : ٢١٣ .

(٣) المصدر نفسه ، السنة السادسة ١٩٠٣ ، عدد ٥ : ٢٢٢ .

لعلى رغبت فى هذا التقديم الذى قد يبدو مطولا أن أقدم للحديث عن موقف ابن خالويه من هذه المسأله لأستطيع تقييمه مستعينا بأقيسة الماضين والمحدثين من دارسى اللغه العربيه . ويتراءى لى أن موقفه يبدو اكثر وضوحا فى المسائل اللغويه منه فى المسائل التحويه ،اذ تكاد الشواهد النحويه التى تتجلى فيها الاقيسه الماضيه قليله لأن شهرته كلغوى أكثر منها كنحوى ،ولعل ذلك يعود أيضا إلى طبيعة الموضوع الذى يؤلف فيه ،وهو موضوع القراءات القرآنيه ،الذى يعتمد فى أكثر مسائله على الدراسات اللغويه ،ومهما يكن فاللغه الحجازيه هى اللغه الاولى فى رأيه لأن القرآن الكريم نزل بها ،فخبر ما الحجازيه يكون منصوبا وبه نزل القرآن : ((وقوله تعالى : (ماهن أمهاتهم) روى المفضل عن عاصم (ماهنّ امهاتُهم) (١) برفع التاء ،وذلك أن بنى تميم لا يعملون ما فيرفعون مابعده بالابتداء والخبر ،فيقولون : مازيدٌ قائمٌ . وأهل الحجاز ينصبون خبر مافيقولون : مازيدٌ قائماً ،وبذلك نزل القرآن (ماهذا بشراً) (٢)...)) (٣) ولعل تفضيله لها يعود إلى كثرة استعمالها بالاضافه إلى نزول القرآن بها ،وهى مسألة أشار إليها ابن جنى بقوله : ((الا أنك اذا استعملت أنت شيئا من ذلك فالوجه أن تحمله على ماكثر استعماله ،وهو اللغه الحجازيه ،ألا ترى أنّ القرآن نزل بها)) (٤) .

وأحيانا يقرنها بالتميميه : ((كقولك : ماجاءنى أحد إلاّ زيدٌ وما مررت بأحدٍ إلا زيدٍ ،وما رأيت احداً إلاّ زيداً ، فان لم يكن الثانى من جنس الاول ،فبنو تميم تبدل أيضا ،وأهل الحجاز ينصبونه ، مثال ذلك : مافي الدار أحد إلاّ حمارا بالرفع تميمية وبالنصب حجازيه)) (٥) .

---

(١) المجادله : ٢

(٢) يوسف : ٣١

(٣) القراءات ،لوحه : ٥٣٠

(٤) الخصائص ١ : ١٢٥

(٥) شرح مقصورة ابن دريد ،ورقه : ٢٢٨ .

وتأتى اللغه التميميه فى المرتبه الثانيه ،إذْ كثيرا ما يقرنها باللغه الحجازيه :
((وأهل الحجاز يقولون فى الأمر رَ يا زيد بـــراء واحده ،وتزيد هاء للسكـــت فتقول : رَه ،وتميم تقول : ارأ بالهمز يرؤون الهمزه)) (١) . ومن ذلك أن التميميين يعربون ما كان على مثل حذام وقطام على عكس الحجازيين الذين يبنون ذلك علـى الكسر: ((وتسمى مكه صلاح مبنى على الكسر مثل : حذامِ وقطامِ لأن من حج اليها أناب وتاب . وبنو تميم يعربون هذه المبنيات ولا يصرفونها . . . .)) (٢) .

ويرى ابن جنى ان المرء عليه عند ما يدخله شك فى اللغه الحجازيـــــه أن يفزع الى لغة تميم : ((وأيضا فمتى رابك فى الحجازيه شئ من تقديم خبر ،أو نقض النفى فزعت إذْ ذاك إلى التميميه ،فكأنك من الحجازيه على حرد ،وان كثرت فـــى النظم والنثر)) (٣) .

ويأخذ أيضا بلغة طىء كما هو الحال عند سيبويه (٤) وغيره ،فاســـم الموصول ذو فى لغتهم بالواو فى جميع الأحوال ،ولا يثنى ولا يجمع: ((فأما قول العرب : اذهب بذي تسلم معناه : الله يسلمك فلا يثنى ولا يجمع . واما ذى بمعنى هذه فالتثنيه تان ،تقول : ذى المرأه ،وتان المرأتان . وقد يكون ذى بمعنـــى كى عند الأخفش وبمعنى الذى عند غيره ،هذا حرف غريب قال عدى (٥) :

فإنْ يذكر النعمان سعيي وسعَيهم ... يكن خطة يكفى ويسمى بعمـــال
قعدت كذى نجح يرجى نصوره ... ببين فلا يبعد كذى الخَلقِ البالـى

قال الأخفش : كذى نجح يوجى معناه : كى ينجح لكن يرفع ما بعـــــده .
وقال غيره : كالذى ينجح . فاما ذو بمعنى الذى فى لغة طىء نحو قولهـــم : هذه الركيه أنا ذو طويت وذو حفرت ،معناه الذى ،فيكون فى جميع الأحـــوال

---

(١) القراءات ، لوحـــه : ١٠٩

(٢) شرح مقصورة ابن دريد ،ورقه : ٤١

(٣) الخصائص ١ : ١٢٥

(٤) انظر الكتاب ،١ : ٣٠٧ ، ٢ : ٢٨٧ .

(٥) انظر المزهر فى علوم اللغه ١ : ٥٣٦ .

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

بالواو ، ولا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث)) (١).

ويطالعنا بالإشارة إلى لغة هذيل دون أن يبين درجة فصاحتها ، إذ يذكر أنهم يقولون : اللاءون واللائين : ((ومن العرب من يقول : جاءني اللاءون ، ومررت باللائين ، وأنشد الفراء : (٢)

هم اللاءون فكّوا الغُلّ عني ... بمرو الشاهجانِ وهم جَناحي

.....)) (٣). وذكر الأشموني (٤) أن من نطق بالواو هذيل أو عقيل .

أما لغة بلحارث فهي عنده لغة شاذة لا يصح أن يُحمل القرآن عليها ، ولكن كتابة بعض الألفاظ في المصحف جعلته يجيزها لئلا يضعف القراءة أو يوهنها ، فرسم هذان في المصحف بالألف في قوله تعالى : (إنْ هذان لساحران) (٥) يلزمه ألا يشذ ذها : ((قوله تعالى : (إن هذان لساحران) فيه ست قراءات ، قرأ أبو عمرو وحده (ان هذين) بالياء لأن تثنية المنصوب والمجرور بالياء في لغة فصحاء العرب ، وأما من جعل تثنية المجرور والمنصوب بالألف فقالوا : جلست بين يداه ، وأعطيته درهمان فلغة شاذة ، لا تدخل في القرآن ، وهي لغة بلحرث ابن كعب ..... فلما كانت الكتابة في المصحف بالألف (إن هذان) حمله بعضهم على هذه اللغة)) (٦).

وعندما لا يرتضى لغة عربية لا يطالعنا بالهجوم عليها أو رميها بالرداءة والقبح ، بل يتخير ألفاظا تعبر عن احترامه لتلك اللغة ، من ذلك أن الجزم بإذا وإذْ ما وإذا ما ليس مختارا في رأيه : ((وربما جازت العرب بإذا وإذْ ما وإذا ما ، فجزموا

---

(١) شرح قصورة ابن دريد ، ورقة : ١٥٣ ، وانظر في ذلك المزهر في علوم اللغة : ١ : ٥٣٦ .

(٢) لم أستطع الوقوف على نسبته .

(٣) إعراب ثلاثين سورة : ٣٠ ـ ٣١

(٤) شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ١ : ٦٨

(٥) طه : ٦٣

(٦) القراءات ، لوحة : ٣١٨ . وانظر الحجة في القراءات السبع : ٢١٧ ـ ٢١٨ .

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

الفعل بعده ، وليس ذلك مختارا ٠ ٠ ٠ والصواب أن تقول : إذا تَزُرْني أزُرْك ، ولا تقول : إذا تَزُرْني أَزُرْكَ ٠٠٠)) (١) . أما سيبويه فيرى أن ذلك خطأ : ((فهذا اضطرار ، وهو في الكلام خطأ ٠٠٠)) (٢) .

ولعلّي استطعت فيما مضى أن أبين موقف ابن خالويه من الشواهد النحوية التي تندرج تحت السماع ، إذ طالعنا بالتوسع في القياس على القراءات القرآنية السبعية والشاذة مجتازا في ذلك عراقيل النحويين وحواجزهم ، والقول نفسه مع الشعر الذي يبدو فيه موقفه لغويا أكثر اعتمادا عليه منه نحويا ٠ وأما النثر فلم استطع تبين موقفه من الخطب والأمثال والوصايا لخلو مؤلفاته منها ، ولعلّ السبب في ذلك يعود إلى أنّ ابن خالويه قد ركز جهوده لخدمة القراءات القرآنية التي كان النحو إحدى وسائلها ٠

وأما السماع فتطالعنا في مؤلفاته إشارات توحي باهتمامه به ، فاللغة في رأيه تؤخذ سماعا لا قياسا : ((وتبارك (تفاعل) من البركة ، والله متعال ولا يقال متبارك ، لأن اللغة سماع وليست قياسا ، فإذا أمرت رجلا فقلت : تعال يا هذا سقطت الألف للأمر ، والأصل ارتفع ، ثم كثر في كلامهم حتى صار في البئر يقول للذي فوق : تعال ، ٠٠٠٠٠٠)) (٣) .

ويقيس على ما سمع من كلام العرب رغم مخالفة المسموع القياس المتفق عليه ، فهو يحمل قراءة أبي عمرو لقوله تعالى (يأمركم) (٤) باسكان الراء على قول امرئ القيس (٥) :

فاليَومَ أشْرَبْ غيرَ مُسْتَحْقِبٍ ... إثْماً من الله ولا واغِلِ

---

(١) إعراب ثلاثين سورة : ٢١٦

(٢) الكتاب ١ : ٤٣٤

(٣) القراءات ، لوحة : ٢٢٧ ـ ٢٢٨ ، وانظر الحجة في القراءات السبع : ١٧٦

(٤) البقرة : ٦٧

(٥) انظر في هذا الشاهد الكتاب ٢ : ٢٩٧ ، والخصائص ١ : ٧٤ ، ٣ : ٩٦ وخزانة الأدب ٣ : ٥٣٠ ، وشرح المفصل ١ : ٤٨ ٠

: ((قوله تعالى : (إلى بارئكم) (١) رواه اليزيدي عن أبي عمرو بإسكان الهمزة فيه وفي قوله : (يأمركم) (٢) (وينصركم) (٣) (ويلعنهم) (٤) (ويجمعكم) (٥) (وأسلحتكم) (٦) يسكن ذلك كله كراهية لتوالي الحركات ، واستشهد على ذلك بقول امرئ القيس:

فاليوم أشْرَبْ غير مستحقب إثماً من الله ولا واغل

أراد أشْرَبُ ، فأسكن الباء تخفيفا ....)) (٧).

وهكذا قاس ابن خالويه على ما سمع من العرب دون تأويل أو تقدير ، وهي مسألة رفضها أبو العباس المبرد ، إذْ ذهب إلى أنّ الرواية : فاليومَ فاشْرَبْ، وأما ابن جني فانكر ذلك عليه : ((وأما اعتراض أبي العباس هنا على الكتاب فانما هو على العرب لا على صاحب الكتاب ، لانه حكاه كما سمعه ، ولا يمكن في الوزن أيضا غيره . وقول ابي العباس: إنما الرواية فاليومَ فاشْرَبْ فكأنه قال لسيبويه : كذبتَ على العرب ، ولم تسمع ما حكيته عنهم . وإذا بلغ الأمر هذا الحد من السرف فقد سقطت كلفة القول معه)) (٨).

ويأخذ بما يضعفه القياس لأن المسموع عنده في أعلى الدرجات : ((قوله تعالى : (يرضه لكم) (٩) يقرأ بضم الهاء واثبات واو بعدها ، وباختلاس الضمة من غير واو ، والهاء بالاسكان .

---

(١) البقرة : ٤

(٢) البقرة : ٦٧

(٣) آل عمران : ١٦٠

(٤) البقرة : ١٥٩

(٥) الجاثية : ٢٦

(٦) النساء : ١٠٢

(٧) الحجة في القراءات السبع : ٥٤ ـ ٥٥ .

(٨) المحتسب ١ : ١١٠ . وانظر الخصائص ٢ : ٣٤٠ ـ ٣٤١ ، ٣١٧ ، ١ : ٧٤ . وانظر في هذه المسألة الكتاب ٢ : ٢٩٧ .

(٩) الزمر : ٧ .

فالحجـــــة لمن أشبع الهاء ولفظ بالواو ، أنه لما ذهبت الألف من يرضـــى علامة للجزم ، أتت الهاء وقبلها فتحة فردّ حركتها إلى ما كان لها في الأصـــل ، وأتبعها الواو تبيينا للحركة ، وشاهد ذلك قول ذي الرمة : (١)

كأنه كوكب في إثرِ عفريـــــــــة مُسَوَّمٌ في سواد الليلِ منقضِـــــبُ

والحجة لمن اختلس : أن الأصل عنده (يرضاه لكم) فلما حذفت الألـــف للجزم بقيت الهاء على الحركة التي كانت عليها قبل حذف الألف وأنشد (٢) :

له زجلٌ كأنّ صوتَ حـــــادٍ إذا طلب الوسيقةَ أو زميـــــرُ

.....)) (٣).

وما مر عند ابن جني ضعيف في القياس قليل في الاستعمـــــال :

((فقوله : (كأنّه) بحذف الواو وتبقية الضمة ضعيف في القياس، قليل في الاستعمال . ووجه ضعفه قياسُه أنه ليس على حد الوصل ولا على حد الوقف . وذلك أنّ الوصل يجب أن تتمكن فيه واوه كما تمكنت في أول البيت : (لهو زجل) ، والوقف يجب أن تحذف الواو والضمة فيه جميعا ، وتسكّن الهاء فيقال : (كأنه) . فضم الهاء بغير واو منزلة بين منزلتي الوصل والوقف . وهذا موضع ضيق ، ومقام زلخ ، لا يتقيك بإيناس، ولا ترسو فيه قدم قياس ....)) (٤).

ويحترم ابن خالويه المسموع فلا يجيز لنفسه الخروج عليه أو مخالفتـــــه رغم مخالفته للقياس النحوي ، فهو يقف من قول الشاعر : (٥)

كَذَبَ العتيقُ وماءٌ شَنٍّ بـــــارِد إن كنت كارهةً لذلك فاذهبـــــي

حائرا ، لأن القياس يوجب نصب لفظة (العتيق) على أنه مفعول لكذب لا أنـــــه اغراء بمعنى (عليك) (٦).

---

(١) انظر ديوانه : ٢٧

(٢) هو للشماخ بن ضرار . انظر الكتاب ١ : ١١ ، والخصائص ١ : ١٢٧ والأنصاف في مسائل الخلاف ٢ : ٥١٦ .

(٣) الحجة في القراءات السبع : ٢٨٢ .

(٤) الخصائص ١ : ١٢٧ ـ ١٢٨

(٥) انظر في هذا الشاهد ما مضى : ٣٨٣

(٦) انظر في ذلك ما مضى : ٢٢١ ـ

ويتبين لي مما مر ومما سيأتي فيما بعد أنَّ ابن خالويه من أنصار السماع ومؤيديه ، يؤمن إيمانا كاملا بكل ما جاء عن العرب ، لا يجيز لنفسه مخالفته ، إذْ يأخذ بما يضعفه القياس أو يأباه كما مر ، ولعلَّ هذه المسألة تقربه من الكوفيين الذين اعتدوا بالمسموع اعتدادا كبيرا ، فقاسوا عليه قواعدهم وأصولهم .

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

ابن خالويه والقياس النحـــــــوى

قبل أن أعرض موقف ابن خالويه منه أود أن أقف وقفة يسيرة عند ما يعنيه النحويون منه ، إذ عرفه أبو البركات بن الأنبارى بقوله : ((اعلم أنّ القيـــــاس في وضع اللسان بمعنى التقدير ، وهو مصدر قايست الشيء بالشيء . مقايســـــة وقياسا قدرته ، ومنه المقياس أى المقدر ، وقيس رمح اى قدر رمح . وهو فـــــي عرف العلماء عبارة عن تقدير الفرع بحكم الأصل ، وقيل : حمل فرع على أصل بعلة ، واجراء حكم الأصل على الفرع . وقيل : هو إلحاق الفرع بالأصل بجامـــــع . وقيل : هو اعتبار الشيء بالشيء بجامع)) (١). وذكر أنّ انكار القياس في النحـــو لا يتحقق لأن النحو كله قياس ، ((اعلم أنّ انكار القياس في النحو لا يتحقـــق ، لأن النحو كله قياس ، ولهذا قيل في حده : النحو علم بالمقاييس المستنبطـــة من استقراء كلام العرب ، فمن أنكر القياس فقد أنكر النحو ، ولا نعلم أحدا مـــن العلماء أنكره لثبوته بالدلائل القاطعة ، والبراهين الساطعة)) (٢). ويـــرى ابن جني أنّ النحو إذا بطل أن يكون رواية ونقلا وجب أن يكون قياسا (٣). ويرى الأستاذ محمد الخضر حسين (٤) أنه طريق يسهل به القيام على اللغة ، ووسيلـــة تمكن الإنسان من النطق بآلاف من الكلمات دون أن يسمع بها من قبل .

وأما موقف ابن خالويه من هذه المسألة فيرى الأستاذ عبد الفتاح شلبـــي أنه ضعيف في القياس لتضعيفه بعض القراءات القرآنية التي عجز عن الاحتجاج لها ، ولكن أبا علي الفارسي في رأيه ماهر في القياس قوى في الاحتجاج : ((وثانيـــا : أنّ كليهما يتعرض للقراءات التي تخالف مذهبه النحوى بالتوهين والتضعيـــف . وربما بدا ابن خالويه في ذلك أعنف من أبي علي ، وتعليل ذلك عندى : أن أبا علي

---

(١) لمع الأدلة : ٩٣ . وانظر في ذلك الاقتراح : ٣٨

(٢) المصدر نفسه : ٩٥ ، وانظر الاقتراح : ٣٨

(٣) انظر العلة النحوية نشأتها وتطورها : ٧٥

(٤) دراسات في العربية وتاريخها : ٢٥ .

واسع الأفق ماهر في القياس، قوي في الاحتجاج، عالم بمذاهب العرب، دارس للكتا ب سيبويه في اتقان ٠٠٠٠٠)) (١). وينتهي الأستاذ الفاضل بعد عرض أمثلة تؤيد ما ذهب إليه إلى القول : ((وهكذا تبدو رحابة صدر أبي علي، التي اعتمدت على سعة علمه بأقوال النحاة والقراء على السواء، وقد فقد ذلك ابن خالويه على ما يبدو في كتابه (٢)، وإن كنت في شك مما قررت، فاقرأ كيف يعنف ابن خالويه بمخالفة القراء للقياس، ويضيق صدره بما يقولون، ثم انظر كيف يقف أبو علي منهم محتجا لمذاهبهم فيما يتلون : قال ابن خالويه: فأما إمالة الكسائي رحمه الله قوله تعالى : (في آذانهم من الصواعق) (٣)، فإن كان أماله سماعا من العرب فالسؤال عنه وبل (٤) (كذا)، وإن كان أماله قياسا فقد وهم، لأن ألف الجمع في أمثال هذا لا تمال، ويلزمه على قياسه أن يميل قوله تعالى : (أنبئهم بأسمائهم) (٥) (ويطاف عليهم بآنية) (٦)، وإمالة هذا محال)) (٧).

ويتراءى لي أنّ الأستاذ الفاضل قد تجنّى على ابن خالويه إذ يبدو لي أنه على عكس ما رأى، فهو لم يتعمد القياس ولم يقصده، فالسماع عنده في الدرجة الأولى إذ (السؤال عنه ويل)، ولو ثبت السماع بذلك لصحت القراءة، وهي لا تحتاج إلى قياس. أما ما أشار إليه من تعنيف للكسائي لمخالفته القياس فيتراءى لي أيضا أنه يريد من الكسائي أن يقيس على ما سمع وثبتت روايته، وأما ما لم يسمع فلا ضرورة للقياس عليه، إذ يبتعد كما سيأتي عن التعليل والتأويل. وأما ما أشار إليه الأستاذ الفاضل (٨) من أنّ أبا علي أجاز الإمالة في (آذانهم) حملا على (بابه) في حالة الجر فشتان ما بين هذين لأنّ المحمول عليه مفرد وذاك جمع.

---

١) انظر ذلك أبو علي الفارسي : ٣٢٤ - ٣٢٥.

٢) أي في الحجة في القراءات السبع.

٣) البقرة : ٩٩

٤) الصواب : (ويل)

٥) البقرة : ٣٣

٦) الانسان : ١٥

٧) أبو علي الفارسي : ٣٢٥

٨) انظر المصدر نفسه : ٣٢٥ - ٣٢٦

ويتوسع ابن خالويه في القياس على ما سمع من كلام العرب لتقوية القراءات وتأكيد صحتها رغم مخالفته للقياس، فلام الابتداء لا تدخل عند النحاة على خبر المبتدأ ، ولكن ابن خالويه يجيز ذلك حملا على قول الشاعر [1]:

خالي لأنت ومن جريرٍ خالُه ... ينَلِ العلاءَ ويكرم الأخوالا

وقد طالعنا بالقياس أيضا على ما هو ضعيف في القياس كقياسه قراءة قوله تعالى : (يرضه لكم) [2] بضم الهاء على قول الشاعر [3]:

له زجل كأنه صوتُ حادٍ ... اذا طلب الوسيقةَ أو زميرُ

وعندما تصطدم القراءة بالقياس يحملها على ما سمع لاجئا إلى التأويل والتخريج غير آبه بما يقتضيه القياس ويتطلبه ، لذلك لا يضعف قراءة ابن عامر لقوله تعالى : (بالغَداة والعَشيّ) [4] بالواو في غدوة ، وهي قراءة تخالف ما عليه القياس لان غدوة معرفة ، لا يصح دخول الألف واللام عليها ، ولكن ابن خالويه لا يهمه القياس قدر ما تهمه صحة القراءة ، فيحملها على قول الشاعر [5] في أحد احتجاجاته لها :

وجدنا [6] الوليد بن اليزيد مباركا ... شديدا بأعباء الخلافة كاهلُه

---

(١) انظر في هذا الشاهد ما مضى : ٣٢٣
وانظر في هذه المسألة ايضا ما مضى : ٣٢٣

(٢) الزمر : ٧

(٣) انظر في هذا الشاهد ما مضى ، وانظر في هذه المسألة ما مضى : ١٢٩ / ٣٠٤٦

(٤) الأنعام : ٥٢

(٥) هو ابن ميادة . انظر في ذلك شرح شواهد المغني ١ : ١٦٤ وخزانة الأدب ١ : ٣٢٧ ـ ٣٢٨ . والانصاف في مسائل الخلاف ١ : ٣١٧ . والحجة في القراءات السبع لابن خالويه : ١١٩ .

(٦) ويروى (رأيت) . انظر المصادر نفسها .

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

إذ أدخل الألف واللام في اليزيد لما جاور الوليد . والقول نفسه في قراءة ابن عامر السابقة (١) .

ولم يطالعني ابن خالويه بنص لم يقس فيه على كلام عربي الا في عدم إجازته ما أجازه الفراء من كسر (شتان) لمخالفة إجماع العرب : ((وفي شرح الفصيح لابن خالويه : كان الفراء يجيز كسر النون في شتان تشبيها بسيان ، وهو خطأ بالإجماع ، فإن قيل : الفراء ثقة ولعله سمعه ، فالجواب : إن كان الفراء قاله قياسا فقد أخطأ القياس ، وإن كان سمعه من عربي فإن الغلط على ذلك العربي ، لأنه خالف سائر العرب ، وأتى بلغة مرغوب عنها)) (٢) .

---

١) انظر في ذلك ما مضى .
٢) المزهر في علوم اللغة ٢ : ٥٠٤

ابن خالويه والعلة النحوية

ذكر ابن جني أن هناك عللا واجبة لا بد منها ، وعللا يمكن الاستغناء عنها ، ((واعلم أنا - مع ما شرحناه وعنينا به فأوضحناه من ترجيح علل النحو على علل الفقه ، والحاقها بعلل الكلام - لا ندّعي أنها تبلغ قدر علل المتكلمين ، ولا عليها براهين المهندسين، غير أنا نقول : إنّ علل النحويين على ضربين ، أحدهما واجب لا بدّ منه ، لأن النفس لا تطيق في معناه غيره . والآخر ما يمكن تحمله ، إلا أنه على تجشم واستكراه)) (١).

وهي عنده أيضا بالنسبة لعملها موجبة ومجوزة ، فالعلل الموجبة هي تلك التي لا بد منها كنصب الفضلة ورفع المبتدأ والخبر والفاعل وغير ذلك ، أما العلل المجوزة فهي تلك التي لا توجب كأسباب الامالة الستة ؛ ((اعلم أنّ أكثر العلل عندنا مبناها على الإيجاب بها ، كنصب الفضلة ، أو ما شابه في اللفظ الفضلة ، ورفع المبتدأ والخبر ، والفاعل ، وجر المضاف اليه ، وغير ذلك . فعلل هذه الداعية اليها موجبة لها ، غير مقتصر بها على تجويزها ، وعلى هذا مقاد كلام العرب . وضرب آخر يسمى علة ، وانما هو في الحقيقة سبب يجوز ولا يوجب . من ذلك الأسباب الستة الداعية إلى الإمالة ، وهي علة الجواز ، لا علة الوجوب)) (٢).

وتنقسم علل النحويين عند أبي القاسم الزجاجي (٣) إلى ثلاثة أقسام : تعلمية ، وقياسية ، وجدلية نظرية . فالتعليمية كنصب (زيد) بإنّ في قولنا : إنّ زيداً قائم ، لأنا كذلك علمناه وتعلمناه . أما القياسية فهي التي لا يكتفي فيها بما مر إنما يستفسر فيها عن سبب نصب إنّ لزيد ، ليقال : إنها وأخواتها ضارعت الفعل المتعدى ، وأما الجدلية فهي التي لا يكتفي فيها بما مر بل يستفسر عن جهات الشبه بين إنّ والفعل المتعدى وما وراءه .

---

(١) الخصائص ١ : ٨٧ - ٨٨

(٢) الخصائص ١ : ١٦٤

(٣) انظر الإيضاح في علل النحو : ٦٤ - ٦٥ .

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

أما ابوعبد الله الحسين بن موسى الدينوري المجليس فذهب إلى أن اعتلالات النحويين صنفان : علة تطرد على كلام العرب وتنساق إلى قانون لغتهم ، وأخرى تكشف عن حكمتهم ، وعن صحة أغراضهم ومقاصدهم . وذكر أن العلة الأولى هي المشهورة ، وهي تنقسم في رأيه إلى أربعة وعشرين نوعا : علة سماع ، وتشبيه ، واستغناء ، واستثقال ، وفرق ، ومشاكلة ، ومعادلة ، وقرب ومجاورة ، ووجوب ، وجواز ، وتغليب ، واختصار ، وتخفيف ، ودلالة حال ، وأصل ، وتحليل ، وإضمار ، وتضاد ، وعلة أولى [1]. أما الضرب الثاني فقد بينه ابن السراج [2]، وهو ما يسمى علة العلة .

ويشيع التعليل في القرن الرابع الهجرى ، ويكثر هواته ، لأن المنطق أخذ يفرض سلطانه على العقول ، يقول الأستاذ أحمد أمين في ذلك : ((وكان للمنطق سلطان كبير على العقول في العصر العباسي ، وكان من جراء ذلك أن اصطبغت طريقة الجدل والبحث والتعبير والتدليل صبغة غير التي كانت تعرف من قبل)) [3]. وخير مصداق على ذلك المناظرة التي وقعت بين أبي سعيد السيرافي ومتى المنطقي .

وأما العلل الثواني والثوالث فلم يكن لها في هذا القرن تربة خصبة لكي تنمو وتترعرع ، إذ رفضها كل من الزجاجي الذى قسم العلل إلى تعليمية وقياسية ونظرية وجدلية كما مر ، وذكر أن العلل التعليمية هي التي يتوصل بها إلى معرفة كلام العرب ورفضها أيضا ابن جني الذى تبعه ابن مضاء فيما بعد [4].

وتطالعنا في هذا القرن مؤلفات خاصة بالعلة النحوية شاهدة بذلك على اهتمام النحاة بالتعليل والتأويل ، ومن هذه المؤلفات [5]، كتاب علل النحو ،

---

(١) انظر في ذلك الاقتراح : ٤٧ ـ ٤٩ .

(٢) انظر المصدر نفسه : ٤٩

(٣) نقلا عن العلة النحوية ، نشأتها وتطورها : ٧٣

(٤) انظر في ذلك العلة النحوية نشأتها وتطورها : ١٥٤

(٥) انظر في ذلك المصدر نفسه : ٩٤ ـ ٩٦ .

وكتاب نقض علل النحو للحسن بن عبد الله المعروف بلغدة او لكذة الأصبهاني، وكان معاصرا لأبي اسحق الزجاج . وكتاب العلل في النحو لهارون بن الحائك. وكتاب المختار في علل النحو لمحمد بن أحمد بن كيسان . وكتاب الإيضاح في علل النحو لأبي القاسم الزجاجي. وكتاب النحو المجموع على العلل لمحمد بن علي العسكري المعروف بمبرمان ، استاذ السيرافي والفارسي . وكتاب علل النحو لأبي الحسن محمد بن عبد الله المعروف بابن الوراق . وكتاب شرح علل النحو لأبي العباس أحمد بن محمد المهلبي . وكتاب تقسيمات العوامل وعللها لأبي القاسم سعيد بن سعيد الفارقي . وكتاب الخصائص لابن جني الذي جمع قدرا وافيا من المعلومات عن العلة .

ويتراءى لي أنّ ابن خالويه ليس من هواة العلة النحوية ، إذْ يكاد يقتصر في مولفاته على العلل الأولى التي أشار إليها الجليس فيما مضى ، أو العلل التعليمية التي أشار إليها أبو القاسم الزجاجي ، إذْ تكثر هذه العلل في مؤلفاته كثرة مفرطة كما تكثر عند غيره من النحويين . ولقد استطعت بعد جولات استقصائية في مؤلفاته أن أقف على أنواع هذه العلل وهي كما يلي :

١ ـ علة الحمل على المعنى :

من ذلك منع صرف ثمود : ((وثمود) (١) : جر بالنسق على ماقبله ، غير أنك فتحته لأنه لا ينصرف لأنه اسم قبيلة ، وهو معرفة . ومن نوّن ثمودا هاهنا وفي سائر القرآن وهو الأعمش جعله اسم رجل رئيس الحي او اسم الحي ...)) (٢) .

٢ ـ علة المشابهة :

من ذلك ارتفاع الفعل المضارع لحلوله محل الاسم : (((يدخلون) (٣) حال : ومعناه رأيت الناس داخلين . وذلك أنّ الفعل المضارع إذا حل محل الاسم ارتفع : تقول : رأيت زيدا يقوم ، معناه : رأيت زيدا قائما .....)) (٤) .

---

١) الفجر : ٩

٢) إعراب ثلاثين سورة : ٧٧

٣) النصر : ٢

٤) إعراب ثلاثين سورة : ٢١٩

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

ومن ذلك أيضا سقوط النون من قوله تعالى : (ولا تك) [1] لمضارعتها حروف المد واللين : ((فإنْ سأل سائل فقال : إنّ في كتاب الله تعالى (ولا تك) بحذف النون ، وفي موضع (ولا تكن) [2] ، وفي موضع (ولا تكونن) [3] وكلها نهي به فما الفرق ؟ فالجواب في ذلك أن الموضع الذى قيل فيه : (ولا تكن) سقطت الواو لسكونها وسكون النون ، وذلك أن كل فعل اذا صحت لامه واعتلت عينه كان حذف عينه عند سكون لامه لالتقاء الساكنين لا للجزم .

..... والموضع الذى قيل فيه (ولا تك) فان النون سقطت لمضارعتها حروف المد واللين ، إذْ كانت تكون اعرابا في (يقومان) ، وسقوطها علامة الجزم إذا قلت : لم يقوما ، كما تقول في حرف المد واللين : يدعو ويغزو ، ولم يدع ولم يغز .....)) [4] .

٣ . علة التقاء الساكنين :

من ذلك كسر النون في قولنا : عَنِ الشيطانِ ، وفتحها في قولنا : من الشيطان : ((فان قيل : لم فتحت النون في قولك : من الشيطانِ ، وكسرت النون في قولك : عَنِ الشيطان ؟ فالجواب في ذلك : أن النون حركت فيهما لالتقاء الساكنين ، غير أنهم اختاروا الفتح في (مِنَ) لانكسار الميم ، واختاروا الكسر في (عَنِ) لانفتاح العين .....)) [5] .

٤ . علة الضرورة الشعرية :

وقد سبق الحديث في هذه المسألة [6] .

ونلمح عنده عللاً مركبة ، وهي علل تعليمية بسيطة لا تحتاج الى تأمل

---

(١) النحل : ١٢٧ ، هود : ١٧ ، ١٠٩ .

(٢) النساء : ١٠٥ ، الأعراف : ٢٠٥ .

(٣) الأنعام : ١٤ ، يونس : ٩٥ ، ١٠٥ ، القصص : ٨٧ .

(٤) إعراب ثلاثين سورة : ٢٣٠ ـ ٢٣١ .

(٥) المصدر نفسه : ٧

(٦) انظر في ذلك ما مضى : ٣٩٠

أَو إعمال ذهن ، ومن ذلك فتح النون في قولنا : مِنَ الشيطان ، وكسر الميـــن في قولنا : عَنِ الشيطان كما مر ، فالعلة في ذلك مكونة من التقاء الساكنين وانكسار الميم وانفتاح العين (١).

وهكذا يتضح لنا أن علل ابن خالويه لا تكاد تخرج عن العلل التعليميـــة، وأما العلل القياسية فهي لا تطالع القارئ في مؤلفاته إلا في مواضع محـــدودة، إذ يحجم عنها قدر الامكان ، ولا يميل اليها الا عندما يجد نفسه مرغما . ومن ذلـك تعليله لرفع نائب الفاعل : ((فان قيل : ما وجه رفع المفعول ها هنا بعدما كـــان النصب أولى به ؟ فقل : لانه أشبه الفاعل في المعنى ، لأن الفعل الذى كـــان حديثا عن الفاعل صار حديثا عن المفعول ، فقام مقامه ، فأعرب باعرابه)) (٢).

ومن ذلك تعليله لعدم تنوين المضاف : ((فان قيل لك : لم لم تنـــونّ المضاف ؟ فقل : لأن الإضافة زائدة والتنوين زائد ، ولا يجمع بين زائدين)) (٣).

ومن ذلك أيضا تعليله لارتفاع المبتدأ : ((فان قيل : لم رفع الابتـــداء ؟ فقل : لأن الابتداء أول الكلام ، والرفع أول الاعراب ، فاتبع الأول الأول)) (٤).

وطالعني ابن خالويه بموقف واحد سلك فيه مسلك العلة الجدليـــة او النظرية ، اذ يعلل لنصب (أنّ) للمبتدأ لشبهها ، بالفعل ، لبنائها على فتـــح آخرها كبنائه : ((والحجة لمن نصب إلى آخر الكلام : أنّ (أنّ) وان كانت حرفـــا فهي شبيهة بالفعل الماضي لبنائها على فتح آخرها كبنائه ، وصحة كناية الاســـم المنصوب فيها كصحة كنايته في الفعل إذا قلت : ضربني وأنني ، فلما كانـــت بهذه المنزلة ، وكان الاسم الاول منصوبا بها كان حق المعطوف بالواو أن يتبـــع لفظ ما عطف عليه إلى انتهائه)) (٥).

---

(١) انظر في ذلك ما مضى : ٤١٠

(٢) الحجة في القراءات السبع : ٣٠٧

(٣) إعراب ثلاثين سورة : ٩

(٤) إعراب ثلاثين سورة : ١٨

(٥) الحجة في القراءات السبع : ١٠٥ .

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

وهكذا يطالعنا ابن خالويه بعلله التعليمية التي تتسرب إلى الأذهان بسهولة ويسر ، لأنه لم يقصد العلة حبا في إظهار براعته في التعليل ، ولكن ما يقصد إليه خدمة مريديه وطلابه ، إذ يريد أن يفهمهم النحو العربي بأسلوب سهل يخلو من التعقيد والجفاء ، وكأني به عالم نفساني استنبط نفسيات طلابه ، فقصد ما يرضيهم ، فلا نلمح غموضا في أسلوبه ولا في تعليلاته . وأحيانا يطالعنا بعلل يسمها باللطف ويدعو مريديه إلى معرفتها ، من ذلك تعليله لمجيء فعل مضارع بعد لئن : ((.... وإنما ذكرتها ها هنا لأن لئن حرف شرط ولا يليه إلا الماضي ، والشرط لا يكون إلا بالمستقبل ، فالجواب في ذلك أن اللام في لئن تأكيد يرتفع الفعل بعده ، وإن حرف شرط يجزم الفعل فلما جمعوا بينهما لم يجز أن يجزم فعل واحد ويرفع ، فغيروا المستقبل إلى الماضي ، لأن الماضي لا يبين فيه إعراب ، فهذه علة لطيفة فاعرفها ....)) (١) .

وقبل أن أنهي حديثي عن هذه المسألة أود أن اقتبس مثالا من (إعراب ثلاثين سورة) لابن خالويه وآخر من حجة أبي علي الفارسي ، وذلك ليتضح منهج ابن خالويه في التعليل وهو منهج اتسم بالبساطة والسهولة والخلو من التعقيد والمنطق ، على عكس أبي علي الفارسي الذي يطالعنا في علله التعقيد والغموض والمنطق . لنستمع إلى ابن خالويه في تعليله لحذف الهاء من قوله تعالى : (تعبدون) (٢) : ((فان قيل لك : لم حُذِفت الهاء؟ فقل : لما صارت أربعة أشياء شيئا واحدا : الاسم الناقص ، مع صلته وهو الفعل ، ومع الواو وهي ضمير الفاعلين ، ومع الهاء وهي المفعول ، فلما طال الاسم بالصلة حذفوا الهاء ، وكانت أولى بالحذف من غيرها لأنها مفعول ، وهي فضل في الكلام قال الشاعر (٣) :

ذريني إنما خَطَئي وصَوْبي ... عليّ وإنّ ما أهلكت مالي

معناه : وإنّ الذي أهلكته هو مالي)) (٤) .

---

(١) القراءات ، لوحة : ٢٦١

(٢) الكافرون : ٢

(٣) هو أوس بن غلفاء ، انظر في ذلك الجمهرة ١ : ٣٠٠ .

(٤) اعراب ثلاثين سورة : ٢١٣ .

ولنستمع إلى أبي علي الفارسي في تعليله أن الوصف لا يعمل فيه ما عمل في الموصوف : ((فأما العامل فيه فزعم ابو الحسن أن الوصف يجرى على ما قبله ، وليس معه لفظ عمل فيه ، إنما يعمل فيه أنه نعت ، فذلك هو الذى يرفعه ، وينصبه ويجره ، كما ان المبتدأ إنما رفعه الابتداء ، وإنما الابتداء معنى عمل فيه وليس لفظا فكذلك هذا . فان قلت : فلم لا يكون العامل في الوصف ما عمل في الموصوف ؟ قيل : مما يدل على أن العامل في الوصف لا يكون العامل في الموصوف أن في هذه التوابع ما يتعرّب بإعراب ما يتبعه ، ولا يصح أن يعمل فيه ما عمل في موصوفه ، وذلك نحو أجمع وجمع وجمعاء ، وليست هذه الكلم ككل الذى قد جوز فيه أن يلي العوامل على استكراه . فلما صح وجود هذا فيها دل أن الذى يعمل في الموصوف غير عامل في الصفة في نحو مررتُ برجلٍ قائمٍ وما أشبهه لاجتماعهما في أنهما تابعان . ويدل على ذلك ايضا أنك قد تجد من الصفات ما إعرابه يخالف الموصوف نحو يا زيدُ العاقلُ . فزيد مبنى ، وصفته مرتفعة ارتفاعا صحيحا . فلو كان العامل في الصفة العامل في الموصوف لم تختلف حركاتها ، فكانت إحداهما اعرابا ، والأخرى بناء ، وكان مجيء هذا في النداء دلالة على ما ذكرناه : من أن الصفة ليست بمعمول لما يعمل في الموصوف . فان قال قائل : فلم لا تجعل الصفة من حيث كانت كالجزء مما تجرى عليه مع الموصوف بمنزلة شيء واحد ، وتستجيز من أجل ذلك أن يعمل فيها ما عمل في الموصوف ، وتستدل على ذلك بأشياء من كلامهم يقوى هذا المسلك من ذلك أنهم جعلوه مع الموصوف كاسم واحد في نحو : لا رَجُلَ ظريفَ ، وكذلك قولهم : يا زيدَ بنَ عمرو وما أشبهه ، وقال الله سبحانه : (قل إنّ الموت الذى تفرون منه فإنه ملاقيكم) [1] ، فلما وُصِفَ المبتدأ بالاسم الموصول دخلت الفاء في الخبر ، كما أنه لما كان المبتدأ موصولا دخلت الفاء فيه ؟ قيل : إنما أوردته من ذلك لا يدل شيء منه على كون الوصف معمولا للعامل في الموصوف ، لانه يلزم من ذلك أن يكون في اسم واحد إعرابان ، وهذا قد رفضوه في كلامهم ....)) [2] .

---

(١) الجمعة : ٨

(٢) الحجة في القراءات السبع : ٢٩ — ٣٢ .

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

لعل المراد بالإجماع هو إجماع البلدين ، البصرة والكوفة ، وهو ما أشـــار إليه ابن جني في الخصائص: ((وذلك كإنكار أبي العباس جواز تقديم خبـــر ليس عليها ، فأحد ما يحتج به عليه أن يقال له : إجازة هذا مذهب سيبويـــه وأبي الحسن وكافة أصحابنا ، والكوفيون أيضا معنا . فإذا كانت إجازة ذلك مذهبـا للكافة من البلدين وجب عليك ـ يا أبا العباس ـ أن تنفر عن خلافه ، وتستوحش منه ، ولا تأنس بأول خاطر يبدو لك فيه)) (١).

ويكاد الإجماع يكون حجة عند ابن جني إذا لم يخالف المنصوص والمقيـــس عليه : ((اعلم أن اجماع أهل البلدين إنما يكون حجة إذا أعطاك خصمك يـــده ألا يخالف المنصوص ، والمقيس على المنصوص ، فأما إن لم يعط يده بذلك فلا يكـــون اجماعهم حجة عليه . وذلك أنه لم يرد ممن يطاع أمره في قرآن ولا سنة أنهـــم لا يجتمعون على الخطأ .... إلا أننا ـ مع هذا الذى رأيناه وسوغنا مرتكبـــه ـ لا نسمح له بالإقدام على مخالفة الجماعة التي قد طال بحثها ، وتقدم نظرهـــا ، وتتالت أواخر على أوائل ، وأعجازا على كلاكل ....)) (٢).

وقد أشار إلى ما مر أبو عثمان المازني من قبل ، إذ دعا إلى احترام أقـــوال القدامى والاقتداء بها ((وقال ابو عثمان المازني : واذا قال العالم قولا متقدمـا فللمتعلم الاقتداء به ، والانتصار له ، والاحتجاج لخلافه ، إن وجد إلى ذلـــك سبيـــلا ....)) (٣).

وهو عند أبي البركات بن الأنباري حجة قاطعة ، ((والاجماع حجة قاطعة، قال عليه السلام : (أمتي لا تجتمع على ضلالة) (٤) .... فان قيل : (نحـــن لا ننكر النحو لانه ثبت استعمالا ونقلا لا قياسا وعقلا ، قلنا : هذا باطل ، لأنـــا اجمعنا على أنه إذا قال العربي : كتب زيد ، فانه يجوز أن يسند هذا الفعـــل إلى كل اسم مسمى تصح منه الكتابه سواء كان عربيا اوعجميا ....)) (٥).

---

(١) الخصائص ١ : ١٨٨

(٢) الخصائص ١ : ١٨٩ ـ ١٩٠

(٣) المصدر نفسه ١ : ١٩٠

(٤) سنن الترمذي ٢ : ٥٠٥

(٥) لمع الأدلة : ٩٨

وذهب السيوطي إلى أن إجماع العرب حجة ، لكن ذلك لا يمكن الوقوف عليه . والقول نفسه بالنسبة لإجماع النحاة .((وإجماع العرب أيضا حجة ولكن أنى لنا بالوقوف عليه . .))(١) وذكر أنّ هناك إجماعا مستفادا من السكوت لأنّ أهـــل البلدين لم يصرحوا بمنع ما يخالفهم: ((فالجواب عنه من وجهين ، أحدهما أنّ هذا من اجماع مستفاد من السكوت ، وذلك أنهم لم يصرحوا بالمنع من قول ثالث ، وإنما سكتوا عنه ، والإجماع هو الإجماع على حكم العادة قـــــولا)) (٢) .

ويخرج ابن جنى عما طالعنا به من تأكيد على عدم الخروج على الإجماع ، إذْ خرج عليه فى تصحيح ما خطأه غيره من النحويين الذين ذكروا أنّ قول العرب : (هذا حجر ضبّ خرب) غلط ، ولكن ابن جنى خرّجه على حذف المضاف ، وتقديره : هذا حجر ضب خرب جحره : ((فما جاز خلاف الإجماع الواقع فيه منذ بدئ هذا العلم وإلى آخر هذا الوقت ، ما رأيته أنا فى قولهم : هذا حجر ضبّ خرب . فهذا يتناوله آخر عن أول ، وتال عن ماض على أنّه غلط من العرب ، لا يختلفون فيه ، ولا يتوقفون عنه ، وأنه من الشاذ الذى لا يحـمل عليه ، ولا يجوز رد غيره إليـــــه ٠٠٠٠٠)) (٣) .

أما ابن خالويه فهو كغيره ممن اتخذوا الإجماع حجة قاطعة ، إذْ هو عنده أصـــل من أصول النحو يجب الأخذ به ، والسير فى دربه ، فهو لا يوافق على كسر نون (شتان) لمخالفة ما عليه العرب كما مرّ (٤) .

ويصف ما خرج على إجماع النحاة بالغرابة ، فجر ما بعد (ماخلا) و (ماعدا) غريب عنده لأن الإجماع منعقد على نصبه : ((ويجوز النصب والخفض بخلا ، فإذا (ماخلا) نصبـــت لاغير بإجماع النحويين إلا الجرمى ، فإنّه ذكر عنه ٠٠٠٠٠٠ أنّ من العرب من يخفض بما خلا ، وهـــــذا غريـــــب)) (٥) .

---

١) الاقتراح : ٣٦

٢) المصدر نفسه : ٣٨

٣) الخصائص : ١ : ١٩١ ـ ١٩٢

٤) انظر فى ذلك مامنـــى : ٦٠

٥) شرح مقصورة ابن دريد ، ورقة : ١٩٨ .

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

ولعلي لم أقف على مسألة خرج فيها ابن خالويه على إجماع النحـــاة إلا تلك المسألة التي أجاز فيها الفراء نصب (قائم) في قولنا : ما زيد إلاّ قائـــمُ على اضمار فعل وشبهه ، ولعل إجازة ابن خالويه لقول الفراء تكمن في قياســه على ما سمع من العرب ، وهو : إنما العامرى عمّته ، أىْ يتعهد عمّتـــــه : ((فان قلت : ما زيد إلا قائم لم يكن إلاّ الرفع ، قال الله تعالى : (وما أمرنـــا الا واحدةٌ كلمح بالبصر) [1]. هذا قول النحويين إلاّ الفراء فانه أجاز النصـــب مع اضمار فعل وشبهه ، تقول العرب : إنّما العامرى عمّته ، أىْ : يتعهّد عمته))[2].

ولعلّ موقفه من الإجماع يزداد وضوحا وجلاء في المسائل اللغويـــة التي سيأتي بحثها فيما بعد ، وهو موقف يتسم بالإجلال والتقديس لما تـــم الإجماع عليه ، وهو بذلك يغاير ابن جني الذى دعا إلى رفض الإجماع عنـــد توفر الدليل والبرهان ولعلنا نستطيع توجيه اللوم إلى ابن خالويه لعدم التفكير فيما ورثه وفيما تناقلته الأيدى ، ولعلّ هذا الموقف يقربه من أنصار مدرســـة الكوفة الذين يجلون الأثر الذى ورثوه عن السالفين .

---

(١) القمر : ٥٠

(٢) الأعراب ثلاثين سورة : ٥٢ .